الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم اللهجات
والموسومة بـ:

آليات تنوع المنطوق بلهجة تلمسان
النخبة المثقفة أنموذجا
- مقاربة سوسيولسانية -

إعداد الطالب:
عبد الحميد بسعيد

لجنة المناقشة

أ.د.	عبد الحق زريوح	رئيسا	جامعة تلمسان
أ.د.	محمد سعيدي	مشرفا	جامعة تلمسان
أ.د.	مختار لزعر	عضوا	جامعة مستغانم
أ.د.	عبد الحليم بن عيسى	عضوا	جامعة وهران
أ.د.	جيلالي بن يشو	عضوا	جامعة مستغانم
د.	هشام خالدي	عضوا	جامعة تلمسان

السنة الجامعية: 2012-2013

بـــــسم اللـــــه الرحمـــــن الرحيـــــم

قال تعالى:

" و من آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"

الإنسان عدو ما يجهل:

" علم لغة تجتنب بلاهة حرب، أنشر ثقافة تكتسب شعبا لشعب"

L'homme est l'énemi de ce qu'il ignore :

" Enseigne une langue, tu éviteras l'absurdité d'une guerre, répands une culture, tu rendras un peuple auprès d'un autre populaire"

Naim Boutanos

إهداء

بدأنا بأكثر من يد و قاسينا أكثر من هم و عانينا الكثير من الصعوبات و ها نحن اليوم و الحمد لله نطوي سهر الليالي و تعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، إلى والدتي الغالية.

إلى من سعى و شقى لأنعم بالراحة و الهناء، الذي لم يبخل من أجل دفعي في طريق النجاح، الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر، إلى والدي العزيز.

إلى من ضحت و كدت و قسمت معي عناء هذا البحث، إلى زوجتي العزيزة.

إلى أبنائي قرة عيني: إليك أشرف، و إلى الكتكوت إلياس.

إلى أخواتي و أبنائهم.

إلى أخي الذي وقف بجانبي و ساعدني كثيرا لانجاز هذه الأطروحة، إليك ابراهيم.

إلى خالي الذي ساعدني طوال مشوار حياتي، إليك علي.

إلى جدي و جدتي و خالاتي و حماتي و أبنائها، و كل عائلة "بركة"

إلى من علمونا حروفا من ذهب و عبارات من أسمى و أجلى عبارات العلم، إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا و من فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم و النجاح، إلى أساتذتي الكرام.

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا الى إنجاز هذا العمل.

أتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل و في تذليل ما واجهته من صعوبات، و أخص بالذكرالمشرف: أ.د محمد سعيدي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته و نصائحه القيمة التي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث.

لا يفوتني أن أشكر الأستاذ مصطفى بركة والذي كان خير دعم لي في مسيرتي لأنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من: أ.د عكاشة شايف، أ.د بومدين بن موسات, أ.د عبد الرحمن خربوش، أ. محمد هتهوت عن جهودهم و دعمهم المتواصل لإنجازهذه الأطروحة.

تمهيد:

لم تحض تلمسان بشرف احتضانها وكونها عاصمة للثقافة الإسلامية بمحو الصدفة وإنما يرجع ذلك إلى أصالة مدينتها والثقافات المتعاقبة عليها.

La ville connut en général le rayonnement d'un centre intellectuel important doublé de celle d'un capital religieux et artistique. On y cultive avec succès assurait lbn khaldoun. Les sciences et les arts : on y vit naitre des savants et hommes illustres [1]

بمعنى:"" تعد المدينة بصفة عامة مركز ثقافي إشعاعي مهم فضلا عن كونها عاصمة دينية و فنية. نحن مثقفون بامتياز، يؤكد ابن خلدون؛ العلوم و الفنون: نعيش مع علماء و رجال مثقفين"".

1-دراسة جغرافية لمنطقة تلمسان:

إنّ دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصرا أو مكوّنا من مكونات الثقافة قد حضت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام الخاص وأصبح لها علم معترف، اصطلح عليه: "علم اللغة الاجتماعي " ***Sociolinguistics***. فمن الجلي أنه "أين يعيش الفرد؟" هو ميزة اجتماعية له، والتي رغما عنه تؤثر في لغته، فنحن متفقون في أن لنا لسانا واحد يسمى بطريق التجوز" اللغة العربية"، ولكننا مع ذلك نختلف اختلافا بارزا في التحقيق المادي لهذا الشأن، ويكفيك أن تقارن بين القنوات العربية من المشرق إلى المغرب لاستخلاص ما يجري في الشارع العربي من لهجات ورطانات وصور الكلام المختلفة. أما عن العلم المختص بمثل هذه الدراسات فيطلق عليه علم اللغة الجغرافي حيث تعد الركيزة الأساسية لجغرافية اللهجات القديمة.

فالعلم المسمى بعلم اللغة الجغرافي يعنى بتحليل ووصف التنوعات المحلية أو الاجتماعية للغة معينة مبينا كيف تختلف هذه التنوعات حسب المستوى الثقافي، الاجتماعي، الإنتماء الجنسي، العمر، وما إلى ذلك من عوامل قد تأثر بشكل أو بآخر على طريقة النطق

[1] Revue de la faculté des lettres N: 1 v volume 2000. Hadjadj - Aoul Mohamed université de Tlemcen P23

والحقل اللهجي للمتكلم. فالعلاقة مثلا بين اللغة والثقافة علاقة جد وثيقة وتظهر هذه العلاقة قوية واضحة في السلوك اللغوي والثقافي معا. وبذلك نستطيع أن نحكم على ثقافة الشخص من محصوله اللغوي المتمثل أساسا في ألفاظه وعباراته وأشكال نطقه وأدائه الصوتي وقال الشاعر في هذا المقام:[1]

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبقى إلا صورة اللحم والدم.

فالفروق أو الاختلافات المتباينة بين اللغات واللهجات هي في معظم الأحيان فروق سياسية وثقافية أكثر منها لغوية، ولعل أكثر جوانب الدراسة اللغوية قيمة وحيوية في الوقت الحاضر هو دراسة اللهجات؛ أو تنوع الأشكال اللغوية والمقارنة بينها في لغة معينة، وهي دراسة كما سبق الذكر معاصرة؛ تدرس اللغة في حالتها والتركيز فيها موجه إلى الكلام المنطوق بل قد تستبعد الكتابة بالكل.

فالموضوع قيد الدراسة، هو الانتشار الجغرافي والتغيرات الناجمة عنه، فالحواجز الاجتماعية لها نفس الأثر كالحواجز الفيزيائية، وعلى ذلك فالحدود بين اللهجات سيكون له أثر سلبي على شبكة الاتصال، فالتغيرات سوف تتوسع من فرد لآخر،أو بصيغة سوسيو لسانية من متكلم الآخر.

فكلما توسعت مسافة التباين الجغرافي بين أفراد المجتمع أعطى ذلك دفعا وتأثيرا على التغيير والانتشار، فإذا كان الأمر كذلك فالمتكلمون الذين يقطنون بقرب آخرين سوف يكونون متشابهين في تبني التجديد والابتكار على عكس الذين يقطنون بعيدا عن بعضهم وهذا ما يجري الاصطلاح السوسيولساني عليه بـ" التأثير الجواري" ***Neighbourhood effect***

[1] - علم اللغة الاجتماعي. د . كمال بشر . ط 3 1997 القاهرة. ص 41.

بيد أن أشكال الطرح لا تكمن في تعلقه بالقرابة المكانية أو الجغرافية، فالتغيرات تكمن بين شرائح المجتمع الواحد وذلك بين نخبة مثقفة وأخرى من عامة الشعب.وذلك هو صلب بحثنا واهتمامنا. باعتبار أن الأولى في اتصال دائم باللغات الأجنبية.

بالطبع لا يمكننا الولوج في تقصي حقائق هذه الإشكالية دون تحديد جغرافية العينة اللهجية المراد دراستها مع إعطاء لمحة حول جغرافية وتاريخ تلك المنطقة.

فإذا كنا ملزمين أن نحصي أصوات اللهجة المحلية "لتلمسان" فإننا سوف نجد تغييرات عدة طرأت عليها وهذا طبعا نتيجة تأثر السكان بالحروب، أو الغزوات، أو العوامل الاجتماعية أو الجغرافية؛ بالإضافة إلى ذلك فإن لهجة "تلمسان" تتميز بجملة من الخصائص اللغوية مما جعلها محل اهتمام العديد من الباحثين أمثال **ويليام مارسي**.

وقد ساعدت على تكوين لهجة " تلمسان" وتميزها عن باقي مناطق الجزائر، بعض الخصائص اللهجية وصفات بعض الأصوات فضلا عن بعض العوامل الأخرى لا بأس أن نقف على أبرزها، وهي الموقع الجغرافي الذي تتميز به هذه المنطقة وكذا التاريخ الذي مرت به "تلمسان" والذي حولها إلى مركز إشعاع علمي وثقافي وقبلة الطلاب، والعلماء من مشارق الأرض ومغاربها وقاعدة اقتصادية وتجارية وحتى عسكرية:

''Ce sont surtout les medersas ou collèges qui ont fait d'elle la cite intellectuelle. Beaucoup de ces medersasa l'instar de celles qui furent fondées en Orient, furent édifiées par les rois de Tlemcen qui avait la particularité d'accueillir les savants et les lettres avec faveur et distinction'' (1)

بمعنى: *"* إنهم خاصة المدارس أو المعاهد الذين جعلوا منها مدينة ثقافية. فالعديد من هذه المدارس التي أسست من قبل الملوك الذين تعاقبوا على حكم تلمسان و المميزين بخصوصيات استقبال العلماء و الأدباء برعاية خاصة"".

انطلاقا من هذا الأساس يمكن لنا أن نبرز كيف يمكن للمستوى الثقافي أن يؤثر على المنطوق والرصيد اللغوي للنخبة المثقفة في "تلمسان"؛ لكن قبل ذلك يجدر بي أن أقدم لمحة

تاريخية لإظهار أهم المراحل التي مرت بها هذه المنطقة عبر ممر الزمن، وقبل ذلك لا بد من تحديد الإطار الجغرافي " لتلمسان".

وعليه فإن موقع " تلمسان" الاستراتيجي جعل منها مركز هاما للحرب والتجارة والسياحة، فهي من أفضل مدن الجزائر أو حتى شمال إفريقيا موقعا، فهذه المدينة التي تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر هي ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشمال والجنوب من جهة، وبين الشرق والغرب من جهة أخرى "فالداخل للمغرب الأقصى آتيا من تونس أو الجزائر، والخارج منه آتيا من مراكش أو فاس لا بد له من المرور عليها والنزول والإقامة بها" [1] والأمر نفسه بالنسبة للمسافر الأوربي، والقادم من جزيرة الأندلس على وجه الخصوص،عبر البحر الأبيض المتوسط، وحتى القادم من عمق الصحراء الجزائرية كان لزاما عليهم حط الرحال أو على الأقل الوقوف بتلمسان [2].

- تحديد الموقع الطبيعي والجغرافي لتلمسان:

تتربع ولاية تلمسان والتي تقع في الشمال الغربي من الجزائر على مساحة 2020 كم^2 [3]، يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا ولاية النعامة وشرقا ولايتي عين تموشنت وسيدي بلعباس وغربا المغرب الأقصى. وهي منطقة تاريخية وسياحية. تتقسم ولاية تلمسان إلى 22 دائرة و53 بلدية، وبها سهول خضراء واسعة الأرجاء تحدها سلسلة من التلال قليلة الارتفاع مما يمكن لسكانها استنشاق هواء البحر، فتخفف من شدة الحرارة في الصيف وتكون السبب في هطول أمطار تلطف المناخ وتروي الأرض الخصبة فتكثر الأعشاب وتزدهر البساتين، ولم يسم الرومان ذلك البلد "بومارية" أي البستان عبثا" [4] ولقد أصاب الخطيب بن مرزوق في وصفه "لتلمسان "يكفيك منها ماؤها وهواؤها " ذلك لأن تلمسان

[1] - revue de la faculté des lettres N:1 volume 2 Novembre 2000. Hadjaj sidi Mohamed ;faculté des lettres de Tlemcen p23

[2] - باقة السوسان في العريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الحاج رمضان شاوش. ديوان المطبوعات الجامعية.

[3] - Guide touristique de Tlemcen et sa région, réalisée par l'office du tourisme de Tlemcen 1994.

[4] - تلمسان عبر العبور، محمد ابن عمر والطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ط1985، ص 7

ترتفع عن سطح البحر بما يقارب ثمانمائة وثلاثين مترا، 830 م، الإرتفاع هذا جعل من هذه المدينة تمتاز بهواء لطيف فلا هو رطب ولا حار" [1].

وقد شيدت هذه المدينة فوق سطح جبل يقيها من ريح السموم الآتية من الصحراء في فصل الصيف، ذلك أن سهل"الحناية الممتد في شمال المدينة من ناحية الغرب بسهل "مغنية وفي الشمال الغربي يحتجب الأفق وراء مرتفع "ترارة" حيث يلاحظ الرائي جبال"فلاوسن" وفي الشمال الشرقي مرتفعات السبعة شيوخا وتاسلة" [2]

ويجري على منحدرات جبال "تلمسان" عدة أنهار ووديان، لا بأس من ذكر البعض منها كنهر "تافنة" "نهر الشولي"، "نهر يسر"، نهر"الصفصيف"، ونهر"المفروش" لكن ما يلاحظ وخاصة في السنوات القليلة الماضية أن هذه الأنهار والوديان باتت موسمية.

أما جيولوجيا، فجبال تلمسان كما يطلق عليها الجغرافيون المعاصرون؛ تتكون من أربع سلاسل جبلية تكاد تكون متوازية ومن أهمها:

أ- سلسلة جبال"تنوشفي" التي يبلغ أعلى قمة بها 1483 مترا وهذه السلسلة تشرف على المفازة التي توجد بها مدينة "سبدو الواقعة على نحو 37 ميلا جنوب تلمسان.

ب- سلسلة جبال"بني إسماعيل"[3] المشرفة على المفازة الممتدة من قرية " أولاد ميمون" شرقا إلى مدينة سبدو" غربا وهذه السلسلة المؤلفة من إثني عشر قمة وتظهر من بعيد وكأنها أشباح عظيمة جالسة وهي تنظر إلى "سبدو".

ج- سلسلة جبال "عصفور" التي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها 1066 مترا، وهي تشرف على السهل الذي توجد به مدينة "وجدة" قرب الحدود الجزائرية المغربية.

---

[1] - باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان دولة بني زيان، الحاج رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. ط 1983. ص 3.
[2] - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الشريف المليني التلمساني. ديوان المطبوعات الجزائرية ط 1980. ص 9.
[3] - والسكان يطلقون عليها جبال بن أصميل.

د- سلسلة جبال "لالة ستي" والتي تبلغ أعلى قمة بها"1306 مترا، وهذه السلسلة تشرف على مدينة تلمسان الموجودة في سفحها الشمالي[1].

إضافة إلى هذا نجد سلسلة جبال"فلاوسن" التي تحد منطقة "تلمسان" من الشمال وهي تمتد من منطقة "هنين" إلى غاية الحدود الشمالية مع "المغرب الأقصى"، وهي تعتبر كصد منيع من التيارات الهوائية الباردة التي تجتاح منطقة تلمسان في المواسم الباردة، وهي مدينة محصنة منيعة على الرغم من أنها في وطأة الأرض "وبلغ من حصانتها أن السلطان "أبا يعقوب المريني" حاصرها عشرة سنين ووقف عاجزا عن فتحها"[2] فمدينة تلمسان لها أسوار كثيرة تحميها من أيدي الطامعين [3].

وقد ذكر يحي بن خلدون أن لها خمسة أبواب وهي قبلة "باب الجياد" وشرقا "باب العقبة" وشمالا "باب الحلوي"، وباب"القرمادين"، وغربا "باب كشوطة"، ورغم كل ذلك العدد من الأبواب، إلا أنها لم تكن في مأمن فقد تعرضت في مناسبات عدة للغزو والإحتلال.

ومما ينسب للسان الدين الخطيب في وصفه"لتلمسان "مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه، وحواليه من الدوحات حشمة وأعلاجه، عبادها يدها، وكهفها، وزينتها زيانها، وعينها أعيانها..." [4].

[1] - باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الحاج رمضان شاوش الجزائر 1983، ص 29.
[2] - صبح الأعشى في صناعة الأنشا، القلقشندي الجزء 5 ص :150.
[3] - بغية الرواد في ذكر ملوك بن عبد الواد . تحقيق عبد الحميد حاجيات ج 1 المكتبة الوطنية الجزائر، ط1980، ص:9.
[4] - الطيب من غض الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المفري التلمساني والجزء 7 – 1968 بيروت ص :135.

2- الدراسة التاريخية لمنطقة تلمسان:

أما إذا عدت إلى كتب التاريخ لتسأل عن تلمسان فإنك ستزداد إعجابا بها، بقدر ما يحزنك ما مر بها من أمم غازية ،"فمدينة تلمسان وضواحيها مرت بمراحل تاريخية متعاقبة. إلا أن كتب التاريخ لا تدلنا على إسم المدينة في العصور القديمة، ولم يصل منها إلا إسمها الروماني وهو "بوماريا" ***Pomaria*** وهي تعني البستان، ذلك أنها تنعم بكثرة المياه والأعشاب بفضل موقعها الجغرافي الممتاز [1].

أما عن وصف الخطيب بن مرزوق لتلمسان فقال: يكفيك منها ماؤها وهواؤها وإن ننسى فلا ننس وادي"متشكانة" الذي يأتي من الجنوب ويعرج على الجانب الشرقي من البلد والذي نضبت مياهه في هذه الأيام وغزاه البناء من كل مكان "[2] ، وهذا ما أكده المقري في وصفه لتلمسان فيقول[3]:

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره

وكأنما واديه معصم غاده ومن الجسور المحكمة سواره

فمنذ عهود ما قبل التاريخ، عاش البشر في كهوف بمنطقة القلعة العليا وبودغن لعدة قرون تحت هضبة لالة ستي. وكانت المنطقة بالقرب من تلمسان مأهولة بالسكان منذ العصر الحجري، كما يتضح من إكتشاف في 1875 من قبل: **ج بلا نشر*** ***G . Bleicher*** آثار قديمة في سنة 201، أسس أول مركز عسكري روماني على صخرة تطل على سهل شتوان بـ 7 هكتارات وتسمى ببوماريا ***Pomaria*** لتشكل نقطة ولادة مدينة ستلعب دورا مهما حيث تمركز مجموعة من السكان والتجار فبنوا مساكنهم على الحواف الجنوبية لقلعة بوماريا، ولتصبح لاحقا بوماريا معسكرا رومانيا ثابتا، وكلما كانت تبنى المعسكرات الرومانية كان لها

[1] - تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر. محمد بن عمر والطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ط: 1983. ص: 7.
[2] - نفسه ص:7.
[3] - نفسه ص: 7.

أربعة أبواب على شكل مستطيل، الباب الأول أو الباب البريتوري نحو الشرق وباب نحو الغرب ويسمى بالباب الديكومي، زائد بابان على الناحيتين المتبقيتين. كما كان للمدينة سورا يحيط بها، ومركز للقيادة، وسوقا وكان لها أيضا مخزنا للأسلحة والموارد التنموية، كما لعبت المدينة دورا دينيا كبيرا حيث أصبحت مقرا لأبرشية الأسقف الكاثوليكي.

بعد ذلك أطلق على المدينة اسم تلمسان ويعني في لغة زناتة "تلم" "نسين" ويقصد به المدينة التي تجمع بين البر والبحر، أي تجمع بين شيئين إثنين.

وقال المقري "ثم تمت "تلمسان" الإسم في لغة زنانة "سكان الإقليم مركب من "تلم" ومعناه تجمع، و"سن" ومعناه: إثنان، التل والصحراء، ويقال أيضا "تلمسان" وهو إسم مركب كذلك من "تلم" ومعناه: لها، و"شأن": أي لها شأن"[1].

أما الياقوت الحموي فيشير في معجمه إلى أن "تلمسان"[2] بكسرتين وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول"تينمسان" بالنون عوض اللام : بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الممثلون ملوك المغرب وإسمها "تاقرارت". فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس وإسم "أقادير" يسكنها الرعية.

فقدر "**أقادير**"أو "**أغادير**" سيرتيط بالمرابطين منذ 1069 حتى 1143، وهم بدو من قبيلة "لواثة" من بربر صنهاجة الجنوبيين وزعيمهم يوسف تاشفين. وعند محاصرته لمدينة "أقادير" عام 474هـ– 1081م، بنى مدينة جديدة بالمكان الذي نزلت به جيوشه والواقع غرب مدينة "أقادير"، أطلق عليها إسم "تقرارت" وهي كلمة بربرية بمعنى المعسكر. وبعد دخوله المدينة

[1] - تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار الكتاب اللبناني . القسم الأول. المجلد السابع . الطبعة 1981. ص: 156.
[2] - المرجع نفسه ص: 157.

قام بقتل كل سادة زناته والقائمين على حمايتها، وأول ما قام به السادة الجدد هو بناء جدار للمدينة [1].

وقد عنى البكري بوصف "تلمسان" القديمة وما بساحلها من سهولة وحصون ومراسي[2] ولم تزل "تلمسان" منذ الفتح الإسلامي عاصمة المملكة معتني بعمارتها وتحصينها وسيما أيام الموحدين وفي عهد المرابطين وفي أثناء حصارهم "لتلمسان" القديمة" أجادير" سنة 473هـ وبني المرينيون[3] أيام حصارهم الطويل "تلمسان" في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري مدينة جديدة سموها المنصورة[4] وذلك تيمنا بالنصر.

فأثناء تلك الحقبة من الزمن كانت تلمسان تتألف من المدن الثلاثة السالفة الذكر "أقادير" في الجهة رالشرقية و"تاقرارت" في الوسط، و"المنصورة" في الجهة الغربية، لكن في الوقت الراهن لم يبق من هذه المدن سوى المدينة الوسطى والتي لا تزال محافظة على إسمها بمعنى"تلمسان" إلى يومنا هذا.

وازدادت أهمية "تلمسان "في عهد المرابطين بإضافة" تاقرارت" إليها وكان أبرز ما قام به المرابطون هو بناء مسجدها الجامع سنة 473هـ[5]".

أما الموحدون فقد اعتنوا "بتلمسان"، فبنو المنازل والقصور وقاموا بتحصينها، وبفضل هذا التحصين تمكنت المدينة من الصمود والنجاة من عبث ابن غانية[6] ولما أستتب الأمر لعبد المؤمن بن علي، (مؤسس دولة الموحدين)، أمر الناس بإعادة تعمير المدينة وإصلاح ما سقط من أسوارها وبطونهم هي"مصغرة ونحومية ومديونية ومغيلة وملزوزة وكشانة ومدنية ومطماطة ولماية.

---

[1] - الموسوعة الحرة.
[2] - المدن المعربة إسماعيل العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط 1984. ص: 134.
[3] - نسبة إلى بني مرين وهم من شعوب "بن واسين" إخوة بن بادين، وعلى ذلك فهم أبناء عمومة مع بني عبد الواد، تطاولوا إلى حكم المغرب الأقصى . باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان. حاج رمضان مناوش. ص: 31.
[4] - بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ص: 210.
[5] - يحي بن إسحاق محمد المسوفي. أنظر: المعجب في تخليص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكش. القاهرة. 1963. ص: 273.
[6] - نفسه. ص: 274.

فأما مطغرة ويعرفون "بالمداغر" فجمهورهم بالمغرب الأقصى ويتصلون شرقا بكومية التي اندمجوا فيها منذ ظهور الدولة الموحدية، ومنهم جنوب"تلمسان" بفقيق" [1]، وفي هذا العهد توفي أكبر الصوفية في المنطقة وهو أبومدين بن شعيب بن الحسن بـ "تاقبالت" إحدى القرى المجاورة "لتلمسان"، وهو في طريقه إلى "مراكش فدفن بإحدى روابي "تلمسان" وهي قرية العباد"[2].

فاغتنم "يغمراسن بن زيان الفرصة فانتزع "تلمسان" من الموحدين وجعل منها قاعدة إمارة عظيمة وعاصمة لدولة يطلق عليها دولة الزيانيين[3].

شهدت هذه الحقبة تأسيس مدارس "تلمسان"الخمس، وأول مدرسة أسست هي تلك التي أمر ببنائها"أبو حمو موسى الأول [707- 718] في أول عهدة، ثم بنى "أبو تاشفين الأول [718- 737] المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم، فكانت حقا تحفة فنية رائعة[4].

ثم شيدت أيام إستلاء المرينيين على المغرب الأوسط مدرسة بقرية "العباد" التي أمر ببنائها السلطان "أبو الحسن المريني سنة 748هـ، كما أنشأ إبنه "عنان"مدرسة أخرى بجانب مسجد الولي الصالح "أبي عبد الله الشوذي الأشبلي"الملقب بـ"الحلوي" وكان ذلك سنة 754هـ.

أما خامس المدارس فتسمى المدرسة اليعقوبية والتي أسسها "أبو حمو موس الثاني [760- 791] سنة 165هـ بجانب الضريح الذي أقيم على قبر أبيه "أبي يعقوب يوسف" والذي دفن فيه بعد ذلك العالم الصالح "إبراهيم المصمودي" سنة 804هـ[5].

---

[1] - تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي. ص: 22

[2] - نفسه، ص: 227.

[3] - الجزائر في التاريخ. العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني. وزارة الثقافية والسياحية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1974. ص: 429.

[4] - نفسه، ص: 438.

[5] نفسه، ص: 438.

وفي سنة 1555م استولى "رايس" باشا الجزائر على "تلمسان" على رأسه العثمانيين، فكانت هذه المدينة تمثل آنذاك أقصى الحدود المغربية للدولة العثمانية، فوفد الأتراك على مدينة "تلمسان" وتصاهروا واختلطوا بسكانها الأصليين.

أما في ما يخص النسيج العمراني والتركيبة السكانية "لتلمسان" فبعد ما عرفت "تلمسان" قبل دخول الأتراك أوجها في العمران والتمدن وبدخولهم إلى الجزائر خسرت "تلمسان" نهائيا دورها الريادي في المغرب الأوسط وأصبحت تتبع غيرها من المدن "كمازونة" ثم "وهران". كما ظهر في "تلمسان" عنصر جديد جاء كنتيجة لتزاوج الأتراك مع السكان المحليين لما سيعرف بالعنصر"الكولوغي" أو "الكراغلة" والذين أصبحوا سادة للمدينة على حساب بقية مركبات المجتمع من البربر والعرب الأندلسين [1].

أما أصل سكان "تلمسان" فلقد ذكر "ابن خلدون" كيف كان يتفق نسابة العرب مع نسابة البربر عن الأصل العربي للبربر، وابن خلدون "كعادته" يناقش هذا الأمر، ويختلف مع النسابة حول عروبة كل القبائل البربر لكنه يعترف بعروبة أكبر قبيلتين وهما" صنهاجة وكتابة". فإستنادا إلى هذا يقول المؤرخ الفذ بأنهما قدمتا من اليمن في هجرات سابقة للفتح الإسلامي وحتى قبل الميلاد: "ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم، كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسابة العرب خلافا والمشهور أنهم من اليمنية، وأن إفريقس لما غزا إفريقية أنزلهم بها، وعندي أنهم من إخوانهم أي من العرب والله أعلم"[2].

ويروي ابن خلدون كذلك"أن نسابة زناته ينسبون أنفسهم إلى حمير وإلى العمالقة" [3] . لا يختلف اثنان في استقصاء حقيقة عاشتها هذه المنطقة عبر ممر السنين؛ ألا وهي أن سكان هذه المنطقة هم خليط من كل الشعوب التي حكم عليها التاريخ أن تستقر أو على

[1] - تاريخ الجزائر العام. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي. دار الثقافة بيروت. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ج4 1982. ص: 21.
[2] - تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمان ابن خلدون. الجزء 6. ص: 192.
[3] - نفسه الجزء 7. ص: 6.

الأقل المرور بمنطقة "تلمسان" وما ينجر عن ذلك في التغير اللغوي انطلاقا من نظرية لغوية حديثة هي أن اللغة والإنسان عاملان متلازمان ومتلاحمان، يعطي ويأخذ، وبقدر ما يكون هذا الأخذ والعطاء سوف يكون نصيبهما- لا محال- من مدارج التأثر. وهذا الخليط العرقي أعطى للهجة تلمسان نوعا من التشعب من حيث مكوناتها الصوتية و المعجمية.

مصطلح التغييراللغوي يحتاج شرحا وتوضيحا باعتباره ظاهرة ملتصقة بأثر المجتمع أو الثقافة في اللغة، وهو واحد من بين الميزات التي تميز علم اللغة الحديث ذلك لأن اللغات تتغير باستمراره، وأن هذا التغيير ليس بالضرورة فسادا في اللغة وانحرافا عن التغيير الصحيح. كما يعتبره اللغويون القدامى أن التغيير اللغوي في أغلب أحواله ضرورة ملحة، وهو أيضا حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها أو التغاضي عنها، فلقد حدثت في مجتمعنا تطورات كبيرة وشاملة في عالمنا المعاصر في وسائل الحياة وحتى في نظرة الإنسان إليها، مما دفع ببعض اللغويين المحدثين إلى تنظير بعض النظريات حول علاقة اللغة بالعالم الخارجي. كتلك التي أقرها"**فرانز بواس**" ***Franz Boas***و **سابيرووورف**" ***Sapir and Whorf***: نظرية اللغة والنظرة إلى العالم، والتي سوف نعرض إليها لاحقا بشيء من التفصيل.

فخلاصة القول هو أن اللغة لم تكن بمعزل عن التطورات الحاصلة في العالم، فهي أداة التعبير عن حاجات المجتمع.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن ننوه بأن مصطلح التغيير اللغوي يشمل موضوع دراستنا والذي يمكن عده لهجي أو بصيغة أخص، ناجم عن التغيرات وطرق التعبير واختيار المفردات لدى النخبة المثقفة. ولا عيب في ذلك باعتبار أن بعض الدارسين يقرون ألا فرق من وجهة النظر العلمية الدقيقة بين اللغة"واللهجة"، فما يسمى" لغة قد يكون "لهجة" متفرعة من أصل سابق وما يسمى "لهجة" يمكن عده "لغة بانتظامها قواعد منضبطة ولها استقلالها لغويا وبالأخص وظيفيا، فالفرق بينهما- إن كان هناك فرقا- كالفرق بين المجتمع الأكبر والمجتمع الأصغر؛ كلاهما يؤلف مجتمعا قائما بذاته ومقوماته الأساسية، شأنه في ذلك شأن

وجهتي العملة الواحدة. كانت لغة أم لهجة، فهي عملة متداولة بين المجتمع الواحد الذي أقر لها رموزا وتعارف عليها.

فمما سبق ذكره من الخصائص الجغرافية والمرحلة التاريخية يتضح أن لهجة تلمسان لها صلة وثيقة بالمجتمع الذي تستعمل داخله، ولو بحثا عن صورة أفضل كان لزاما علينا أن نتحدث عن المتغير كوحدة لغوية أو سوسيولسانية .

فاللغويون القدماء لاحظوا أنه توجد بعض الخصائص اللغوية كنطق "القاف" "والكاف" و"السين" وما إلى ذلك من الظواهر اللهجية كالشنشنة والكسكسة والعنعنة، إلا أنهم كانوا ينعتونها بالمتغيرات الحرة "***Free variation***" أو الخلط اللهجي"***Dialect mixture***" لكن على العكس من ذلك رأى معظم اللغويين المحدثين أن المتغيرات ليست حرة بالمطلق و لكنها مقيدة بالمتغيرات اللغوية أو الاجتماعية، وأصبحت المتغيرات مرنة ومحل الدراسة وأخيرا متداخلة في نظرية اللغة العام :"تشامبرز" و"ترادقيل" "***Chambers and Trudguil***" في 1980 اعتبروا المتغير"كوحدة بنيوية"، والمورفيم فقالوا:

''A linguistic unit with two or more variants involved in correlation with other social and for linguistic variable''.

بمعنى أن: "الوحدة اللغوية ذات المتغير الواحد أو متغيرات تعني أو تهتم– وهو ضروري – بالمتغيرات اللغوية والاجتماعية".

بالطريقة نفسها عرف"**لابوف**" "***Labov***" المتغيرات السوسيولسانية كالآتي:

"One which is correlated with somehow linguistic variable of the social context of the speaker, the addressee, the setting …etc. Labov.1970.p :66.

بمعنى أن: " الشخص الذي هو مترابط مع بعض المتغيرات غير اللسانية للسياق الاجتماعي للمتكلم، المرسل إليه، المستمع، المحيط أو المجال...الخ".

فمما سبق ذكره نجد أن الحياة الاجتماعية في "تلمسان" كبقية المجتمعات الأخرى– شهدت تغيرا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى خاصة، بحيث انقلبت الأوضاع جميعا رأسا على عقب، مما أعطى ميلاد لهجات خاصة بكل حرفة أو مهنة، وبالتالي كل طبقة اجتماعية، بمعنى آخر أصبحت "تلمسان" المدينة وضواحيها تتوزع وتنتشر ثلاث لهجات – إن أصبنا في اختيار المصطلح– اللهجة الحضرية، اللهجة البدوية، واللهجة الحوزية، وسوف نعود للحديث عن هذا الموضوع بأكثر دقة وتفصيل حينما يدعونا المقام للحديث عن الحالة السوسيولسانية وانتشار اللهجات في منطقة "تلمسان.

فالظاهر أن التجارة والمصاهرة والاتصال اليومي بين سكان تلمسان وأهل الريف لم يؤثروا في طريقة نطق سكان هذه المنطقة ، إذ استطاعوا أن يحافظوا على خصائص منطوقهم –إن لم نقل– فرضوها أحيانا، وانصهرت واندثرت أحيانا أخرى حسب مقام الحديث، إلا أن المؤكد هو أن للعامل الجغرافي دوراً فعالا في تنوع منطوق المتكلم.

قائمة الرموز الصوتية:

تحتوي اللغة العربية على خمسة وثلاثين فونيما تركيبيا، موزعة على النحو التالي[1]:

1- ثلاثة فونيمات للعلل القصيرة ***Short vowels***

2- ثلاثة فونيمات للعلل الطويلة ***Long vowels***

3- فونيما لأنصاف العلل ***Semi- vowels***

4- سبعة وعشرين فونيما للسواكن ***Consonants***

وهذه الفونيمات مع رموزها هي[2]:

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي
العلل القصيرة	الكسرة القصيرة الضمة القصيرة الفتحة القصيرة الكسرة الطويلة (ياء المد)	....ُ..... .....ِ ي	i U a İİ í أو İ
العلل الطويلة	الضمة الطويلة (واو المد) الفتحة الطويلة (الألف المد)	و ا	U أو ù أو uu a أو à أو aa
أنصاف العلل	الواو الياء	و ي	W J

[1] - دراسة الصوت اللغوي. د. أحمد مختار عمر . عالم الكتب القاهرة . ط 3، مصر 1910. ص:267 – 268.

[2] - دراسة الصوت اللغوي. د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب. القاهرة . ط 3، مصر 1985 . ص: 267 – 268.

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي
	الهمزة	ء	[ʔ]
	الباء	ب	T
	التاء	ت	O
	الثاء	ث	Dz
	الحاء	ح	H
	الجيم	ج	X
	الخاء	خ	D
السواكن	الدال	د	J
	الذال	ذ	R
	الراء	ر	Z
	الزاي	ز	S
	السين	س	F
	الشين	ش	S
	الصاد	ص	D
	الضاد	ض	T
	الطاء	ط	J
	الظاء	ظ	؟
	العين	ع	Y
	الغين	غ	F
	الفاء	ف	F
	القاف	ق	Q
	الكاف	ك	K
	اللام المرفقة	ل	I
	اللام المفخمة	.	!
	الميم	م	M
	النون	ن	N
	الهاء	ه	H

مقدمة:

يرى اللغويون المحدثون نحو" **سابير**" وتلميذة **وورف** ***(Sapir and Whorf)***، أن لغتنا تحدد الطريقة التي نفكر بها، وأن اللغة ما هي إلا مرآة تعكس بصورة حقيقية المستوى الثقافي والفكري للفرد. فما هي العلاقة بين المستوى الثقافي والسلوك اللغوي للفرد داخل الجماعة يا ترى؟ وهل من رابطة بين المستوى التعليمي والنمط اللهجي للمتكلم؟

لقد قدم **وليام مارسي** ***(W.Marçais)*** عدة أبحاث عن نشأة اللهجات العربية في المغرب العربي، واستنتج من مجموعات بحوثه أن المنطقة تعربت وظهرت فيها لهجات مغاربية عرفت لاحقا بإسم اللهجات العربية الحضرية وأخرى باللهجات العربية البدوية: يقول **و.مارسي**[1] "إن الغزو العربي لشمال إفريقيا بدأ خلال النصف الثاني من القرن السابع ميلادي قابله رد فعل أمازيغي امتد على فترة زمنية طويلة نسبيا، وفي القرن الثامن إستولى العرب على المغرب نهائيا وأصبح تابع للمشرق العربي، وبارتباط المغرب الوثيق بالمشرق العربي استطاع القادة الجدد أن يضعوا في المنطقة بصمات لن يقدر الزمان أن يمحوها أو يزيل أثرها، إذ تمكنت السلطات العليا في دمشق من تعريب السكان. مما جعل من اللغة الفصحى هي اللغة القومية للأمة العربية وبجميع أقطابها، وعلى الرغم من كل تلك الاختلافات اللهجية المحلية فإن لغة القرآن الكريم لا تزال وحدها اللسان القومي لهذه الأمة". ولا زال العرب يستعملون تلك اللغة في مختلف المناسبات الرسمية، بينما تستعمل العاميات واللهجات كأداة تفاهم يومي بين مواطني القطر الواحد، الأمر الذي يوحي بجدية وأهمية "علم اللهجات"، والذي يساعد في بحث التطور اللغوي للواقع العربي بما فيها تلك الأنماط المستعملة من قبل النخبة المثقفة أو المتنورة.

[1] نظرة المستشرق وليام مارسي في تعريب المغرب العربي، 1940، ص: 233.

اللغة العربية كباقي اللغات عبر العالم تتطور بمرور الزمن، وذلك لمواكبة العصر وابتكاراته العلمية والتكنولوجية وما ينجر عنها من آثار تبقى راسخة في أذهان الفئة التي هي في احتكاك دائم مع ما ينجر عن الأنترينت ومخلفاتها- كانت إيجابية أم سلبية- فلسان المثقف العربي، أوحتى الجزائري غير لسان عامة الشعب وذلك بحكم العوامل التاريخية و المنظومة التربوية التي انتهجتها الجزائر على الأقل منذ الاستقلال. وبات ضروريا وضع حلول ناجعة والوقوف في وجه أطراف عديدة في مقدمتها الفرانكفونية التي تسعى لبسط سيطرة لغتها وفرض واقع لغوي مغاير، وذلك من خلال إنعاش الصراعات بين اللغة العربية والأمازيغية وبين الفصحى والعامية. هذه اللغة التي تعتبر اللغة الأم للعديد من المهتمين بها، صارت مطلبا أساسيا في الساحة اللغوية الجزائرية والتي تعالت لأجلها أصوات الغيورين عليها وسط ازدحام اللغات الأجنبية التي غزت الساحة، ونادت بضرورة تعميم اللغة العربية ووضع سياسة للتعريب؛ ويرى بعض المثقفين المطالب اللغوية الأخرى في الجزائر على أنها تحمل في طياتها التشتيت وتهديد الوحدة الثقافية والهوية العربية.

لقد عرفت اللهجة الجزائرية إبان وعقب الغزو الفرنسي تشتيتا، أفرزه من جملة ما أفرزه تخلي الناطقين عنها، ويفسر أيضا سياسيا بالإجراءات القمعية الممارسة في وجه من يكتبها، أو من يتناولها كموضوع بحث. وسرعان ما تأثرت الحالة اللغوية في الجزائر باللغة الفرنسية، يقول "**تنغور**" ***(Tengour)*** في هذا السياق:

« ***En 1962 : Les Algériens deviennent indépendants. Mais ne se libèrent pas. Le constat se réalisé au milieu d'une accumulation. De plus, La France est plus présente que jamais en chaque Algérien ».***

بمعنى: "إستقل الجزائريون سنة 1962 ، لكن لم يصبحوا أحرارا، زيادة على ذلك فإن اللغة الفرنسية موجودة لدى كل جزائري أكثر من أي وقت مضى".

وحدث من ثم تغييرات في الأصوات، وتجديد في أساليب النطق، فبرز سجل جديد من المفردات ليس له ما يعادله في اللغة كما ظهر نمط تعبير مغاير يستعمل من قبل النخبة المثقفة.الأمر الذي دفع بنا إلى دراسة السجل اللهجي ومختلف الأشكال التعبيرية لدى النخبة المثقفة في تلمسان. حيث ركزت بالأساس على تلك المكنيزمات الفاعلة في ذلك التنوع من ازدواج لغوي، ثنائية لغوية، خلط لغوي، تعدد لغوي، اقتراض، هذا دون إغفال العوامل السوسيولسانية من تدرج سني، نوع المتكلم (جنسه)، انتماؤه الجغرافي، والطبقة الاجتماعية التي ينحدر منها.

وقد سرت في عرض هذه الرسالة وفق خطة كيفية وكمية انبثقت أولا من طبيعة الموضوع نفسه، ثانيا من كم المادة المجموعة، وتمثلت في مدخل وأربعة فصول وخاتمة حيث حاولت أن أحصر الإشكالية في منطقة تلمسان. ولذلك تناولت في المدخل الحدود الجغرافية لمنطقة تلمسان والذي جعل منها محل أطماع الكثير من الغزاة، وأبرزت كذلك تنوع التضاريس وماله من أثر على تنوع المناخ الذي يسود المنطقة، وأهم العادات والتقاليد التي تمتاز بها المنطقة. و كذا أهم العلماء الذين مروا بتلمسان، وذلك بالحديث عن الجوانب التاريخية التي عرفتها المنطقة، و قد أثرت تلك الفسيفساء الشعبية التي حكم عليها التاريخ أن تستقر أو على الأقل المرور بتلمسان على مستوى النطق.

وعلى ذلك، فقد خصصت الفصل الأول للتعريف بالمصطلحات اللغوية الأساسية في مثل هذه البحوث، وذلك من خلال عرض أهم التعريفات التي أطلقت على علم اللغة الاجتماعي، واللغة، واللهجة، والمنطوق والصلة بينها، وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث، فالمبحث الأول درست فيه الفرق بين علم اللغة الاجتماعي، وعلم الاجتماع اللغوي وأهم المواضيع التي تضمنها كلا الفرعين مع إبراز أهم العلوم التي لها صلة بعلم اللغة الاجتماعي باعتبار أن موضوع بحثنا يختص بتقديم مختلف تعاريفها وصفاتها، كما أبرزت كذلك من خلال المبحث الثاني معايير التمييز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.

أما المبحث الثالث فتعرضت فيه إلى الإطار السوسيولساني للمنطقة، وكذا أهم الخصائص التي يمتاز بها نموذج المنطوق بتلمسان، وتحدثت أيضا عن ظاهرة تغيير السياق والتصرف اللغوي، وكذا الخاصية المرفولوجية/الصرفية كأسلوب سوسيولساني دون إغفال الظاهرة المعجمية لمنطوق تلمسان وخصصت المبحث الرابع لأتناول فيه التطور الذي حصل في علم اللهجات الحديث من دراسة جغرافية إلى دراسة علمية جديدة مفعمة بعوامل سوسيوثقافية ولغوية محضة تدفع الدارس للحديث عن البنية السوسيولسانية لعلم اللهجات الحديث.

أما الفصل الثاني فخصصته لدراسة الحالة اللسانية في الجزائر عامة وأثرها على تنوع المنطوق لدى النخبة المثقفة، حيث ركزت وبصفة خاصة على أهم السياسات المتبعة من قبل الحكومة من أجل تعريب المنظومة التربوية، مبرزا العلاقة بين العربية الفصحى الحديثة والعربية الجزائرية، ثم العلاقة التي تربط اللغة العربية بالفرنسية من خلال واقع الاستعمار الفرنسي، وتطرقت للصراعات القائمة بين العربية، الأمازيغية، والفرنسية، ثم إنتفاظة الطلبة المعربين، كما سلطت الضوء على الإطار اللغوي العام منذ الاستقلال مرورا بكل الحكومات التي قادت الجزائر منذ 1962.

و كان الفصل الثالث من بحثي منصبا على أهم الآليات التي تحكم منطوق تلمسان، وركزت بصفة خاصة على المستوى الثقافي، والجانب الاجتماعي وكذا عاملي التدرج السني أو (العمري)، والنوع (جنس المتكلم)، وأخيرا المنطقة الجغرافية التي ينحدر منها المتكلم وأثر كل تلك العوامل على تنوع المنطوق، وقد قسمت هذا الفصل إلى خمسة مباحث، تناولت في المبحث الأول كيف يمكن للمستوى الثقافي أن يؤثر في طريقة النطق، وقبل ذلك عرفت مصطلحي الثقافة والنخبة المثقفة. ثم عرضت في المبحث الثالث، كيف يمكن لعامل النوع (جنس المتكلم) أن يكون آلية تتحكم في تنوع المنطوق وأبرزت أهم الخصائص التي تتسم بها طريقة الكلام عند الإناث مقابل الذكور، من بيان الفروق الصوتية، والصرفية، وأخرى

نحوية ودلالية، كما أبرزت أهم الأسباب التي تجعل من منطوق الرجال مختلفا عن نظيره عند الاناث. كما عرضت للحديث في المبحث الرابع عن أثر العمر في تنوع السجل اللهجي للمتكلم، وكيف أن هناك فروق في الطريقة التي يتكلم بها الناس على اختلاف أعمارهم؛ بين شيوخ وشباب،لأختم في المبحث الخامس بالحديث عن أثر الإنحدار الجغرافي في تنوع المنطوق، وذلك ما يتجلى في الرصيد اللهجي المتداول بين المتكلم الحضري ونضيره الريفي.

وجاءالمبحث التالي نوعا ما كيفيا, مخصصا للحديث عن أهم الظواهر السوسيولسانية التي يمكن لها أن تغير منطوق النخبة المثقفة من ازدواجية لغوية تختلف باختلاف سياقات الكلام، وثنائية لغوية تعكس تكوين المخبر أو تأثره باللغة، أو اللغات الأجنبية الغازية للعربية الفصحى عامة والجزائرية على وجه الخصوص، باعتبار أن معظم إطارات النخبة زاولوا دراساتهم العليا في دول أوربية أو بالأحرى بفرنسا. كما تطرقنا لظاهرة المزج اللغوي أو الخلط اللغوي والذي يعزى أساسا إلى عوامل عدة لعل أهمها هو الغزو الثقافي عبر مختلف الابتكارات التكنولوجية والأنترنت من جهة، ونتيجة التقهقر اللغوي العربي الذي يعاب على المتكلم الجزائري عامة والنخبة المثقفة على وجه الخصوص.

أما الفصل الأخير فقد جاء تطبيقيا، تحليليا لمختلف التنوعات النطقية للنخبة المثقفة والتي استخلصناها من خلال الإستقصاء الذي قمت به مع عينة مثقفة مكونة من مائة وثمان وثمانين مخبرا، بالإضافة الى مختلف المساءلات التي قمت بها من خلال التسجيلات الإذاعية لإذاعة تلمسان، وبطريقة سرية، مع عدد لا بأس به من ممثلي هذه النخبة وذلك بغية الوصول إلى نتائج دقيقة وعلمية من خلال العفوية التي لمستها من خلال التسجيلات السرية للمخبرين، مع إبراز كل تلك النتائج المتوصل إليها أو النسب المئوية عبر دراسة إحصائية من خلال أعمدة بيانية أو دوائر نسبية.

وفي الأخير أنهيت بحثي بخاتمة كانت بيانا لمختلف النتائج التي توصلنا إليها راجيا أن تساهم بشكل أو بآخر في إثراء مثل هذه الدراسات السوسيولسانية للهجة الخاصة بمنطوق النخبة المثقفة في تلمسان .

وقد اعتمدت في هذه الرسالة على أمهات مصادر اللغة واللهجات، وعلم اللغة الاجتماعي، أذكر منها ما كان من المتقدمين العرب، "كالخصائص" لابن جني، "الكتاب لسيبويه"، وثلة من المتأخرين نحو:"في اللهجات العربية" لإبراهيم أنيس، "واللهجات العربية نشأة وتطورا" لعبد الغفار حامد هلال، علم اللغة الاجتماعي لصبري إبراهيم السيد، كما استفدت من بعض المراجع مثل" اللهجات وأسلوب دراستها" لأنيس فريحة، كما اعتمدت على بعض كتب المستشرقين مثل" دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو وقد عربه صالح القرمادي، وبعض المراجع الأجنبية وذلك بحكم شح المراجع باللغة العربية، جاء اعتمادي على البحوث باللغات الأجنبية مثل ***Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen*** **لوليام مارسي** و "***les Parlers Arabes***" **لفيليب مارسي** و ***"Dialect Converging*** **ليول كيرسويل**.

وبحكم طبيعة الموضوع استندت إلى المنهج الكمي والكيفي ***quantitative et qualitative*** وذلك قصد تقديم وصف أعم وأشمل للعينة المدروسة وتحليلها سوسيولسانيا من خلال تحليل مختلف السلوكيات اللغوية المنتهجة من قبل النخبة المثقفة، وقد جمعت مدونة هذا البحث عن طريق المساءلة والمشافهة دون أن يعي المخبر بأنه يستنطق عبر التسجيل السمعي لمختلف فئات النخبة المثقفة.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن طريق هذا البحث كان صعبا للغاية وذلك لندرة المصادر اللغوية الهامة والتي تناولت مثل هذه المواضيع اللهجية من جهة، كما تحملت عناء السفر إلى دول عربية، وأوربية عديدة قصد الحصول على مصادر أساسية في مثل هذه البحوث ترجمتها إلى العربية من جهة أخرى، ورغم كل هذا إلا أنني أحسست وأدركت في الوقت

عينه أنها أبجديات البحث العلمي الأكاديمي، فالمعاناة من أجل الصواب أفضل من النوم على أشواك الخطأ.

وفي الأخير أسأل الله التوفيق وأتمنى من السميع العليم أن يعود هذا البحث بالنفع على الكل؛ بما في ذلك كاتبه وقارئه، وحسبي من المطلعين هذا العمل العذر الذي يرفع عني حرج النقص، كما جاء على لسان الأصفهاني: "ما كتب أحد في يومه كتابا إلا قال في غده لو زيد كذا لكان أحسن، ولو حذف كذا لكان يستحسن، ولو أطبق كذا لكان أصوب، ولو نقص كذا لكان يستصوب، وهذا دليل على جملة النقص على جميع البشر".

والشكر الجزيل موصول إلى المشرف، الأستاذ الدكتور"**محمد سعيدي**" الذي كان دائما خير سند معنوي وقدوتي العلمية، وما بخل علي قط بإرشاداته العلمية والمنهجية من أجل التفوق وتخطي كل الصعاب، كما أشكر كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث.

وإني أشكر مسبقا كل من يقوم في هذا البحث خطأ أو يصوب رأيا، فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإن أصبت فمن الله وحده.

المبحث الأول:

علوم اللغة الاجتماعية:

"في البدء كانت الكلمة وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدء والنهاية تبقى الكلمة قوة فعالة وأداة مسيطرة على حياة البشر. إنها تصل الإنسان بأخيه الإنسان، وتكوّن المجتمعات وتبني الحضارات، وهي بهذا الوصل وذلك التكوين البناء تميّز الإنسان من سائر المخلوقات، فهو اجتماعي بطبعه[1] ولما كانت اللغة بهذا الامتياز تعلّم وترشد متكسّب الخبرة وتنمّي المعرفة، وتعمّق الفكرة منطوقة أو مكتوبة فإنها تضع للإنسان حاجاته بين يديه، وتغنيه عن عناء البحث، فدراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وعنصرا من مكوّنات الثقافة حظيت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام الخاص مما تمخض عنه ميلاد علم قائم بذاته اصطلح عليه بمصطلح "علم اللغة الاجتماعي" أو ما يسمى بالإنجليزية "***sociolinguistics***"، ذلك أن دراسة اللغة وعلاقتها بالثقافة والمجتمع حقل واسع عريض إلى أبعد الحدود، الأمر الذي ينفي مرجعيته لعلم واحد، ومن بين العلوم التي تتفق مع علم اللغة الاجتماعي في مضمون بحثها نجد "علم الاجتماع اللغوي" ***The Sociology of Language***، علم الأنتربولوجيا اللغوي***Linguistic Anthropology***،علم اللغة الأثنولوجي"***Ethnolinguistics***".

أمّا المصطلح الأول "علم الاجتماع اللغوي" فقد دأب بعض الدارسين على استعماله كما لو كان مرادفا للمصطلح "علم اللغة الاجتماعي" ذلك أنهما يطلقان بالتبادل على شيء واحد أو فرع واحد من الدرس اللغوي الاجتماعي، أو الاجتماعي اللغوي، إلاّ أنّ هناك فرق بين مدلول المصطلحين، وهو عندهم تفريق في درجة الاهتمام: أي أنّ الفرق بين المدلولين يظهر في التركيز على جانب دون آخر: أهو الاهتمام بالجانب اللّغوي؟ أم الجانب الاجتماعي؟

---

[1] علم اللغة الإجتماعي.د. كمال بشر . ط3. 1997. ص: 21.

ورغم كلّ ذلك الفرق فإن هناك نقاط التقاء كثيرة بين اهتمام المبحثين، ومن ثمّ ليس من الضّروري أن نحاول التفريق بينهما، ذلك لأن أوجه التداخل والتشابك بينهما واضحة.

إنّ علم الاجتماع يتناول الّنظم الاجتماعية والاقتصادية، كما يتناول الأديان وعلم النفس والثقافة واللغة، وله اهتمام بالتربية والسياسة والجغرافيا،"فهناك علم الاجتماع الحقوقي، وعلم الاجتماع الاقتصادي، وعلم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع النفسي، وعلم الاجتماع الثقافي، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم الاجتماع التربوي، وعلم الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع الجغرافي، وكلّها مستويات مترابطة تنطلق من المادّي الملموس وصولا إلى المستوى النفسي والعقلي ومرورا بالتنظيمات الاجتماعية والتصرفات والأدوار والمواقف والرموز والقيم[1] فالواقع الجغرافي مثلا تعالجه المورفولوجيا الاجتماعية، والواقع النفسي يعالجه (علم النفس الاجتماعي)، والواقع الثقافي يعالجه علم الثقافة الاجتماعي، أما الواقع اللغوي يعالجه علم اللغة الاجتماعي.

وحقيقة الأمر أنّ هذه المصطلحات السابقة كلّها ليس لأي منها مفهوم مطلق وليس لها استقلال أو كيان منعزل، فكلّها بمسمياتها متداخلة وذات صلة وقرابة وثيقة من حيث مواضيع الدّرس والهدف وطبيعة العمل فيها، ويمكننا تفسير هذا التشابك من حيث العموم والخصوص بين علم الاجتماع وغيره من العلوم ذات الصلة بموضوعنا بالبيان التالي:

1- علم اللغة الاجتماعي، د. كمال بشر.ط3. 1997.ص: 43.

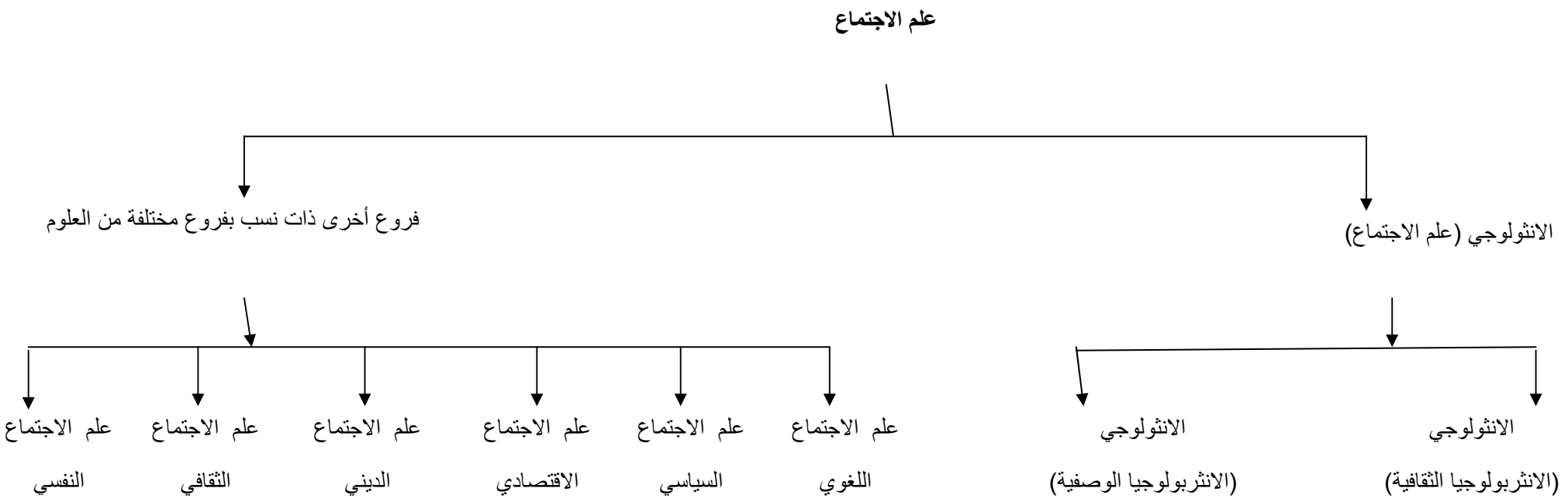
علم الاجتماع
الانثولوجي (علم الاجتماع)
فروع أخرى ذات نسب بفروع مختلفة من العلوم
الانثولوجي (الانثربولوجيا الثقافية)
الانثولوجي (الانثربولوجيا الوصفية)
علم الاجتماع اللغوي
علم الاجتماع السياسي
علم الاجتماع الاقتصادي
علم الاجتماع الديني
علم الاجتماع الثقافي
علم الاجتماع النفسي

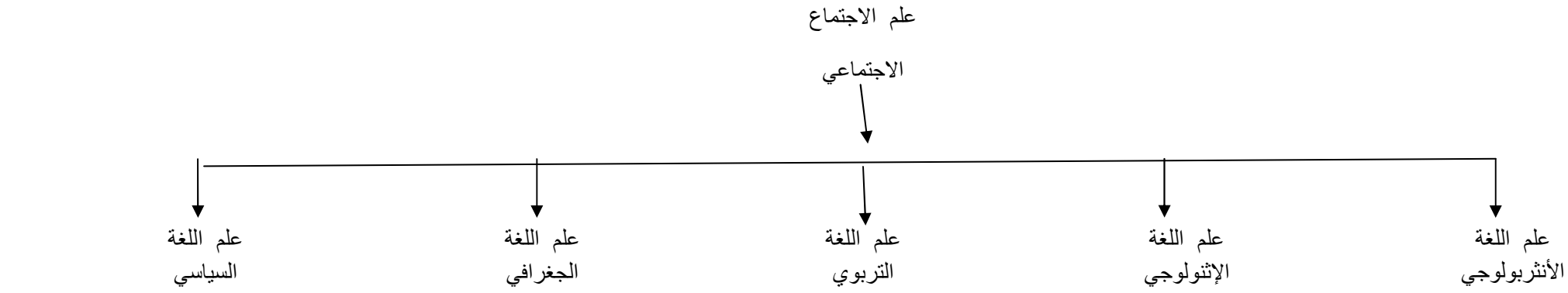
علم الاجتماع الاجتماعي
علم اللغة الأنثربولوجي
علم اللغة الإثنولوجي
علم اللغة التربوي
علم اللغة الجغرافي
علم اللغة السياسي

فكما هو جلي من خلال البيان فإن سعة اهتمامات علم اللغة الإجتماعي متعددة، وعلى الرّغم من حداثته، إلاّ أنه يشمل عدد لا بأس به من التشعبات:

"Sociolinguistics has grown into one of the most important of the "hyphenated " fields of linguistics. This term distinguishes the core fields of historical and descriptive linguistics (phonology, morphology, and syntax) from the newer interdisciplinary fields like psycholinguistics, applied linguistics, neurolinguistics , ethnolinguistics…etc"[1].

بمعنى: "" لقد نشأ علم اللغة الاجتماعي كواحد من أهم الحقول المهمّة باللسانيات.هذا المصطلح يميّز أهم الحقول التاريخية و الوصفية (الصوتية، الصرفية، التركيبية) عن الحقول المتداخلة الجديدة كـ: علم النفس اللغوي، اللسانيات التطبيقية، علم الأعصاب اللغوي، علم اللغة الاثني...الخ"".

ومن ثمّ فوظيفة علم اللغة الاجتماعي هي البحث في الآليات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، إنه ينظر في التغيّرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة مع بيان هذه الوظائف وتحديدها، أمّا عن أهم المباحث التي يعرض لها فهي مشكلات التنوعات اللغوية في المجتمع الواحد، وموقع هذه التنوعات من اللغة النموذجية، أو الفصحى في حالة العربية.

جدير بالذكر أن علم اللغة الاجتماعي، ليس بمقدور جهوده أن تصل إلى حلول جذرية لهذه المشكلات إلا أنه وفي أضعف الحالات يستطيع أن يمدنا بمعلومات أوّلية من شأنها أن تعين الفرد وإمكاناته اللغوية: ماذا يستطيع أن يقول، وما وسائل هذا التعبير، ومن الذي يخاطبه، ومتى وأين؟

وحين نستعرض بعضا من التعريفات التي وضعها اللغويون للغة تبيّن لنا بروز الجانب الاجتماعي في معظم هذه التعريفات:

1- يعرف ابن جني اللغة بأنها"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، والمقصود بذلك أن اللغة عنده ظاهرة اجتماعية إنسانية، تنمي وتتطور بحضور الدّاعي[3]".

---

[1] Sociolinguistics. Bernard Spolsky. Oxford Universty Press. New york. 2010. P03.

[2] ابن جني. الخصائص . ص:22.

[3] د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. ت، ص: 105.

2- أما إدوارد سابير ***(Sapir)*** فيعرّفها على أنها"وسيلة إنسانية... لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية"[1].

3- وفندريس (Vandres) يعرّفها بأنها: "الصورة اللغوية المثالية التي تفرض نفسها على جميع الأفراد في مجموعة واحدة"[2]، فاللغة نتاج طبيعي للنّشاط الإنساني نتيجة لتطابق ملكات الانسان على حاجاته الاجتماعية[3]، ويقول أيضا"لقد وجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم[4]".

4- اللغة بالنسبة **لستيرتيفانت** (Sturtevant) هي: "نظام من رموز ملفوظة عرفية، بواسطتها يتعاون أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة[5]".

5- أمّا بلادمير **مالينوفسكي*(B. Malinowski)***، فيرى أن اللغة ذات وظيفة اجتماعية، وليست إحدى وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من الوظائف المتعددة للغة[6].

وقيل: إن الإنسان هو التمدن بالطبع، والتوحش دأب السباع، ولهذا المعنى توزعت الصّنائع، وانقسمت الحرف على الخلق، فكلّ واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها، لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده. فحينئذ لا يخلو من أن يكون محل حاجته حاضرة عنده أو غائبة بعيدة عنه، فإن كانت حاضره بين يديه أمكنة الإشارة إليها،

---

1 E. Sapir. Language. An introduction to the study of speech. P79.

2 Sociolinguisyique, Bernard Spolsky, Oxford, University Press, New York, 2010, P : 3.

3- قندريس . اللغة . ص:306.

4 -. نفسه . ص: 39.

5 - نفسه . ص: 35.

6 - أولمان . دور الكلمة في اللغة. ص: 23.

وإن كانت غائبة فلابد له من أن يدلّ على محل حاجاته وعلى مقصوده وغرضه، فوضعوا الكلام دلالة[1].

ونذكر أيضا أصحاب نظرية يو- هي- هو (***yo- he- ho***) الذين ذهبوا إلى أن اللغة نشأت من أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى التعاون على أدائه، وأتّحدوا أن اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ عنه وهو منعزل منفرد عن غيره من البشر [2].

فالإنسان ليس مفصولا عن العالم الذي يعيش فيه، إنّه ليس إلاّ جزء منه، إنه ليس موجوداً ليفكر فيه ولكن ليعمل ما يناسب... وهذا ينطبق على أهمّ نشاط اجتماعي للإنسان[3].

وحيث تتكلم عن العلاقة التي تربط اللغة بالمجتمع، أو عن ما تؤديه اللغة من وظائف عديدة في المجتمع، ينبغي أن نعرّف كلا المصطلحين: فالمجتمع هو مجموعة من الناس تترابط من أجل غرض أو أغراض معينة. واللغة هي ما يتكلّمه أفراد مجتمع معين.[4]

ورغم أنّ هذين التعريفين يعبّران عن تصور شامل لكل من المصطلحين فإن هذه الشمولية تقدم لنا فائدة كبيرة، خاصة حين يتبين لنا أنّ هناك أنواعا عديدة من المجتمعات علينا أن ندرسها، وأن الكلام في المجتمع يمكن أن يظهر في أشكال مختلفة غاية الاختلاف، وأن بعض المجتمعات قد تكون متعددة اللغات ***(plurilingual)***، فيستعمل عدد كبير من أفراد المجتمع أكثر من لغة[5].

---

[1] السيوطي، المزهر، ص: 36.

[2] السيوطي المزهر . ص: 36.

[3] Firth , the Tongues of Men. P19.

[4] د. صبري ابراهيم السيد . علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياه. 1995. ص:6.

[5] Wardaugh. H. R. An introduction to Sociolinguistics .p1.

وما يؤكّد هذه الأفكار هو تلك الأبحاث الموصولة باللغة، والتي إذا ما نظرنا إلى تاريخ اللغة، فلا نكاد نجد أبحاثا معزولة عن توزيعاتها الإقليمية والاجتماعية فها هو "**فيرث**" ***J. R. Firth*** يطلع علينا بفكرة السياق، التي تشبه "المقام" الذي نص عليه علماؤنا العرب، فالكلام عنده ليس ضربا من الضوضاء يكفي في فراغ، وإنّما مدار فهم الكلام والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معين، أمّا عن العناصر المكونة لعملية الإتصال والتفاهم فهي كالآتي:

أ- المتكلم.
ب- المتلقي (أو جملة الحضور وجملة الأشياء الموجودة بالموقع).
ت- الزمان والمكان.
ث- الكلام .
ج- الموضوع المناقش.
ح- قناة الكلام (رسالة، انترنيت، هاتف...الخ).

ومن هنا يضيف بعض اللغويين وجهة نظر **نعوم تشومسكي** (***N. Chomsky***) بأنها نوع من النشاط العقيم، حيث ترفض رفضا تاما أي إهتمام بالاستعمال الاجتماعي للغة، "وتحاول أن تثبت أن اللغة عملية عقلية معقدة، وأن العلاقات المعنوية في الجملة علاقات رأسية كما هي علاقات أفقية، وأن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محددة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها[1]".

أمّا عن الروابط بين اللغة والمجتمع فهي متعددة، وتنوعت وجهات النظر فيها على الشكل التالي:

1- فقد ذهب بعضهم إلى أنّ التركيب الاجتماعي يؤثر في النمط اللغوي ولعل ظاهرة التدرج السني، أكبر دليل على ذلك، حيث نلمح اختلافا بين طرفية كلام الصغار عن طريقة كلام

[1] - د . نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. ص:140.

الكبار، فالتنوعات اللغوية التي يستعملها المتكلمون تعكس أمورا مثل الانتماء الجغرافي، الأصل الاجتماعي، كما كشفت دراسات أخرى عن أنّ هناك طرقا خاصة للتكلم، واختيارات للكلمات والقواعد تحددها متطلبات اجتماعية معينة.

2- ورأى بعض اللغويين أن التركيب اللغوي والسلوك يؤثران في شكل التركيب الاجتماعي، وحتى النظر إلى العالم. وهذا ما جاءت به فرضية **لي وورف** ***(L. Whorf)*** وما يدّعيه **بازيل برنشتين.** ***(B. Bernstein)*** بأن اللغة يمكن أن تكون لها سيطرة اقتصادية واجتماعية من أفراد نوع على أفراد نوع آخر [1]، وذلك حسب المستوى الاجتماعي للفرد، بحيث أقام برنشتين بدراسة عينات من مختلف الطبقات الاجتماعية للمجتمع الإنجليزي، وخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الاستعمال اللغوي يتحدد بالمستوى الاجتماعي للفرد، وذهب "**وورف**" إلى أكثر من ذلك هو أنّ النمط اللغوي للفرد يحدّد نظرة المتكلم للعالم الخارجي، وذلك أن الإنسان في تأثر دائم بالمحيط الذي من حوله، وبالتالي فإن اللغة المستعملة تعطي نظرة شافية عن الظروف التي تحيط بالمتكلم، ولذلك فإنّ معرفة البشر بهذا العالم، وتجاربهم فيه ونظرتهم إليه ومواقفهم منه، تختلف باختلاف اللغات التي يتكلمونها، أي أنّ العالم كما يراه بعض الناس يختلف عن العالم كما يراه الآخرون، إذا كان كل من المجموعتين أو المجتمعين يتكلم لغة مختلفة[2].

3- أما البعض الآخر فيرى أن كلاّ من اللغة والمجتمع يؤثر أحدهما في الآخر، فقد قدم "**ديتمار**" ***(Dittmar)*** نظرة ماركسية يزعم فيها أن السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأن حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة[3].

---

[1] – Wardaugh. P11.

[2] – أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة. ص:217.

[3] – Wardaugh. P12.

4- كما يحرص **جومبيرز** ***(Gumperz)*** على أنّ علم اللغة الاجتماعي هو محاولة لإ يجاد روابط بين التركيب الاجتماعي والنمط اللغوي، وملاحظة أي تغيرات تحدث"[1].

فمن خلال ما سبق ذكره، يتجلّى بصورة أو بأخرى أن الأداء اللغوي يتحدد حسب الطبقة الاجتماعية والخلفية التعليمية للفرد.

وباختصار فإن علم اللغة الاجتماعي هو نوع من العلوم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الانساني: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك كما أنه "يركز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة، وهذا لا يشمل استعمال اللغة فحسب، وإنما يشمل أيضا اتجاهات اللغة والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة[2].

المبحث الثاني:

2- بين اللغة واللهجة:

قبل الخوض في التعريف بهذه المصطلحات لابد أن ننوّه بأن لكل لغة عدد من التنوعات اللغوية تحيا بها وتتألف منها ويعرّفها "**هيدسون**" "***R. A. Hudson***" بأنها "مجموعة من المواد اللغوية ذات التوزيع المتماثل[3]" إلاّ أن الثابت هو أن النظرة إلى اللغة تختلف من شخص لآخر ومن عالم لآخر، بيد أن المتعارف عليه بين العلماء هو أن اللغة عبارة عن مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[4]، لكن هذه النظرة وهذا التوجه قد تغيّر وأصبحت "اللغة" تعرّف كما يرى"**فرجيسون**" ***"Ferguson"*** على أنها "مجموعة من نماذج الكلام الإنساني، متجانسة التكوين، يمكن تحليلها بواسطة أساليب الوصف السنكروني الفنية

---

1 Language and society. W. Downes . Cambridge. 1998. P 287.
2 Sociology of language and culture, V. Bergvall, New York, 2004, P: 212.
3 Sociolinguistic, R.A. Hudson, Cambridge university press, Cambridge 1996, P : 96.

4 الخصائص، ابن جني، ج1، دار الكتب، 1952، ص: 33.

المتوافرة، وفيها ذخيرة من العناصر، بترتيباتها أو عملياتها، ومجالها الدلالي الواسع يعمل في كلّ سياقات الاتصال الرسمية"[1]، وتحدث الدكتور محمود السّعران في كتابه "اللغة والمجتمع، رأي ومنهج" عن وظيفة اللغة فقال: "لقد سبق أن قامت الدراسات اللغوية على أساس أنها فرع من الفلسفة، أو فرع من علم النفس، أو فرع من علم الأنثروبولوجيا[2]"، وخلاصة ما أدت إليه هذه الدراسات هو اعتبار اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار، والعواطف، والرغبات، أو وسيلة لتوصيل الأفكار...الخ.

إذن، وعلى قلّة هذه التعريفات؛ ما هي حقيقة اللغة؟ وبعبارة أخرى كيف لنا أن نعرف اللغة؟

سوف لن نجيب عن هذا السؤال الذي يبدو بسيطا بتعريف جامع مانع، لأن تقديم تعريف علمي شامل "**اللغة**" ليس بالأمر اليسير كما قد يتبادر إلى الذهن.

1.2 :مصطلح اللغة:

للّغة تعريفات كثيرة تداولتها الدوائر العلمية– قديما وحديثا– من أشهرها ما حمله التراث العربي لابن جني الذي أورده في كتابه "الخصائص"، حيث تعتبر اللغة من أهم الميزات.

تعتبر"اللغة" من أهم الميزات التي يختص بها الإنسان، والتي يتصف بها دون سائر الكائنات.

ولقد لفتت هذه الميزة انتباه العلماء الأقدمين الذين أقروا بأهمية موضوع اللغة، وللغة ارتباط وثيق بين الإنسان وبيئته، وتكمن أهميتها في كونها تتيح للإنسان إتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، ومنذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة تفاهم، إذ كما

---

[1] – Absence of copula and the notion of simplicity,. P30.

[2] – فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، ص:25.

يقول "فندريس""أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن اجتماعي أمرا مبتذلا ولعل من أوّل السمات الطبيعية الاجتماعية في الإنسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معا إلى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليتميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد بينهم هذه الخصائص بنفس الدرجة"[1].

وإذا كان بعض الدّارسين لا يجدون أي لبس لإدراك البعد العلمي والمنهجي بين"***Language***" و"***Langue***" في لغاتهم، "فإننا نحن الدارسين العرب نجد اليوم صعوبة التمييز بين هذين المصطلحين الذين نفهمها بكل بساطة بأن اللسان يقابل "***La langue***"، واللغة تقابل "***le langage***" مع أن الأمر غير كذلك، وإن مصطلح "***le langage***" لا يزال غائبا[2].

ويقرّ الدكتور ابراهيم أنيس أنه "يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونو يعبرون عمّا نسميه نحن"باللغة" إلاّ بكلمة "اللسان" تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعني في معظم اللغات السّامية شقيقات اللغة العربية، وقد يستأنس هذا الرأي لما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة "اللسان" وحدها في معنى "اللغة" نحو 8 مرات[3]".

هذا ويعرض الباحثون اللغويون المحدثون بتعريفات مختلفة لمصطلح"اللغة"، وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية التي تمتاز بها، وأبعادها النفسية، وقد يبدو تردّدنا في تعريف اللغة غريبا، لأنّ اللغة من الأمور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف أجناسهم عفويا، فإنها لا تتطلب جهدا ولا تفكيرا "يستعملها الولد بيسر وهي عنده عملية بسيطة كالمشي والأكل والشرب والنوم وغسل

[1] – اللغة، فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 190، ص: 32.

[2] – اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض ، دار هما للطبع، الجزائر، ط20، ص:36.

[3] – في اللهجات العربية، ابراهيم انيس . مكتبة الأنجلو مصرية .ط. 1995. ص: 17.

اليدين قبل تناول الطعام، وها نحن نتكلم في كل حالة من حالات الحياة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار"[1].

ولكن لماذا نقول أن تعريف "اللغة" أمر شاق؟ وما هو معنى "اللغة"؟.

2.2 : اشتقاقها:

اللغة مادة (ل غ و) وفعلها من باب "دعا"، و"سعى"، و"رضى"، ووزنها فعة حذفت لامها وعوّض عنها هاء التأنيث[2].

ويتفق اللغويون وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل "لغا، يلغو" إذا تكلم أو من "لغى، يلغي" بكسر الغين في الماضي، وفتحها في المضارع إذا لهج يقول ابن الجني: "أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت أي تكلمت وأصلها لغوة ككرة، وفلة وثبة كلها لامتها واوت لقولهم كروت بالكرة وتولت بالتلة ولأن ثبة كأنها مقلوب ثاب يثوب[3]".

ولقد أقرّ الأزهري وغيره من أن صلة لغوة بوزن"فعلة"[4] يعني كلّ كلام قبيح ويسمى "لغوا" كلّ كلام قبيح قال تعالى:"لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا"[5]وقال أيضا: "وإذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه قالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين" [6] وقال: "لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما" [7] وقال سبحانه أيضا: "والذين هم عن اللّغو معرضون[8]".

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياه . د. صبري ابراهيم السيد . ص: 121.

[2] – عوامل تنمية اللغة العربية، توفيق محمود شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة ، 1980، ص: 19.

[3] – الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن الجني، تحقيق محمد علي النجار، ج1، المكتبة العلمية، ط2، 1952، ص:33.

[4] – لسان العرب، لابن منضور، القاهرة، ج. 2، ط 138ص: 186-187.

[5] – سورة النبأ، الآية: 35.

[6] – سورة القصص، الآية:55.

[7] – سور ة الواقعة، الآية: 25.

[8] – سورة المؤمنون، الآية:3.

ونقل صاحب تاج العروس أنه يقال: لغا لغوا تكلم، ولغا، ولغا لغوا، خاب وبه فسر ابن شميل الحديث "من قال في الجمعة صه فقد لغا[1]".

ويقول ابن سيدة: اللغا صوت الطائر، ألفه منقلبة عن واو لأنه يقال في معناه، لغو وكل صوت مختلط لغا.

ومن خلال ما سبق ذكره من كلام اللغويين نستنتج أنّ كلمة "لغة" أصيلة في العربية وقد استعملت في هذه السياقات بمعناها الحقيقي الذي هو الأصوات الإنسانية وغيرها "بناء على ذلك لا يقبل القول الذي ذهب إليه بعض المحدثين من كلمة "لغة" على العربية وأمّا معربة من كلمة "***Logs***" الإغريقية التي تعني كلمة أو فكرة ويعزز ذلك- عندهم- التشابه بين الكلمتين"[2].

3.2:حدّها ومعناها:

لقد حاول الكثير من المفكرين الفلاسفة، واللغويين وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، وعلماء الأنثربولوجيا اللغوية وغيرهم إعطاء تعريفات "للغة" حسب مرجعية تخصّصهم، فجاءت معظمها متقاربة ومتباينة في الوقت نفسه، متقاربة من حيث عناصر تكوينها، ومقاصدها، وأثرها، ومن هذه التعريفات عرّفها ابن جني على أنها "أصوات يعبر بها كل قوم من أغراضهم"[3] ومتباينة من وجهة نظر العلوم، والمعارف أو الاختصاص الذي يمثلونه.

فاللغة واسطة العقد وأداة التواصل، مزيج متجانس، وائتلاف متناسق من لهجات أسهمت في بناء العربية وصرحها المتين، وإنها كانت على اختلاف حجة، كما يقول ابن

[1] – عوامل تنمية اللغة العربية، توفيق محمود شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص: 19.

[2] – اللسان والإنسان، د. حسين طاطا، دار المعارف، 1971، ص: 131– 132.

[3] – الخصائص، ابن جني، ج1، دار الكتب، 1952، ص:33.

جني، "وإن تفاوتت في مراتب الإبانة والإفصاح"[1]، كما أن اللغة هي نظام من رموز ملفوظة عرفية يتواصل، ويتعامل، ويتعاون بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة، وعلماء العرب القدامى قد خصّوا اللغة بما يصدر عن الإنسان من الأصوات عن الأغراض، وقصدوا بذلك الحديث عن اللغة التي تلبي حاجات الجماعة، ويهتم بها المجتمع ذلك لأنها الوسيلة التي تفي بأغراض الناس وشؤونهم في الحياة.

ولقد أقرّ ابن خلدون في مقدمته أن "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة في القصد لإفادة الكلام فلابدّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو "**اللسان**" وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[2].

ورغم ذلك لا يزال مفهوم اللغة في العصر الحاضر من أهم وأبرز المباحث التي شغلت بال الباحثين وتؤكد كل التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية للغة وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنساني لآخر.

فقد عرّفها "**ديكارت**" بأنها "الخاصية التي تميّز بها الإنسان عن سائر الحيوانات" وعرّفها "**لاند**" "***Land***" بأنها "وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر، سواء كان داخليا أو خارجيا[3]".

أمّا في تعريف الموسوعتين البريطانية والأمريكية للغة فنجد أنها "نظام من الرموز الصوتية أو نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية"[4] وهي عند "فندريس" "للغة السمعية التي تسمّى أيضا لغة الكلام أو اللغة الملفوظة[5]".

---

[1] – الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان، ط1، 1998، ص:5.

[2] – المقدمة عبد الرحمان ابن خلدون، ن. ط. 196، ص: 546

[3] – عوامل تنمية اللغة العربية، توفيق محمود شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص:22.

[4] – English encyclopedia. English language. Cambridge University press. Cambridge. 1990.p132.

[5] – اللغة. فندريس. ص:32.

ويقول "**مييه**"*Meih*" "إن اللغة كائن مثالي لا سبيل إلى إدراكه إدراكا مباشرا[1]" ذلك لأن الباحث في هذا الحقل يلاحظ بأنها- أي اللغة- مجرد تلك المظاهر الخارجية التي هي مظهر وجودها وسبيل انتقالها والمحافظة عليها".

وفي السياق نفسه يقول الدكتور **السّامرائي**، إن الفضل في لفت الأنظار إلى مفهوم جديد في اللغة كان لـ "**مالينوفسكي**" *Malinowski* العالم الأنثروبولوجي البريطاني حين كتب "وإن اللغة لا تعرف قيمتها إلاّ بمعرفة الوظيفة التي تقوم بها في المجتمع، ولذا قرّر بعد دراسة في بعض المجتمعات، أن اللغة لم تكن مجرد وسيلة للتفاهم، والاتصال فهي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وإنها جزء من السلوك الإنساني، وهي ضرب من العمل، وليست أداة عاكسة للفكر"[2].

ومعنى ذلك أن "اللغة" أكثر من أن تكون أداة للفكر، أو التعبير عن عاطفة، اللغة جزء من كياننا السيكولوجي الرّوحي، وهي عملية فيزيائية اجتماعية، ومن ثمّة فإن اللغة وسيلة مهمة بين أفراد المجتمع والتعبير عن شؤونهم المختلفة فكرية أو غير فكرية من ملتزمات حياتهم الخاصة والعامة.

"فاللغة" بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع، وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع المتكلم يشغل نفسه بها.

و"اللغة" مادة الكتابة وأدواتها بدءا بالحروف وانتهاء بالبناء الأدبي مرورا بالكلمات ثم العبارات.

فاللغة كنظام إشاري الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني وتقوم بدور هام في تشكيل الوعي الذي تنتفي إمكانية وجوده خارجها كما أنّها شكل من وجوده

---

[1] – عوامل تنمية الغة العربية، توفيق محمود شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، . 1980، ص:22.

[2] – نفسه. ص:23.

خارجها كما أنها شكل من وجود الفكر والتعبير عنه، إضافة إلى أنها وسيلة لتثبيت وحفظ المعرفة المتراكمة ونقلها من جيل إلى جيل، ولا يعني ذلك بالطبع أن اللغة والفكر شيء واحد مع شرطية حضورها لتعميمه، إنّ اللغة بعد أن تنشأ تصبح مستقلة استقلالا نسبيا وتتبع قوانين نوعية تختلف عن قوانين الفكر.

وفي الحقيقة فإن الدراسة النظرية خلال العقد الأخير، اهتمت بدراسة قوانين اللغة التشكيلية الاصطناعية، وتركيبها المنطقي، ودلالة الألفاظ المنطقية باعتبار اللغة نظاما محدّدا، له نسيجه الداخلي، ولا يمكن لطبيعة علامة لغوية ما ومعناها أن يفهما خارجه فمن الجانب الفيزيولوجي يعتبر "**بافلوف**" "أنّ اللغة نظام إشاري ثان إضافة إلى دورها الطبيعي والاصطناعي"[1]. فاللغة وسيلة للتواصل بها يرمز ومن خلالها يدل، بحيث تأتي العبارات في المنطق الصوري الحديث بسيطة ومركبة، وإذا كانت بعض العبارات تحتمل المعنى الواحد فإنّ الاشتراك اللفظي يغلب على بعض العلامات في النّص الواحد الشعري منه على وجه الخصوص[2].

و"للّغة " الفضل في نقل الأفكار من القوة إلى الفعل، إنها كإشارة مبنية قبل كل شيء على مبدأ الإعتراف بها بل لعل نظامها الإجرائي هذا هو الذي يخوّلها الاتجاه نحو المرجع والواقع.

ولعل أشمل هذه التعريفات هو تعريف "روي سي هجمان" "***Roy Si Haugman***" إذ يقول: "إن اللّغة" قدرة ذهنية مكتسبة يمثّلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"[3].

---

[1] – الموسوعة الفلسفية، (إشراف) لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين(وضع)، روزنتال، م، يودين (ترجمة) كرم سمير، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987، ص:40– 41.

[2] – أورد أرسطو مصطلح الإشتراك اللفظي وهو يعني الكلمات المشتركة ذات النطق الواحد والمعاني المشتركة ذات النطق الواحد والمعاني المختلفة: ينظر مجلة المنطق، مقال: اللغة والأسئلة والقص، لفاطمة عبد الله، ص: 151 .

[3] – اللغة والحياة والطبيعة البشرية، روي هجمان، ترجمة داود حلمي وأحمد السيد، الكويت، 1989، ص:15.

والمقصود بذكره أن "اللغة" تعبير فهو إشارة إلى الوظيفة الإبلاغية وهو ما أشار إليه اللغويون من بعده، واصطلحوا عليه اسم "التوصيل" أو "التعبير"[1] إذ هي أداة يتواصل بها أفراد مجتمع معين لتستقيم علاقاتهم وتسير أمور حياتهم.

والملاحظ أنّ علماء النفس، والناطقة يقصرون اللغة على نقل الأفكار فحسب، وذلك تحديد لا يفي بالغرض، فاللغة ماهيّتها لا تقف عند حدّ التعبير عن الأفكار؛ بل تتعداه إلى موضوعات أخرى تخصّ الناس في شؤونهم العامة من ترفيه وتسلية، فقد تستعمل للتعبير عن العواطف والمشاعر المختلفة، وسوق القصص والحكايات ولأساطير، وكل ذلك للتّسلية عن النفس والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها [2].

وعلى هذا تكون النتيجة الحتمية والفعلية أنّ "اللغة" أكثر من أن تكون أداة للفكر وتعبيرا عن عاطفة، بل هي جزء من كياننا السيكولوجي الروحي، وهي عملية فيزيائية واجتماعية، وهذا كله يثبت أنّ اللغة هي الرابطة الحيوية بين أفراد المجتمع والتي تعّبر عن حاجاته وتجمع شمله، ومن خلالها لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن كلّ ما يجول في ذهنه ويدور في خاطره وتجيش به عواطفه على نطاق أوسع ومدى أطول وبشكل أكثر دقة وتفصيلا وشمولا وأبعد دلالة، وهذا واضح في تعريف علماء العرب، ووافقهم عليه علماء الاجتماع[3]".

وخلاصة كلّ هذا هو أنّ اللغة ظاهرة سيكولوجية، اجتماعية، ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق اختبار المعاني المقررة في الذهن، و"بهذا النظام الرّمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم

[1] – فقه الغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، ص:69.

[2] – اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص:31– 32.

[3] – نفسه، ص: 27.

وتتفاعل، و"باللغة" فقط تطوّرت الحضارة وتقدّم العمران وبلغ العقل الإنساني ذروته، فدرس"اللغة" درسا علميا فلسفيا، درس في الإنسان وفكره[1]"

3- مصطلح اللهجة:

اللهجة "*Dialect*" من المواضيع الجديدة التي عني بدراستها علماء اللغة المحدثون وبشكل خاص مع نهاية القرن التاسع عشر.

3-1: تعريف اللهجة واشتقاقها:

اللهجة بإسكان الهاء أو فتحها هي اللسان، أو طرفه، أو جرس الكلام، أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها[2].

1.1.3 : اشتقاقها:

وقد ورد اشتقاقها بوجهين:

الوجه الأول: أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمّه؛ إذا تناول ضرع أمّه يمتصه، ولهج الفصيل بأمّه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.

الوجه الثاني: أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوجا وألهج يعني أولع به وإعتاده أو أغري به فثابرعليه واللهج بالشّيء الولوع به[3].

والوجهان يحدّان وجود العلاقة بين أصل الإشتقاق وطريقة النطق التي يكتسبها الإنسان ويتلقاها عن المجتمع كالفصيل الذي يتناول اللبن ويمتصه من ضرع أمّه، وحين يتعلم اللغة يولع بها[1].

---

[1] – اللهجات وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، دار الجليل، بير وت ، 1989، ص:27.

[2] – لسان العرب، لابن منضور ، بيروت، دار صادر، ط3، 1992، مادة لهج.

[3] – اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص: 32.

3-2: معناها في الاصطلاح:

اللهجة عبارة عن قيود صوتية تلحظ عند الأداء، أو هي مجموعة صفات لغوية تنتمي إلى بيئة لغوية خاصة[2]، وتعرّف في الاصطلاح العلمي الحديث على أنها: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللهجات"[3].

وهذا وجه آخر من التعريفات الذي عرّفت به اللهجة حين عرفها عبد الغفار حامد الهلال على أنّها "طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة[4]، ويعرفها بعضهم بأنها "عادات كلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة"[5].

فاللهجة جريا على ما درج عليه المعاصرون في الكلام على البقايا اللغوية التي تتصل بلغات القبائل[6]، ويقسّم المحدثون تلك الصفات اللغوية والعادات الكلامية إلى ثلاثة فروع هي:

- الجانب الصوتي ويتعلق بالأصوات وطرق صدورها وإبدالها وقلبها، ومثال ذلك موجود في اللهجات العربية القديمة كالشنشنة والعجعجية وغيرها.

---

[1] – نفسه. ص: 32.

[2] – علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، القاهرة، مكتبة الوهبة، ط 1، 32.1980، ص:131.

[3] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط9، 1995، ص:16.

[4] – اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 33.

[5] – نفسه، ص:33.

[6] – العربية تاريخ وتطور ، إبراهيم السمرائي، مكتبة المعارف، ط1،1993، ص: 281.

– الجانب الثاني يتعلق ببنية الكلمة ونسجها "***Morphology***" فإسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف فإنّ عينه تعلّ عند الحجازيين سواء كان واويا أم يائيا مثل مقول ومدين، ولكن التميميين يعلّون الواو ويتمّمون اليائي فيقولون "مبيوع ومديون" وعلى طريقة بني تميم تجري اللهجات العامية في مصر واليمن ونجد والمغرب والجزائر[1].

– أما الجانب الثالث خاص بالاختلافات من جهة المعنى "***Semantics***" وكتب اللغة في هذا السياق تعدّدت واختلفت فمثلا كلمة "وثب" هي عند حمير بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز)، و(السدفة) عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)[2].

– وهناك فرع رابع يعرض له الباحث في اللغات واللهجات وهو ما يتعلق بتركيبية الجمل "***Syantax***"[3].

وبالجملة فإن الجوانب الثلاثة المتعلقة بالعادات الكلامية والصفات اللغوية هي الإطار العام الذي يفصل لهجة عن أخرى، وهذا شائع في كافة اللهجات العالمية، يقول "فندريس" "***Vandres***" في ذلك، "أننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى لايمكننا أن نميّز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات"[4]، الأمر نفسه عبّر عنه "**جون لاينز**" "***John Lyons***" حين قارن بين النبر واللهجة فوصف اللهجة "بأنها تختلف مع النبر مع أنه يحدد مجموعة التغيرات الصوتية، بينما اللهجة تغطي الاختلافات المتعلقة بالنحو والمفردات"[5].

إذا ممّا سبق ذكره من تعريفات يتضح وخاصة من خلال التعريفين السابقين أن اللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغني عن أصلها، وتفي

---

[1] – مخطوط الظواهر الصوتية والمعجمية في منطوق صبرة، بن حكيم نور الدين، ص:13.

[2] – اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص:34.

[3] – فقه اللغة وعلم اللغة. نصوص ودراسات .د. محمد سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية– مصر. 1994. ص: 271.

[4] – اللغة، فندريس، ص: 31.

[5] – John Lyons, Language and Linguistics, Cambridge University Press,1987m P 28.

بحاجة الجماعة التي تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة، وذلك طبعا إذا تم نضج قواعدها، ونضمها الصوتية، والصرفية، والتركيبية بحيث تجمع لها عناصر الإفادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية في مصر، والسعودية العربية، والعراق، وسوريا، ولبنان، وكذا اللهجة الجزائرية، والمغربية، إذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها، بل إنها استمدت ولا تزال تستمد منها مقومات حياتها الأصلية[1].

3-3 :صفات اللهجة:

لقد سبق فيما مضى أن تحدثنا على أن اللهجة تتميز من ثلاث جوانب، وأهم هذه الجوانب هي الصفات الصوتية وطبيعتها وكيفية صدورها، ومتى كثرت هذه الصفات بعدت اللهجات عن أخواتها وعن اللغة كذلك.

والملاحظ أنه يمكن أن تتعايش أو تتجاوز عدة لهجات في البيئة اللغوية الواحدة، ومتى تميزت وتحددت بصفات معينة تخص الصوت، والكلمة وبنيتها، ومعناها جاز لنا أن ننعتها بـ: "لهجة" ويتم ذلك بعد مضي مدة زمنية ليست بالقصيرة[2] ولا بأس أن نحضر الصفات الصوتية للهجة الواحدة فيما يلي:

أ- الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم، فالعربية من وسط اللسان، والمصرية من أقصاها مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وغيرها من الأصوات التي طالها التبدل قديما وحديثا.

---

[1] – اللهجات العربية نشأة وتطور، عبد الغفار حامد هلال، ص: 36.

[2] – علم اللغة العام، توفيق شاهين، ص: 132.

ب- الاختلاف في مقاييس بعض الأصوات اللينة، إذ أن أي اختلاف يصيب تلك الحروف التي تعرف بحروف المدّ عند الأقدمين والحركات عند المحدثين، يؤدي إلى اختلاف في نطقها.

ج- التباين في النغمة الموسيقية للكلام، فذلك يختلف بين القبائل وحسب البيئات المختلفة.

د- الاختلاف في وضعية أعضاء النطق مع بعض الأصوات[1]، وما سيميّزها من تفخيم أو ترقيق أم مماثلة، أو مخالفة صوتية.

هـ- الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لـ "إفتعل" مثل "اتصل" هربا من تنافر الحركات، ولكن "الحجازيين" لا يقلبونها تاء فتتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب حسب الحركات "واوا" بعد الضمة وألفا بعد الفتحة وياء بعد الكسرة فيقولون "ايتصل، ياتصل، موتصل[2]".

كانت هذه أهم الفروق والصفات الصوتية التي تلحظ كلها أو بعضها في لهجة من لهجات اللغة الواحدة، وليس من الضروري أن تتوافر كل هذه الصفات في لغة أو لهجة ما، بل قد نلحظ بعضها منها فقط.

فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام لأن بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللغات، وتلك البيئة الشاملة، التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فاللغة تشتمل

[1] – في الهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 232.

[2] – اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص: 35.

عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات[1]. وعلى الرغم من كل ذلك الفرق الجلي الذي يتجلى بين الشكلين اللغويين، إلا أن الخط والحد العازل الذي يفصل اللغة عن اللهجة يصعب في غالب الأحيان تتبعه ورسمه، والدليل على ذلك هو ذلك التفاهم السهل والمشترك والذي لا يستدعي الرجوع إلى القواميس والمنجد.

ويزيد الدكتور رمضان عبد التواب هذا الرأي بيانا وتفسيرا حين يقول "إن كل لغة كانت يوما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثم حدثت عوامل كثيرة أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها، وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض[2]".

ويرى البعض الآخر عكس ذلك ويقرّون أنه قد يصل الأمر باللهجات أن تتفرع وتستقل كل منها بصفات معينة تختلف من خلالها اختلافا كبيرا عن صفات اللهجات الأخرى "بحيث يصبح فهمها عسيرا على غير من يكلمونها هي بالذات فتتحول تدريجيا إلى لغة مستقلة لا تستخدم في أمور الحياة فحسب، بل ويكتب بها الأدب، والعلم، والقوانين، والمعاهدات، والمواثيق ويزيد بعدها عن لهجة البلد المجاور التي تصبح هي الأخرى لغة مستقلة"[3] والتاريخ حافل بالأمثلة التي تثبت هذا الاتجاه، ويكون ذلك نتيجة فعل السلطة العليا في رفع لهجة ما إلى مرتبة لغة قومية رسمية، وليس من الضروري أن تكون السلطة العليا عاملا منفردا، أي مكونا من عامل واحد، "قد يتداخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه السلطة"[4]، ومن بين تلك العوامل عامل عسكري، سياسي، عامل ديني، عامل أدبي، عامل اجتماعي طبقي.

---

[1] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 16.

[2] – فصول في فقه العربية، ص: 72.

[3] – علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه، د. صبري إبراهيم السيد، ص: 121.

[4] – اللهجات وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، ص: 80.

و"يشير "**هوجن**" "*E Hauguen*" إلى الغموض الذي اعترى هذين المصطلحين والاضطراب في استعمالهما ومن ثمة أمكن استعمال مصطلح "اللغة" في الإشارة إلى نموذج لغوي واحد، أو إلى مجموعة من النماذج المرتبطة، واستعمال مصطلح "اللهجة" في الإشارة إلى حد هذه النماذج[1]".

ولما استعير المصطلحان من اليونانية في عصر النهضة، وضعت لهما ترجمة تختلف عما تعنيه الكلمتان الآن في الإنجليزية.

"أما الفرنسية فربما كانت أكثر شبها، حيث تشير الكلمة "*Un dialecte*" الفرنسية فقط إلى التنوعات اللغوية الإقليمية التي يكتب بها أدب، تسمى باللغة الخاصة "*Un patois*" وعلى ذلك تكون اللغة الخاصة أقل من اللهجة بسبب افتقارها إلى أدب يرتبط بها، ولا يمكن استعمال "اللهجة" في الفرنسية ولا في الألمانية في التعبير عن اللغة الفصحى، فلا أحد يعتبر الفرنسية الفصحى لهجة فرنسية". أما اللغة الإنجليزية فيشير متكلموها إلى الإنجليزية الفصحى على أنها لهجة من الإنجليزية[2].

ويزيد "**هوجن**""*Hauguen*" هذا الأمر صلابة حين يذكر معيار جديد هو المعيار الاجتماعي، فتكون اللهجة هي اللغة التي أبعدت عن المجتمع الرفيع، ومن ثم فهي ترادف"**غير فصيح**" "*Non standard*" أو "دون قياسي" "*Substandard*"[3].

ويشير "**وردوف**" "*Wardaugh*" إلى الأسباب القومية والعرقية ويتخذها عاملا في التباين القائم بين كل من اللغة واللهجة ويضرب مثالا على ذلك الموقف اللغوي السائد في يوغسلافيا فهناك لغات كثيرة هي الصربية الكرواتية، والسلوفينية، والماسيدونية، والألبانية، والهنجارية، والتركية، والبلغارية، والرومانية، "ومع ذلك يؤكد كثير من الناس الذين يتكلمون

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي : مفهومه وقضاياه، د. صبري إبراهيم السيد، ص: 121.

[2] – Hauguen, Dialect, language, nation,1966 p923

[3] – معجم علم اللغة النظري، ص: 298.

بالصربية الكرواتية أن لغتهم هي ليست لغة واحدة، بل لغتين، وكثير من الكرواتيين يؤكدون أن لغة كرواتيا ليست مجرد تنوع لغوي غربي أو لهجة من اللهجات الصربية الكرواتية، وإنما هي لغة منفصلة[1]".

ويضيف "**جون ليونز**" "**John Lyons**" فرق "الحجم" حيث تكون اللغة أضخم من اللهجة، بمعنى أن التنوع اللغوي الذي يسمى باللغة هو الذي يحتوي على كلمات مصطلحات أكثر وبهذا المعنى نشير على أنها لغة تحتوي على مجموع الكلمات الموجودة في كل لهجات لإنجليزية يوركشاير، والإنجليزية الهندية...الخ[2]، ومن ثمة فاللغة الفصحى غنية بثرواتها اللفظية أكثر من أي لهجة أخرى تعيش بجوارها.

زد إلى فرق "المنزلة" حيث تكون للّغة منزلة عليا تفتقر إليها اللهجة، هذه المنزلة تجعلها لغة الكتابة الرسمية[3].

لكن كما سبقت الإشارة إلى ذلك يوجد حالات جمة أين يصعب التفريق فيما بين ما يسمى "لغة" وما يسمى لهجة، ويضرب لنا **وردوف** "***wardaugh***" مثالا لذلك بالموقف اللغوي عبر سكان الحدود بين ألمانيا وهولندا، والموقف اللغوي في اسكندنافيا.

ويتبنى البعض من العلماء معيار آخر في التفريق بين "اللغة" "واللهجة"، وهو المعيار "التاريخي" فيضربون مثالا لذلك ويقرون أننا نستطيع أن نتكلم الإنجليزية والألمانية والفرنسية والروسية والهندية على أنها لهجات هندية أوربية إنشعبت اللغة الأصلية في آخر الأمر إلى لغات عديدة نصنفها في أسرة لغوية واحدة هي أسرة اللغات الهندية الأوربية[4].

---

[1] – Prid.b. The Social meaning of language, Oxford University press, London 1971. p37 .

[2] – R-A-Hudson, Sociolinguistics, Cambridge University press, cambridge, 1980. p312

[3] – prid.J - b- The social mearning of language, oxford University press, London- 1971- p37

[4] – علم اللغة الإجتماعي: مفهومه وقضاياه، د. صبري ابراهيم السيد . ص: 44.

المبحث الثالث: بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما:

على ضوء علم اللغة لا فرق بين لغة ولهجة، فكلّ لهجة هي لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوتي، وبصرفها، وبنحوها، وبتركيبها، وبمقدورها على التعبير، ويرى البعض أن اللغة هي التي تغاير لغة أخرى بأصواتها وبتركيبها مغايرة لا يستطيع معها أن يتفاهم زيد وعمر.

أما إذا كانت الفروق في الأصوات والمفردات، والتركيب من النوع الذي يمكن فيه التفاهم بين الجماعات، فإن هذه تحسب لهجات، وهذا الرأي يجعل التفاهم مقياس الفرق بين لهجة ولغة، وهذا الزعم يسقط من تلقاء نفسه إذا نظرنا – مثلا– إلى لهجة أهل البندقية ولهجة أهل صقلية باعتبارهما لهجتين (لا لغتين) إيطاليتين، لكن أهل البندقية لا يفهمون أهل صقلية، وكذلك أهل صقلية لا يفهمون أهل البندقية فالتفاهم بينهما غير ممكن، وقل مثل هذا في اللهجات الرومانية أي الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، فإنها تسمى لغات لا لهجات. إلا أنها في الواقع التاريخي لهجات لاتينية، كذلك العربية والعبرية والسريانية والحبشية فإنها لغات في نظرنا إليها، ولكن التاريخ ينظر إليها باعتبارها لهجات انحدرت من أم واحدة.

ويرى البعض الآخر أن الفرق بين اللغة واللهجة هو أن اللهجة هي تقهقر وانحطاط عن لغة فصحى، ولكن الدراسات اللغوية التي أجريت حول اللهجات أثبتت أن اللهجة ليست تقهقرا، أو انحطاط لغويا بل تطور وتقدم لغوي، والدليل على ذلك كون بعض اللهجات سابقا في الزمن لغة الفصحى.

والعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشمل عادة عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

وقد قام **بيل** ***"peal"*** بوضع سبعة معايير للتمييز بين "اللغة" و"اللهجة" نلخص مجملها في النقاط الآتية:

أولا: التوحيد اللغوي:

فالتوحيد اللغوي يشير إلى العملية التي تنظم بها اللغة وتشمل تلك العملية عادة تطور القواعد والهجاء والمعجمات، ويتطلب التوحيد اللغوي أيضا درجة من الإتفاق حول ما يكون في اللغة وما لا يكون فيها "فإذا ما دققنا النظر في ذلك التنوع اللغوي الخاص بفصحى الانجليزية وجدنا أنه قام على أساس لهجة من الانجليزية تطورت ورقيت، حتى أصبحت نموذجا أو معيارا لطوائف من مجتمع أوسع وأرحب، والاختلاف بين أنواع التنوعات اختلاف ثانوي يتعلق بالنكهة" أكثر مما يتعلق بالمادة"[1]، وهذا ليس استثناء للانجليزية، بل تشاركها لغات أخرى كثيرة، وتدخل الحكومات أحيانا عن عمد في عملية التوحيد اللغوي عن طريق تأسيس هيئات رسمية كالمجامع اللغوية والتي من مهامها الإنسانية ضبط أمور اللغة.

ثانيا: الحيوية:

والمقصود بمعيار "الحيوية" وجود جماعة حية من المتكلمين "وهذا المعيار يستعمل في التمييز بين اللغات الحية واللغات الميتة؛ إلا أن بعض اللغات تظل قوية حتى بعد أن تموت، وذلك حين تستعمل في شكل أو أكثر من أشكال الكتابة والمعرفة "فاللغة اليونانية القديمة مثلا وحتى اللغة اللاتينية ما تزالان تكتسبان منزلة كبيرة في العالم الغربي"[2] إلا أن ذلك لا يعني أنها لا تزال تتميز بالحيوية نفسها التي تتميز بها اللغات الحية.

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه: د. صبري ابراهيم السيد. ص: 45.

[2] – علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه، ص: 46.

ثالثا: التاريخية:

المقصود بالتاريخية يرجع إلى حقيقة أن جماعة معينة من الناس تحس "بالهوية"من خلال استعمال لغة بعينها، فهي تنتمي إليهم "فالروابط الاجتماعية، أو السياسية، أو العرقية، أو الدينية مهمّة بالنسبة للجماعة، لكن الرباط الذي توفره اللغة المشتركة أقوى من أي رباط "[1] والتاريخية تعني الثبات الطويل الممتد في الزمن.

رابعا: الاستقلالية:

فيجب أن يشعر متكلموا لغة بأن لغتهم تختلف عن اللغات الأخرى، وأنها قائمة بذاتها "فالأكرانيون يقولون إن لغتهم ليست هي اللغة الروسية، وبعض متكلمي الإنجليزية السوداء يؤكدون على أن لغتهم ليست تنوعا لغويا من الإنجليزية، وإنما هي لغة منفصلة لها استقلاليتها"[2] والمقصود بذلك أن تكون اللغة مستقلة لغويا وسياسيا عن اللغة المجاورة لها.

خامسا: الاختصار:

ويشير مصطلح "الاختصار" إلى حقيقة أنه قد ينظر إلى تنوع لغوي معين على أنه تنوع فرعي، من كونه كيانا مستقلا، فمتكلموا الكوكنية يقرّون أنهم يتكلمون تنوعا لغويا من الإنجليزية ويعترفون بوجود تنوعات لغوية أخرى، فالتنوع اللغوي قد يفتقر إلى نظام الكتابة، أو قد يكوّن على استعماله قيود كبيرة، مثلما تختصر اللغات الهجينة ***Pidgin*** حتى تؤدي وظيفة تقابل ما تؤديه اللغة الفصحى الموحدة.

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي:مفهومه و قضاياه, ص: 47.

[2] – نفسه، ص: 47.

سادسا: الامتزاج:

إن أهمية هذا المعيار تختلف من لغة إلى أخرى، فهو أكثر أهمية بالنسبة لمتكلمي الفرنسية والألمانية من متكلمي الإنجليزية، والمراد "بالامتزاج" إلى إحساس المتكلمين حول مدى " **نقاء**" التنوع اللغوي الذي يتكلمونه "ومتكلموا اللغات الهجين واللغات المولّدة "***Créoles***" تقابلهم صعوبة عند تصنيف ما يتكلمونه على أنه لغات تامة، فهذه التنوعات اللغوية في بعض جوانبها ممتزجة والناس الذين يتكلمونها غالبا ما يشعرون بأنها تنوعات ناقصة أو منحطة أو هامشية للغات الفصحى الأخرى"[1].

سابعا: المعايير الواقعية:

وتشير هذه المعايير إلى الشعور الذي يحس به كثير من المتكلمين بأن هناك متكلما "حسنا" ومتكلما "سيئا" وأن المتكلم الحسن يمثل معايير الاستعمال الصحيح وهذا يعني التركيز على تنوع لغوي معين باعتبار أنه يمثل أحسن استعمال، وذلك مثل الفرنسية الباريسية أو الإنجليزية الملكية أو التنوع اللغوي الفلورنسي من اللغة الإيطالية. لأكثر تفاصيل ينظر (علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه، ص: 47، 48، 49).

وقد نخلص أخيرا أن الفارق بين "**لهجة**" و"**لغة**" هو أن اللهجة تقهقر وانحطاط لغوي من لغة فصحى، "وقد وقع في مثل هذا الوهم لغويو العرب قديما وحديثا، فإنهم نظروا مثلا إلى العامية أنها انحطاط وتقهقر، ولكن أثبتت دراسة اللهجات الحديثة، وبطريقة لا يتسرب إليها الشك، أن اللهجة ليست تقهقر ولا انحطاط لغويا "***Linguistic degeneration***" بل تطورا أو تقدما لغويا فرضتها النواميس الطبيعية التي تتحكم بمصير كل لغة[2] وأفضل دليل على أن اللهجة ليست انحطاطا لغويا هو كون بعضها سابق في الزمن للغة الفصحى "وأحسن مثال

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه، ص: 47.

[2] – اللهجات وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، ص: 78.

على ذلك هو كسر حرف المضارع في العامية فإننا نقول "يكتب" "يشرب" ولكن كسر الحرف المضارع (هو لغة قديمة) سابق في الزمن للفترة التي اعتبرت فيها لغة قريش اللغة الأدبية الفصحى[1]" فكيف يحق لنا أن نعتبر هذه الظاهرة- كسر حرف المضارع- انحطاط لغويا؟

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أنه لا فارق جوهري بين "لهجة" و"لغة" وإنما "الفارق هو أن لهجة ما، ولسبب خارجي، أو لظروف خاصة تعتبر لغة قومية رسمية بينما لهجة أخرى ربما أفضل منها لا يعترف بها"[2] إذن القضية ليست لغوية محضة وإنما هناك عوامل لها دخل في الفصل بين "اللغة" و"اللهجة" وأهم تلك العوامل هي السلطة العليا وقضية الاعتراف بهذه السلطة.

1.3 : اللغة الفصحى واللهجة العامية:

يقصد بالفصحى: اللغة التي يصطنعها الناس في كتاباتهم الأدبية والعلمية، وفي مقالاتهم وبحوثهم في الصحف والمجلات، وفي أحاديثهم في وسائل النشر والإعلام، أما العامية فهي اللغة أو اللهجة التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، فهي بهذا تقابل اللغة الفصحى، وتصدق هذه الصفة على اللغات كلها، فليس في العالم لغة غير متشعبة إلى هذا المستوى من العامية والفصحى، واللغة العربية كغيرها من اللغات تعرضت عبر الزمن إلى عوامل أدّت إلى إنشعابها إلى عدة لهجات، وظاهرة العامية ليست ظاهرة تتفرد بها اللغة العربية بل عرفتها كل اللغات- تقريبا- وهي ليست أكثر من لهجات الفصحى المتشعبة منها.

---

[1] اللهجات وأسلوب دراستها . د. أنيس فريحة. ص: 79.

[2] نفسه، ص: 79.

المبحث الرابع: مصطلح المنطوق:

وما لنا نذهب بعيدا ونتناسى أهم دليل على احتفاء اللغويين بالنظر الاجتماعي إلى اللغة! ذلك أنهم في جملة أعمالهم كانوا يعتمدون على الأخذ من (الكلام) الحي المنطوق. والكلام بهذه الصفحة لا يتصور وقوعه أو حدوثه إلاّ في مسرح لغوي متكامل الجوانب من متكلم (مرسل) ومتلقي (مرسل إليه) وظروف وملابسات متعلقة بموضوع الحديث. نعم، إننا لا نستطيع الجزم بأنهم كانوا يدركون تمام الإدراك الفرق الدقيق بين ما سمي في النظر اللغوي الحديث (اللغة) (***Langue***) بمفهوم **دي سوسير** و (الكلام)(***parole***) بمفهومه كذلك.

نتحدث عن هذا على الرغم من إشارات عابرة عن استخدام مصطلح "اللغة" تارة و"الكلام" تارة أخرى، فا**بن جني** يقول مثلا "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ليذهب في أماكن أخرى في خصائصه ليوظّف مصطلح "الكلام" في أكثر موضع، ويقف عنده أحيانا وقفات متأنية، شارحا لمفهومه، كأن يقول مثلا "فأمّا الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسمّيه النحويون الجمل "وكقوله أيضا "فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمره معناه فهو كلام".

ولكننا مع ذلك، نستعر مما تقدم أن ابن جني يوجه اهتمامه وإختفاه بالمنطوق، سميته كلاما أو لغة– لا فرق وهذا هو صلب موضوعنا، مقام إدراك ما بين "الكلام" وظروفه الاجتماعية من علاقات. وربما نزيد على ذلك فنقرر أن هذه النصوص ذاتها تشير في مبناها ومعناها إلى انشغال ابن جني بالجانب الأدائي الواقعي للغة، وهو "الكلام"(***parole***).

ومما يؤكد اهتمام ابن جني بالكلام المنطوق عودته إلى مصطلح "الكلام" مبينا أصله اللغوي، ودلالته العامة في كلام العرب.

1.4:معنى المنطوق:

كل لغة من لغات العالم لها شكلان متميزان: الشكل المنطوق والشكل المكتوب، وقد كان يظن قديما وحتى إلى حين بأن اللغة المكتوبة هي انعكاس اللغة المنطوقة، ولكن الدراسات اللسانية الاجتماعية المعاصرة كشفت بأن لكل لغة من تلك اللغتين مكوناتها، وشخصيتها، ومميزاتها وعواملها التي تميزها عن مثيلها. ومن الملاحظ أيضا أن تطورات اللغات في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والنحو، والمفردات، والأساليب، ولعل السبب واضح في هذا، وهو أن؛ الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب "بالإضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها الصوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته، ويتطور دونه، وخير دليل على هذا ما نشاهده في كثير من اللغات من مخالفة النطق للكتابة، مما يعني– في بعض أمثلته– تطور النطق وبقاء الهجاء قديم[1] ورغم هذا وذاك يوجد فرق عظيم بين ما ينطقه المتكلم، وما تسجله الكتابة من نطقه، عاميا كان أو فصيحا، "فإن الكتابة في أي لغة تعجز بطبيعتها عن تسجيل جملة من الظواهر، والوظائف النطقية العامة، كالنبر، والتنظيم في حالات الاستفهام والنفي، والانكار، والتعجب، والتحسر"[2] وهي وظائف ذات دلالة مباشرة في الحديث اللغوي، وغير ذلك من الظواهر اللهجية كالكشكشة، والشنشنة، وغيرهما.

ويقول "**أنطوان ميه**" "***Antoine Meyeh***" (من مناهج البحث الأدبي واللغوي)– ترجمة الدكتور محمد مندور– "إن معظم الاختلافات في النطق التي تتميز بها اللهجات المختلفة، والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة...، والكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة، وحركات، ونغمة في الصوت، وتوضح الكلام الملفوظ، ونحن نكوّن فكرة خاطئة

[1] – مناهج البحث في اللغة، و. تمام حسان، دار الثقافة – القاهرة. ط1. 1974. ص: 99.

[2] – المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين. مؤسسة الرسالة. 1980. ص: 10.

عن لغة ملفوظة عندما نحكم عليها بصيغتها المكتوبة فقط....فاللغة المكتوبة كثيرا ما تكون لغة خاصة لا علاقة لها باللغة المنطوقة[1]".

ومع ذلك كلّه فإننا نسلم دائما لنظام الكتابة بخصائصه، ولا نعترض على مخالفتها للعادات النطقية "وعلى هذا الأساس نرى الرسم المصحفي لكلمات مثل: (الصلوة، والزكوة، ومشكوة) بالواو، مع أننا ننطق هذه الواو فتحة طويلة (ألفا) ولا نجد في ذلك غرابة، فالأداء القرآني، بخاصة سنة متبعة، ورواية تتلقى مشافهة، مع التسليم لرّسم العثماني بأحكامه التاريخية الثابتة"[2].

وأما عن إرادتنا لتطابق المنطوق والمكتوب فهي مشروع غير علمي خفي وغير صائب في تصوره "لأن النطق متغير دائما من جيل إلى آخر، فإذا طابق اليوم منطوق جيله برموز معينة، كان حتما أن يحاول أحلافه هذه المطابقة في الجيل التالي على نحو مختلف"[3].

ومن ثم كانت ضرورة الفصل بين مبحث الصرف وشكل الكتابة، فالكتابة موضوع على الرسم (الإملاء) واللغة المنطوقة في صيغها هي موضوع علم الصرف والصوت، وليس ذلك بناف مابين الصرف والإملاء من علاقة واتصال، بحكم كونها للغة واحدة. وليس هناك مانع، على العكس إنه ضروري في هذا الحقل أو المستوى من الدراسة اللغوية أن نتناول علم الصرف بالمفهوم الحديث، وبالمنهج الحديث الذي يربط بين فروعه علم اللغة، فليس من الممكن دراسة بنية الكلمة، دون دراسة أصواتها، ومقاطعها، وعلاقة الصوامت (السواكن) بالحركات، ذلك لأن كل تغيير تتعرض له هذه البنية ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية وذلك على مستوى الأفراد الناطقين باللغة.

---

[1] – المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة. بيروت. 1980. ص:10.

[2] – نفسه. ص: 10.

[3] – نفسه، ص: 11.

ربما يتساءل القارئ لماذا كل هذا الاهتمام باللغة المنطوقة؟ وهل لنا أن نوفر لها كل هذا الجهد والبحث؟ إجابة بسيطة يمكن أن تلمّ بهذين السؤالين هي، أن اللغة المنطوقة في الآونة الأخيرة احتلت مكانا لم تعرفه من قبل، ويرجع الفضل في ذلك للمخترعات المتعددة كالهاتف، والمذياع، ومكبر الصوت، والفيلم الناطق وأجهزة التسجيل، مما جعل اللغة المنطوقة تحل محل اللغة المكتوبة أكثر فأكثر وأصبحنا نسمع بفرضيات أقامها اللغويون المحدثون في هذا السياق حول معرفة المستوى الاجتماعي للمتكلم من خلال نطقه وذلك ما قام به "**بازيل بانشتاين**" "***Bazil Benstein***" وهذا ما يعرف باللغة المنطوقة "والتي تظهرفيها خصائص وطريقة النطق الخاصة بالمتكلم، وكثيرا ما نعرف المستويين الاجتماعي، والثقافي، والقطر الجغرافي للمتكلم، ويقال إن لغويا بارعا يستطيع أن يعرف الشخص من لهجته أي أن يحدد الشارع والعمارة التي يسكن فيها الشخص، وهذه بالطبع فكاهة ومبالغة، ولكن المقصود هو أن لغة الشخص تدل على لهجته الاجتماعية أو على لهجته الجغرافية أو على مستواه الثقافي[1]" هذا بالإضافة إلى نظريات حديثة خاصة بالكلام والهوية الاجتماعية.

وطريقة نطق الإنسان لم تعد أمرا خاصا بالمتكلم، وإنما هو أمر متعلق بكل ما يستمع، سواء كان المتكلم سياسيا أو عالما أو فنانا أو ممثلا.

فالأداء "***Diction***" وهو فن النطق، قد احتل مكانا هام في التعليم الحديث، وسوف يأخذ ولا شك اهتماما أكثر فأكثر، وعلم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأي تعليم من هذا النوع.

وعلم تصحيح النطق "***Phoniatrics***" يعطي اهتماما لكل عيوب النطق، سواء كانت خصائص نطقية أو أمراضا في النظام العصبي المركزي أو نقصا في السمع أو التمرن، وهذا ما سوف نرجع إليه بأكثر دقة وتفصيل في الصفحات اللاحقة. "والمشكلة نفسها توجد بالنسبة للشخص ذي الخصائص اللهجية الواضحة أو طريقة النطق المبتذلة، والذي يريد أن

[1] – دراسات لغوية، د. محمد علي الخوالي، دار العلوم، 1982، ص: 51.

يتعلم النطق الجيد، وكلما زاد الفرق بين نطقه المحلي والنطق المعياري من ناحية العادات النطقية والنظام الوظيفي، زادت الصعوبة وزادت أهمية تعليم الأصوات"[1].

هذه الآراء المتباينة والتوجهات المختلفة، والنظريات القائمة، والفرضيات المتعددة، والتي تتركز مباحثها حول مضمون واحد وهو المنطوق أو طريقة النطق والأداء، تحتاج إلى أمثلة وآراء تزكّي مضمونها، "فعندما يسافر المرء مثلا على طول مناطق جغرافية واسعة يلاحظ فروقا بين أهل منطقة وأخرى في طريقة النطق "***Prononciation***" وفي اختيار الكلمات والصيغ، وأيضا في النحو فهناك صبغات لغوية محلية تميز منطقة عن أخرى"[2] وينبغي في هذا المقام أن لا نخلط بين اللهجة، واللغة الخاصة "***Patois***" فاللهجة عادة لها توزيع جغرافي أرحب، فنحن نستطيع أن نصف اللهجة بأنها إقليمية ولغة القرية بأنها لغة خاصة، وطريقة النطق خاصية أخرى يتميز بها كل فرد داخل جماعته اللغوية يعكس من خلالها مستواه الاجتماعي والثقافي وقطره الجغرافي وما إلى ذلك من الخصائص اللغوية "وينبغي أيضا ألاّ نخلط بين اللهجة واللّكنة "***Accent***" فالإنجليزية الفصحى مثلا تنطق بعدد من اللكنات ذات ارتباطات إقليمية واجتماعية معينة فهناك لكنات مرتبطة بشمال أمريكا، وسنغافورة، والهند، وليفربول، وبوسطن، ونيويورك وهلمّ جرا"[3].

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن اللكنة تشير فقط إلى الفروق في طريقة النطق بين تنوع لغوي وآخر، أما اللهجة فهي تشير إلى كلّ الفروق التي تكون بين تنوعات اللغة بما في ذلك طريقة النطق، واستعمال الكلمات، والنحو"[4].

ويحرص في هذا الشأن علم دراسة اللهجات "***Dialectology***" وخاصة جغرافيا اللهجات "**Dialect Geography**" على عرض اكتشافاتهم على هيئة خرائط يسمّونها بالأطالس اللهجية،

---

[1] – دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة. مصر. ط3. 1985. ص: 350.

[2] – علم اللغة الاجتماعتي: مفهومه وقضاياه، د. صبري ابراهيم السيد، ص: 110.

[3] – Wardhaugh, Ronald, An introduction to Sociolnguistics, Oxford, 1992, P 133

[4] – Chaika, - Language, The social Mirror U- S- A, 1982, P 132

أين يقرون "بأن الفاصل اللغوي هو خط يفصل بين منطقتين مختلفتين في بعض السّمات اللغوية: على أحد جانبي الخط أناس ينطقون بطريقة، وعلى الجانب الآخر أناس آخرون ينطقون بطريقة أخرى[1]"، ومن أمثلة هذه الفواصل ما نجده في العالم العربي "فحديث العراقي بلهجته يكاد يستغلق على الجزائري وغيره من أهل العالم العربي، ويعجز كثير من هؤلاء عن فهم الجزائري"[2]، ويعزى كل هذا إلى الفونولوجيا النطقية والمهارات المتعلقة باللغة المنطوقة وإستراتيجيتها، "فمن الواضح أن العملية الكتابية تتطلب إنشاء لغويا معقدا من الناحية النحوية والدلالية أكثر من العملية المنطوقة التي تعتمد على الارتفاع الصوتي والنبرة الصوتية والنغمة الصوتية"[3].

2.4: الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة:

إن أهم الفروق التي تميز اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة كان قد أوجزها عالم اللسانيات "**موسكو فيتشي**" "***Moscowischi***" بما يلي:

– الطاقات العضلية المبذولة خلال اللغة المكتوبة هي طاقات أهم من تلك المبذولة خلال اللغة المنطوقة.

– تقتضي التبادلات الشفهية (اللغة المنطوقة) وجود شخص آخر في حين تتوجه التبادلات الكتابية (اللغة المكتوبة) إلى شخص غائب لذا فإن الإشارات الحركية وإيماءات الوجه التي تستخدم في الحالة الأولى هي إشارات وإيماءات غير قابلة لأن تستخدم في الحالة الثانية.

---

[1] – Wardhaugh , R, An introduction to Sociolinguistics,1992, P 133

[2] – مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية، بيروت، 1966، ص:90.

[3] – اللسانيات من خلال النصوص .د . عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس. 1984.

– الإرسال الشفهي (في اللغة المنطوقة) إرسال متواتر مألوف ومستمر، أما الإرسال الكتابي (في اللغة المكتوبة) فنادر متقطع إذ تقتضي الكتابة تعمّدا أكبر للقيام بها وجهودا أعظم للتكيف على موقف مقيد نسبيا.

– "يضفي على كل موقف إرسال (في اللغة المنطوقة أو اللغة المكتوبة) معنى اجتماعي خاص يوجه بدوره سلوك القائمين بالإرسال أو التلقي، فالقيمة الاجتماعية التي تضفي على التعبير الكتابي غير المألوف عموما معمّم على صورة خصائص مميزة للرسائل الناتجة عن هذا النمط من التعبير وهذه القيمة هي قيد مفروض على المرسل في توجيه سلوكه"[1]. وهكذا فإن العلاقة بين اللغة المنطوقة وبين اللغة المكتوبة يمكن أن تفهم من خلال رصد المكونات الصوتية التي ترافقها موجة نفسية واجتماعية ثم رصد المكونات الكتابية التي ترافقها موجات أسلوبية وبلاغية.

ومن المؤكد أن العامل الحاسم في الموضوع هو تعلم النطق بطريقة جيدة، سواء انتقل الشخص إلى منطقة اللغة المكتوبة أولم ينتقل، وهنا يجد إلى أن الناطق نفسه بحاجة إلى معرفة صوتية واسعة، ولكن يكفيه قدر معين مع التدريب الموجّه بالموضوع تحت الإشراف الدقيق.

ولكن على الرغم من كل ذلك توجد عيوب واضطرابات في طريقة النطق خارجة عن سيطرة القواعد الصوتية والصرفية، لا بأس أن نعرض لتلك الأنواع والخصائص المميزة لعيوب النطق.

الخلافات بين اللغة من حيث هي صوت وبين اللغة من حيث هي خط كثيرة و متنوعة، قد لا يدركها المرء للوهلة الأولى أو لايدرك أهميتها على مستوى الدراسة الصوتية، خلافات بعضها يتناول الشكل وبعضها الآخر يتناول الجوهر. وسوف نعرض بعض هذه

[1] – اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي, الدار التونسية للنشر، تونس, 1983، ص: 63 .

الخلافات لنظهر ضرورة ما يعرف بالكتابة الصوتية العالمية في دراسة اللغة وهي الكتابة التي توافر على صوغها مجموعة من كبار علماء اللغة في العالم لتكون كالكلام المرئي.

1- اللغة في الأساس صوت قبل أن تكون خط و مقولة ابن جني أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، مقولة مدركة لجوهر اللغة المزدوج أي الصوتي والتواصلي في آن. وإلى اليوم ثمّة لغات كثيرة مستعملة ليس لها معادل مكتوب ومع هذا فانها تفي بأغراض الناطقين بها وتقوم بوظيفتها الإنسانية التواصلية دون استشعار أصحابها إلى ضرورة تسجيلها أو كتابتها.

2- من الخلافات الظاهرة بين النمطين؛ التعبير الكتابي والصوتي هو صلة كل من النمطين بالزمان والمكان. فالصوت عملية زمانية تعاقبية، متتالية؛ اذ لا يمكن لي ان أسمع الكلمة وما يليها في وقت واحد. بينما بإمكاني أن أرى في وقت واحد كلمتين أو أكثر في نص مكتوب أمامي.

إن الكتابة محكومة بعنصر المكان أو بحمل يحتل حيزا مكانيا مرئيا، وبطيئا. اليد الكاتبة لا تملك سرعة الفم الناطق. أما الكلام فإنه محكوم بالزمن كما أنه محكوم بالهواء كحامل طبيعي له، حيث لا هواء لا صوت؛ ولكن حيث لا هواء لا إنسان أيضا.

للصوت مسار واحد، أما الكتابة وبحكم أنها اعتباطية تختار المسار الذي تريده. من اليمين إلى اليسار كما في حالة العربية و الفارسية أو من اليسار إلى اليمين كما في حالة الفرنسية وغيرها أو من الأعلى إلى الأسفل كما في اليابانية مثلا، دون أن يؤدي هذا الاختلاف إلى عدم مقروئية المكتوب.

3- الحضور والغياب من علامات الخلاف أيضا بين المكتوب والمنطوق، فالمنطوق يتطلب بل يشترط حضورا (من هنا المحاضرة المتّسمة بالحضور وبالصوت معا) متزامنا للطرفين المتكلم والمستمع بخلاف المكتوب الذي لا يتم في أغلب الأحيان إلاّ في ظل

غياب طرف من الطرفين. (أقول اغلب الأحيان لأن الدّردشة على الإنترنيت قضمت قليلا من هذا الشرط) مع ما يعنيه ذلك من احتمالات كثيرة منها: عدم وصول المكتوب، أو عدم الرد عليه في حال وصوله وعدم معرفتي برد فعل المتلقي عليه مما يجعلني عاجزا عن استغلال مفهوم التغذية الراجعة لتغيير مسار رد فعل المتلقي. من هنا ثمة إلتباس في هوية المكتوب فهو من ناحية يخرج من محدودية الزمن المحكوم بها الصوت ولكنه يسقط مجددا في فخ الزمن بحكم الانتظار لتحقيق الغاية التواصلية؛ من هنا شبه ***Fernand Carton*** وهو عالم بالصوتيات الكتابة بالمونولوغ والكلام بالديالوغ.

4- المكتوب يقوم على الابتسار، لأن الكتابة قاصرة من ناحية تركيبتها عن تصوير كل خلجات الصوت، وما علامات الترقيم إلاّ حالات يائسة وناقصة للتعبير عن التنوعات الصوتية القائمة دائما إضافات ليست من صلب الكلام، ثمة في الكتابة ما هو نقل للصوت ونقل لما هو مصاحب للصوت من أمور غير صوتية، أو بتعبير آخر ما يعرف بـ"فوق قطعي ***trait suprasegmental*** وهذا ما نلحظه ونحن نقرأ رواية أو مسرحية على سبيل المثال.

وإزاء الإضافات ثمة حذف أيضا لأمور لا نعتبرها من صلب الكلام كالترديد لبعض الكلمات أو بعض المقاطع من كلمات لا تكتمل نعدل عن استعمالها في وسط القول وكذلك تلغى العبارات الاستفهامية التي تعبر عن التواصل المباشر (مهيك؟ عرفت كيف؟ انفهمت الفكرة؟). بغض النظر عن حسنات أو سلبيات هذه المسألة فإنه لا يمكن لنا أن نكتشف أو نكشف طلاقة هذا الشخص أو ذاك من خلال خطه. لأن أمام الخط فرصة التعديل والتغيير والتراجع أو فرصة الكتمان كتابتها والاحتفاظ بها؛ أما الكلمة المنطوقة لا يمكن لي أن اكتمها بعد التلفظ بها، فمجال تخبئها غير ممكن. من هنا يقال أن للجدران آذانا ولا يقال أن لها عيونا مثلا. كما أن الكتابة تذوّب الفروقات الصوتية اللهجية الخاصة بالإنتماء الجغرافي أو الاجتماعي فنحن نعرف بالمران والسماع صلة الصوت بالشخص. وهذا أمر غالبا ما يتوارى أمام الشكل المكتوب الواحد للأصوات المتعددة. أي لا يمكن لنا أن نتبين الفونيم من الألوفون.

5- وثمة خلاف على مستوى الكلمة، ليس في الكلام تقطيع للمفردات فنحن حين نتكلم لا نفصل بين كلمة وأخرى بوقف إلا لضرورات تنفسية أو بلاغية. إننا غالبا ما ندمج كلمة بأخرى أثناء الكلام مما يغير من طريقة خواتم أصوات الكلمات، أما في الكتابة فإننا نترك فراغا بين كلمة وأخرى، أي أننا هنا نتعامل مع الكلمات كوحدات منفصلة وليست كمقاطع تتحكم بالنطق بها قوانين صوتية لا تتماثل مع القوانين الإملائية أو الكتابية.

لا يوجد شعب لديه مشكلة مع أصوات لغته ولكن بالمقابل يكاد لا يوجد شعب ليست لديه مشكلة مع كتابة أصوات لغته وتأجيل حل المشكلة أو عدم الرغبة في حل المشكلة لا يعود لأسباب لغوية بقدر ما يعود لأسباب حضارية، أيديولوجية، دينية، سياسية. العادة طبيعة ثانية، ليس من السهل تغييرها أو استبدالها، وأغلب الأحيان تكون الظروف غير مؤاتية لقيام بخطوة فعلا جبارة وجريئة لإصلاح الكتابة، لأن الإصلاح يتطلب حضورا متناغما وتنسيقا بين ما هو سياسي وديني وتاريخي. والإقدام على هكذا أمر لا يكاد يتوافر في لحظة واحدة.

كما أن هناك ناحية مهمة هي الفرق بين ديناميكية المنطوق وثبات المكتوب. لكأن الصوت يتطبع بطباع الحامل له أو الناقل له وهو الهواء. كما أنه يتأثر بطبيعته ذات السرعة الفائقة بخلاف المكتوب الذي يرزح تحت عبء الحمل الثقيل والبطيء، وهذا يعني أن الفارق سوف يظل بين المنطوق والمكتوب بحكم طبيعة المنطوق المتغيرة باستمرار.

6-خلاف أيضا من حيث التمثيل، فالصوت إشارة أو رمز عن شيء ذهني ككل الكلمات التي تشير إلى أمر مجرد أو عيني ككل ما يدرك بالعين؛ بينما الكتابة هي رمز للصوت أي أنها رمز لرمز، وبمعنى آخر الصوت المنطوق رمز أول في حين إن الصوت المكتوب رمز ثان، وشرط وجود الثاني هو وجود الأول. وما نراه من كتابات للغات ميتة كالهيروغروفية على سبيل المثال ليس أكثر من أثر للرمز الأول.

الخلاف بين الصوت والكتابة يكمن أيضا في كون علاقته بالصوت هي علاقة فم بأذن بينما على صعيد الكتابة فإن العلاقة ليست بين الفم والأذن وإنما بين عين (متحركة) وورقة (ثابتة) تقوم مقام الفم (المتحرك) وليس بين الفم والأذن عائق بينما ثمّة عائق محتمل بين العين والورقة هو الظلمة.

ومهما يكن الأمر، فعلى الرغم من أن أعضاء الجماعة اللغوية ينظرون إلى لغتهم كما لو كانت لغة واحدة، فإنّ السلوك اللغوي الواقعي للفرد يختلف إلى حدّ ظاهر عند كلام أي فرد آخر من الجماعة نفسها؛ إنّ كل فرد منا له لغته المتفردة الخاصة به وحده، هذه اللغة تسمى لغة الفرد أو لهجته ***(idiolect)*** وهي لغة صالحة للدراسة من وجهة نظر اللغويين الإجتماعيين مثل **فيرث** مدرسة الإنجليزية، ومن جهة نظر الباحثين في عيوب الكلام. وإذا كان اللغوي المحترف يهتم بمحاولة الوصول إلى أحكام عامة خاصة باللغة المعينة. فإن عالم اللغة الإجتماعي يركّز إهتمامه على أنماط التغيرات الحادثة في اللغة والمجتمع، أو بعبارة أخرى، إنه مهتم بربط البنية اللغوية بالبنية الإجتماعية في المجتمع المعين. وعلى الرغم من أن كل فرد في الجماعة المعينة متفرد في أسلوب كلامه، أو منطوقه، فإن أفراد هذه الجماعة يمكن تصنيفهم أو تصنيف كلامهم من الوجهتين اللغوية والإجتماعية، فالتصنيف اللغوي يبنى على أساس الظواهر اللغوية الأساسية المشتركة بين لهجات هؤلاء الأفراد ونماذجهم اللغوية المشتركة الموظّفة في الإستعمال العام.

أما التصنيف الإجتماعي للمتكلم فيبنى على أسس اجتماعية متعددة كالتّشابه في التربية وما يرتبط بها من وضع إقتصادي أو ثقافي، وكالتماثل في الوظيفة والحرفة وكالعيش في منطقة واحدة، كما يبنى هذا التصنيف على نوع العلاقات الإجتماعية بين الأفراد. مما يدلّ على أن التصنيف الإجتماعي ذو معايير مختلفة، لكن الدراسة التي نحن بصدد القيام بها هي محاولة الربط بين آليات التصنيف اللغوي، والتصنيف السوسيو ثقافي.

وكان هنا لزاما علينا أن نميّز بين جانبين لهذا الربط، هما الجانب الجغرافي والجانب الإقتصادي الاجتماعي. ومعلوم أن اللغة تتنوع وفقا لهذين الجانبين، فالتنوعات أو التغيرات

الحادثة بسبب العامل الجغرافي تسمى تنوعات أو تغيّرات لهجية ***Dialectal*** أما التنوعات أو التغيرات الناشئة عن الوضع الاجتماعي فإنها تدعى التغيرات اللهجية الإجتماعية ***sociolectal***. آخذين بهذا المصطلح الحديث بقصد التفريق بين اللهجات الجغرافية ***geographical dialects*** واللهجات الاجتماعية ***social dialects*** أو ***sociolects***.

لكنه من الصعب تحديد حدود حاسمة بين هذين النوعين، فالواحد منا كثيرا ما ينوّع في كلامه في الإتجاهين كليهما، الجغرافي والاجتماعي، وفقا للموقف الاجتماعي الذي يجد فيه نفسه.

ولكن مع ذلك قد نقابل في بعض الحالات تنوعات لغوية معترف بها سواء أكانت عالية المكانة ولها نوع من التقدير الخاص أم لم تكن كذلك في المجتمع الواحد، كما هو الحال في سويسرا واليونان، وكذلك في البلاد العربية حيث يوجد تمييز واضح بين العربية الفصحى ***Classical Arabic*** والعربية الدارجة ***Colloquial Arabic*** على أن الوضع اللغوي في هذه البلاد وضع مستقر نسبيا.

بقي أن نشير في الأخير إلى أن التنوعات اللغوية السابقة (إجتماعية أو جغرافية) تدعى بالتنوعات اللهجية بوجه عام ***dialectal*** وهي تنوعات متعلقة بموقع مستخدم اللغة نفسه. فاللهجة الجغرافية أو الاجتماعية التي يملكها أو يكتسبها أو يستخدمها فرد ما هي وظيفة موقعة في المجتمع (من هو في المجتمع المعين)؟ ***who is he in the particular society?*** .

3.4 :أنواع اضطرابات النطق:

1.3.4عيوب النطق:

يعرّف اضطراب النطق بأنه مشكلة أو صعوبة في إصدار الأصوات اللازمة للكلام بالطريقة الصحيحة، يمكن أن تحدث عيوب النطق في الحروف المتحركة أو في الحروف الساكنة أو في تجمّعات من الحروف الساكنة كذلك، يمكن أن يشمل الاضطراب بعض الأصوات أو جميع الأصوات، في أي موضع من الكلمة، تعتبرعيوب النطق حتى الآن أكثر

أشكال اضطرابات الكلام شيوعا، ومن ثم تكون الغالبية العظمى من حالات اضطرابات النطق التي يمكن أن نواجهها في الفصول الدراسية أو في المراكز العلاجية.

2.3.4 :أنواع عيوب النطق:

يمكن تمييز ثلاثة أنواع رئيسية من عيوب النطق هي: الحذف والإبدال والتحريف ويوجد أيضا نوع رابع من هذه الاضطرابات يميّزه بعض الأخصائيين والباحثين عن الاضطرابات الأخرى ويطلقون عليه اضطراب الإضافة، فيما يلي نتناول هذه الأنواع الأربعة من عيوب النطق بشيء من التفصيل والإيضاح.

1- الحذف:*Omission* [1] :

في هذا النوع من عيوب النطق يحذف الطفل صوتا من الأصوات التي تتضمنها الكلمة، ومن ثم ينطق جزءا من الكلمة فقط، قد يشمل الحذف أصواتا متعددة وبشكل ثابت يصبح كلام الطفل في هذه الحالة غير مفهوم على الإطلاق حتى بالنسبة للأشخاص الذين يألفون الاستماع إليه كالوالدين وغيرهم، تميل عيوب الحذف لأن تحدث لدى الأطفال الصغار بشكل أكثر شيوعا مما هو ملاحظ بين الأطفال الأكبر سنّا كذلك تميل هذه العيوب إلى الظهور في نطق الحروف الساكنة التي تقع في نهاية الكلمة أكثر ممّا تظهر في الحروف الساكنة في بداية الكلمة (**كاريل** ***Carrel 1968***).

2) الإبدال:*Substitution*

توجد أخطاء الإبدال في النطق عندما يتم إصدار صوت غير مناسب بدلا من الصوت المرغوب فيه، على سبيل المثال قد يستبدل الطفل حرف (س) بحرف (ش) أو يستبدل حرف (ر) بحرف (و). مرة أخرى تبدو عيوب الإبدال أكثر شيوعا في كلام الأطفال صغار السّن من الأطفال الأكبر سنّا، هذا النوع من اضطراب النطق يؤدي إلى خفض قدرة الآخرين على فهم كلام الطفل عندما يحدث بشكل متكرر.

---

[1] – A. SEPENCER. Introduction to neurolinguitics, cambridge university press, cambridge 2000, p 186,

3) التحريف: ***Distortion***

توجد أخطاء التحريف عندما يصدر الصوت بطريقة خاطئة، إلاّ أن الصوت الجديد يظل قريبا من الصوت المرغوب فيه، الأصوات المحرّفة لا يمكن تمييزها أو مطابقتها مع الأصوات المحددة المعروفة في اللغة، لذلك لا تصنف من جانب معظم الإكلينيكيين على أنها عيوب إبدالية، على سبيل المثال قد يصدر الصوت بشكل هافت نظرا لأن الهواء يأتي من المكان غير الصحيح أو لأن اللسان لا يكون في الوضع الصحيح أثناء النطق تبدو عيوب التحريف تنتشر بين الأطفال الأكبر سنا وبين الراشدين أكثر مما تنتشر بين الأطفال.

4) الإضافة : ***Addition***

توجد عيوب الإضافة عندما ينطق الشخص الكلمة مع زيادة صوت ما أو مقطع ما إلى النطق الصحيح؛ يعتبر هذا العيب على أي حال أقل عيوب النطق انتشارا.

خلال مراحل النمو العادي للكلام واكتساب مهارات النطق، يقوم الأطفال عادة بحذف أو إبدال أو تحريف الأصوات اللازمة للكلام، يلاحظ أن أخطاء الإبدال هي أكثر العيوب شيوعا من بين عيوب النطق النمائية (**تمبلين** 1957) وعلى ذلك، ليس من المستغرب أن يخطئ طفل الرابعة من العمر في نطق بعض الحروف مثل حرف (ث) أو حرف (ر)، لكن لو أن طفلا يبلغ السابعة من عمره أخطأ في نطق بعض الحروف مثل حرف (ب) أو حرف (ك) فممّا لا شك فيه أن هذا الطفل يعاني من صعوبة من صعوبات النطق.

يمكن أن يحدث أي نوع من الأنواع الأربعة من عيوب النطق– التي سبقت الإشارة إليها– بأي درجة من التكرار، ونمط من الأنماط، كذلك يمكن أن يتضمن كلام الطفل عيبا واحدا من عيوب النطق، أو قد يتضمن مجموعة من هذه العيوب أيضا، فإن عيوب النطق عند الأطفال كثيرا ما تكون غير ثابتة وتتغير من مرحلة النمو إلى مرحلة أخرى، علاوة على ذلك، فإن الطفل قد ينطق الصوت الواحد صحيحا في بعض الأوقات أو المواقف، لكنه يحذف أو يبدل أو يحرّف نفس الصوت في أوقات معينة أو مواقف أخرى.

من الأمور البالغة الأهمية بالنسبة للأخصائي الإكلينيكي في عيوب النطق أن يحدد ما إذا كان خطأ ما من أخطاء النطق يعتبر عيبا حقيقيا من عيوب النطق أم أنه خطأ من الأخطاء اللغوية، ترجع أهمية هذا التمييز إلى أن أهداف العملية العلاجية وأساليبها تختلف تماما بالنسبة للحالتين.

4.4 : تفاوت حدّة عيوب النطق :

تتراوح عيوب النطق من عيوب خفيفة إلى حادة، في الحالات التي تكون فيها عيوب النطق من النوع الحاد يصعب فهم كلام الطفل من الناحية الأخرى، يعاني الطفل معاناة شديدة عندما يحاول التعبير عن أفكاره أو حاجاته الخاصة في المحيط الأسري أو المدرسي أو في علاقاته مع الزملاء، إلاّ أن مدى الإعاقة في وضوح كلام الطفل ليست العامل الوحيد الذي يؤثر في الحكم على درجة حدّة الاضطراب، فالعمر الزمني للطفل– بلا شك– يعتبر عاملا هاما وخاصة في ضوء الطبيعة النمائية للنطق والكلام التي سبقت الإشارة إليهما عندما يخطئ الطفل البالغ السابعة من عمره في نطق أصوات الكلام النمائية المبكرة فإنّه يعاني من اضطراب أكثر حدة من طفل آخر من نفس سنه، لكنه يخطئ إلاّ في الأصوات النمائية المتأخرة فقط، كذلك عيوب النطق الثابتة الراسخة عند الطفل الأكبر سنا، عادة ما تكون أكثر حدة صعوبة العلاج من الأخطاء غير الراسخة عند طفل آخر أصغر سنا بوجه عام، يمكن القول بأن الأخطاء الثابتة أقل قابلية للعلاج من الأخطاء الطارئة الوقتية.

من ناحية أخرى فإن عدد عيوب النطق وأنواع هذه العيوب عامل مؤثر أيضا في تحديد درجة حدة الاضطراب مع مراعاة أن عيوب الحذف تعبّرعلى مستوى طفلي أكثر من عيوب الإبدال أو التحريف، كذلك فإن العيوب التي تتضمن أصواتا تتكرر كثيرا في اللغة تكون ملحوظة بدرجة أكبر كما أنها تنعكس على وضوح الكلام بدرجة أكبر من الأخطاء التي تتضمن الأصوات النادرة أو قليلة التكرار في اللغة وعندما يكون الطفل قادرا على تصحيح عيوب النطق إذا ما توفرت الإستشارة السمعية والبصرية اللازمة ويعتبر ذلك عادة دلالية علاجية جيدة على أن الطفل سوف يكون قادرا على تعلّم إصدار الأصوات الصحيحة اللازمة

للكلام أمّا الأصوات الخاطئة التي لا تكون قابلة للاستشارة (أي عيوب النطق التي تستمر عند الطفل حتى مع توفيرالإستشارة الإضافية والدلالات التي يقدّمها المعالج) يصعب في العادة تدريب الطفل على تصحيحها.

وفي الأخير فإن مشكلة المنطوق عسيرة وطريقته أعسر، وسوف نرى ذلك حين الحديث عن مختلف المستويات الفاعلة أو المتحكمة في تنوع المنطوق في "تلمسان"، والباحث في هذا المجال لا سبيل له سوى تشخيص الظاهرة وعرضها على مختلف الأجهزة الخاصة المتوفرة في مختلف المخابر بإعتبار أن هذا الأخير أصبح علما قائما بذاته.

المبحث الخامس : الإطار السوسيولساني لمنطقة "تلمسان":

يعد الشكل اللغوي أو المنطوق في "تلمسان" واحدا من اللهجات الحضرية الذي غرس من قبل العرب الأوائل لشمال إفريقيا في القرنين السابع والثامن ميلادي على التوالي، على العكس من ذلك فاللهجات الريفية (البدوية) جاءت في مرحلة متأخرة من القرن الحادي عشر ميلادي مع الموجة الثانية من العرب على يد بني هلال.

على الرغم من أن لفظي "**حضري**" و"**بدوي/ ريفي**" ليسوا مستعملين في تصنيف لهجات من هذا الطراز إلاّ أنه يمكن أن يكون مفيدا جدّا أن ننوّه بالطريقة التي يتباين فيها النموذجان خاصة قبل النزوح نحو المدن الكبرى أثناء العقود القليلة الفارطة، حيث كانوا يعتبرون نموذجين يمثّلان المجموعة الكلامية التي ينتمون إليها، إما كـ "حضر" أو "بدو".

لكن هذه المفارقة "***Dichotomy***" "**حضر/ بدو**" تميل إلى الاختفاء في الآونة الحالية كنتيجة حتمية للإنصهار والتعايش الذي حدث بين النموذجين في المدن والمراكز التجارية الكبرى.

يبدأ أن الفرق بين نموذج اللهجتين يبقى، ويظهر بالأساس في نطق عدد لا بأس به من الخصائص الصوتية والمورفولوجية، ومثال ذلك [ت، ذ] مقابل [ث، د] وكذا ضمير المتكلم الغائب [نتاعه] [نتاعو]. زد على ذلك استعمال "***Item***" أدواة التعريف معجمية مختلفة مثل [قاع] [كامل] [كرع، ردجل]، [واه]، [إييه].

لكن الخاصة التي تحرّك النموذجين اللهجيين المتباينين هي نطق الفونيم/ ق/ مهموس ***[voiceless]*** في المدن إما [ʔ] أو [ك] ومجهورة في الأماكن الريفية فتنطق **[g]** وهذا ما يقرّه جان كانتينو:

"***'' Seule une prononciation sourde du "qaf" a un sens décisif, tous les parlers de sédentaires, et seuls les parlers de sédentaires ont cette prononciation (1939- p82)[1]".***

[1] - *. Linguistique Général john Cantineau. page 41

أي أنّ: "وحدة النطق الأصم "للقاف" لـه المعنى الحاسم؛ كل المتكلمين "الحضر" ووحدهم المتكلمون الحضر لهم هذا النطق".

5. 1: النموذج التلمساني:

إذا ما تحدثنا تاريخيا، "فتلمسان" تعتبر مركزا حضريا يتميز بالحافظة الشديدة للخصائص الاجتماعية والثقافية والتي تنعكس بالأساس في منطوق سكانها، خصائص من بين أخرى عديدة سوف نراها، يمكن اعتبارها خاصة بالنموذج "التلمساني" لكن كما سبقت الإشارة من قبل؛ الخاصة التي تميّز هذا المنطوق هي نطق / ق/ كـ [ʔ][1] ما دام أن /ق / في معظم اللهجات الجزائرية تنطق إمّا [q] أو [g].

1.1.5: الهمزة [ʔ]:

لهجة "تلمسان" معروفة وموسومة باستعمال الهمزة حتى أنه في الجزائر من يستعمل هذه اللهجة يعرف مباشرة أنه "آتي من تلمسان" هذا من جهة، ومن جهة أخرى يوجد بطاقة "***étiquette***" تعود للتلمسانيين "**شعب آلي أتلك**" عبارة تستعمل للدلالة على المتكلمين الذين يستعملون [ʔ].

فمما سبق ذكره يتجلى أن الهمزة تدل على أن المتكلم هو تلمساني المولد، فمصطلح "الإشارة" ولا "الدلالة" يتطابق مع الخصائص السوسيو إقتصادية أو الأسلوب. وإنه لواضح أنّ المتغيرات اللسانية وثيقة الارتباط بالطبقات والتصنيف الاجتماعي وقياس الأسلوب.

* يوجد فرق واضح بين العربية الكلاسيكية التي تستعمل فقط في الكتابة والحالات اللغوية الرسمية الجزيلة، كالخطاب الديني أو السياسي والنماذج العادية في الحديث اليومي أين تستعمل النماذج الأقل درجة/ منحط ***[Low variety]***.

* لأسباب سياسية أو دينية إنه من الصعب إقامة مفارقة في البعد الاجتماعي وأصعب من ذلك الربط بين الخصائص اللسانية والمركز السوسيو إقتصادي.

---

[1] Esquisse Grammaticale de l'Arabe Magrébine . Librairie d' Amérique et d'Orient. Paris. PH. Marcais1977 – 118– ,

إذا ما انطلقنا من فكرة أن الهمزة [ʔ]هي نموذج النطق في "تلمسان" فسوف نلحظ أن التغيير في هذه الخاصية يقع في بعض السياقات الكلامية الاجتماعية والتي سوف نراها أكثر دقة وتحليلا في الموضوع الآتي.

لكن إذا ما تتبعنا استنتاج بعض التقنيات "**اللابوفية**" "***Labovian***" فيما يخص التحقيق بشأن المتغير سوف يكون علينا أن نعطي قائمة من الأسماء، أو قراءة نصوص للحصول على معطيات تخص استعمال الهمزة [ʔ] لكن من المؤكد أنّه لا أحد سينطق الهمزة [ʔ] بما أنّ الحرف الذي يقابلها في اللغة المكتوبة هو "القاف" [ق] والذي يقرأ [ق].

بالمقابل في سياقات أخرى يوجد بعض الحدود الاجتماعية القوية والتي عادة ما تكون مسؤولة عن زيادة التغيير في بعض الخصائص اللغوية لمنطوق "تلمسان" فبعد استقلال الجزائر نزح عدد من السكان نحو المدن الكبرى وكنتيجة لنزوح تلك الفئة إلى "تلمسان" حصل تداخل لهجي كبير بين "البدو" و"الحضر" خاصة على المستوى الصوتي والمعجمي. والخاصة الرئيسية لمنطوق "تلمسان" هي الهمزة [ʔ] ومعظم المتكلمين القاطنين بمنطقة "تلمسان" هم واعون بشأنها وموضوع التغيير بين حالات الاتصال اللهجي، حقيقة واضحة تخص هذا الشأن كما سنرى لاحقا هي أن مستعملي اللهجة الحضرية والتي تمثل الأغلبية (على الرغم من أن مستعملي اللهجة البدوية أصبحوا يزدادون)، هي أنّ هؤلاء يفضّلون استعمال الهمزة [ʔ] والأمثلة تبين ذلك:

آلي ———	قالي	قالي[1]
الطريء ———	الطريق	الطريق
حمأة ———	حمقة	/

[1] – Sociolinguistic variation in an urban context, by Zoubir Dendan, 1993, p 36.

ويتجلى هذا بالأساس عند المتكلمات "التلمسانيات" اللائي يفضلن المحافظة على لهجتهن مهما كانت الظروف أو السياقات التي يتكلمن فيها، على العكس من ذلك يفضل معظم الرجال الحديث بالقاف [ق] حين محادثتهم للبدو وهذا ما يجعل هذه الخاصية تلتصق لتكون علامة سوسيولسانية يفضل مستعمليها المحافظة عليها فيما بينهم.

2.1.5 :تغيير الموضع والتصرف اللغوي:

سؤال مهم ينبغي طرحه في هذا المستوى من الطرح اللغوي، لماذا سكان "تلمسان" الأصليين يجنحون إلى اللهجة أو المنطوق البدوي؟

فحسب "**ترادقيل**" و"**تشامبرز**" (1980) في حالات الاتصال اللهجي، إنها الأقلية "الآتون الجدد" عادة ما يسكنون لهجتهم إلى تلك الحضرية وذلك بتغيير لهجتهم ومعجم مفرداتهم"[1]، ولكن من الغريب جدّا أن نجد العكس في لهجة "تلمسان" فالسكّان الأصليون "لتلمسان" يظهر أنهم متأثرون بالمتكلمين البدويين. إجابة واحدة ممكنة لهذا السؤال، وهي أن هذا التصرف اللغوي له أنثوية، وخاصة باستعمال الهمزة [ʔ] لذلك السبب خاصة، كل متكلم يجد نفسه محرجا باستعمال لهجة "تلمسان" يميل إلى تغيير تلك الخصائص "المحرجة" التي تعاب على لهجته، لكن هذا التغيير الإجباري ليس دائما مسألة خجل، فالمتكلم "التلمساني" يجنح عادة نحو اللهجة البدوية من أجل أهداف أ خرى، كربح استحسان السامع أو بكل بساطة ليفهم جيدا وبسهولة، وكنتيجة إيجابية لهذا التغيير هي اكتساب درجة كبيرة من "كفاءة الاتصال" (الازدواج اللهجي، التعدد اللهجي).

3.1.5 :الخاصية المورفولوجية:

العديد من المورفيمات الاشتقاقية والتركيبية في اللغة العربية الفصحى اندثرت من اللهجات العربية المتداولة في الوقت الراهن. نقطة مورفولوجية واحدة قاومت الظاهرة وهي

---

[1] P. trudgil, sociolinguistic, London 1987, P : 79.

محفوظة في معظم –إن لم نقل كل اللهجات – وهي ضمير المؤنث الغائب [ي] إذا ما خاطب متكلم من غير سكان "تلمسان" امرأة سوف يقول [روحي] أو [روحت] و[تروحي] بمعنى اذهبي ذهبتي وتذهبين على التوالي، فعلى العكس من ذلك ففي منطوق "تلمسان" يحذفون هذا المورفيم اللاحق ليساووا بين المذكر والمؤنث فيقولون [روح] فقط لمخاطبة الرجال والنساء على حدّ سواء.

بيد أنّ حذف اللاحق [ي] يظهر فقط في منطوق "تلمسان" واستعماله قد حذف في كل اللهجات العربية عندما يتبع ضمير المخاطب المورفيم اللاحق [ك] المستعمل في العربية الفصحى في كل من صفة الملك "***Possessive adjective***" وضمير الفاعل ويتضح هذا جليا في الأمثلة الآتية [كتابك] و[ضربك] فتنطق [كتابك] لكلّ من المذكر والمؤنث.

يوجد على العكس من ذلك حالات متفرقة أين اللاحقة الأنثوية [ي] تحفظ قبل المورفيم [ك]، في لهجات عديدة الناس يقولون حين السؤال عن حالة شخص آخر أنثوي [واش راكي] في الجزائر العاصمة و [كيراك] للمذكر. [عندك] بمعنى "هل تملكين؟" أو "انظري" تبعا لسياق الكلام وهو حالة أخرى أين [ي] يحتفظ بها بعد [ك] بيد أن منطوق "تلمسان" معروف بحذف اللاحقة الأنثوية [ي] في كل الظروف [كيراك] هو نطق المتكلم "التلمساني" للذكر والأنثى على التوالي و[عندك لم] "هل عندك الماء؟" كذلك تستعمل للذكر والأنثى.

إذن يتضح مما سبق من الأمثلة أنّ فقدان المورفيم اللاحق المؤنث [ي] هو خاصية أخرى تميز منطوق "تلمسان".

بيد أنه ما يلاحظ في منطوق تلمسان في الوقت الراهن وخاصة في حالات الاتصال اللهجي هو أن المورفيم [ي] في الأسئلة يظهر كنتيجة للخلط اللهجي بالنسبة للهمزة [?] الذي يستبدل بـ [ق] أو [ق] زيادة على ذلك ما يلحظ هو أنّه ربما كنتيجة للهجات البدوية

المتعايشة مع اللهجة الحضرية، اللاحقة [ي] تسربت إلى منطوق "تلمسان" وتستعمل بمحض إرادة المتكلمين، وسوف يكون لنا حديث مطول حول هذه الظاهرة حين الحديث عن المتغيرات السوسولسانية.

2.5 :المشكل المعجمي لمنطقة "تلمسان":

إنه من المتعارف عليه أنّ الرابطة الكلامية العربية بعناصرها "الدقلوسية" أن معجم الأشكال اللغوية السفلى تؤسّس عددا لا بأس به من المفردات المزدوجة ويعزى هذا بالأساس لثراء اللغة العربية بالمفردات وضخامة معاجمها حيث يقول "**آلتوما**" "***Altoma***" في هذا السياق:

"***''Is endowed with a rich vocabulary characterized often by multiplicity of lexical items denoting one and the same meaning".***[1]

بمعنى أن *'' اللغة العربية مزودة بمفردات تتميز عادة بالوفرة، والتعدد، وتعني الشيء، والشيء نفسه.''*

هذه المفردات انسجمت في منطوق "تلمسان" ومع تغيير طفيف تارة، وجذري تارة أخرى إذا ما قارنّاه بالشكل الكلاسيكي، هذه أمثلة من منطوق "تلمسان" على الرغم من أن ليس كل المفردات خاصة بالنموذج أو منطوق "تلمسان" كما يدلّ على ذلك عنوان هذا البحث.

اللهجة الحضرية:	[أقعد]	[ردجل]	[كامل]	[إبيه]	[آدجي]
اللهجة البدوية:	[جمع]	[كرع]	[قاع]	[واه]	[أرواح]
العربية الكلاسيكية:	[اجلس]	[رجل]	[كل]	[نعم]	[تعال]

[1] -Altoma, the Problems of diglossia in Arabic. A comparative study of classical and Iraqi language.

توجد أشكال معجمية أخرى يمكن اعتبارها كعلامات قوية وخاصة بمنطوق "تلمسان" بما أنها لا تسمع في منطوق لهجي آخر؛ [إييه] واحد من هذه الأشكال، وإلى جنب كلمة السؤال [ماذا؟] والتي تنطق [آسم] إلاّ أنها تنطق [واش] و[واشت] و[شت] و[ش] في مناطق حضرية في مدن مجاورة "لتلمسان" كـ "وهران" و"سيدي بلعباس" و"سعيدة" و"معسكر". بالخاصية نفسها كلمة [أخي] في "تلمسان" تنطق [خاي] متبوعة دائما بصفة النسبة "كأخي" تنطق [خاي] و[خاه] لدلالة على كلمة "أخاه" وبالمقابل في معظم مناطق الجزائر المتكلمون يقولون [خويا] و[خوه].

شكل آخر "تلمساني" محض يستحق الوقوف والدراسة والتحليل هو [نتسين] بمعنى [أنت] لدلالة على ضمير المؤنث والمذكر معا، والذي يختلف مع الأشكال اللهجية الأخرى في الجزائر حيث نقول لضمير المذكر [نت] ولضمير المؤنث [نت] بمعنى [أنت] و[أنت] على التوالي.

فعلا إنه من العادي أن تسمع متكلمين "تلمسانيين" ذكورا يستعملون [نت] و[نت] ضميرين للمخاطب وهذا تبعا لبعض السياقات التي يجد المتكلم نفسه فيها إمّا مجبرا، أو من أجل التفاهم، أن يستعمل هذه الأساليب عوض الأولى التي هي من رموز المتكلمين التلمسانيين [نتسين].

3.5 :من علم اللهجات البدوي إلى علم اللهجات الحضري:

وقت بعيد بعد العزلة الجماعية بدأ علم الاجتماع وعلم اللغة يتطوران مدعّمين بتميز "**دي سوسير**" (1916) بين "**اللغة**" و"**الكلام**" من جهة و"**تشومسكي**"(1965) بين "**الكفاءة**" و"**الأداء**" ومن جهة أخرى، بدأ التباين بين العلمين يتقلص ويضيق في العقود الأخيرة الماضية وكنتيجة للأهمية التي أعطيت لدراسة اللغة كاتصال اجتماعي، العديد من علماء

اللغة أصبحوا يهتمون بالظواهر اللغوية مقرونة بعلم الاجتماع وهذا ما يقره "**قيقليولي**" "*Giglioli*":

"***''Go back to the analysis of actual speech in concrete social groups and reintegrate the social context of the speech act in linguistic description"***[1].

بمعنى: "ارجع إلى تحليل اللفظ الحالي في مجموعات اجتماعية واقعية وأدمج السياقات الاجتماعية لعملية الكلام في وصف لغوي "

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعايير الاجتماعية والثقافية التي خصت وتصنعت في الخصائص اللغوية– الدور الوظيفي للغة– للمتغيرات، والجماعة اللغوية...الخ، بدأ عدد لا بأس به من العلماء في بناء نظريات وتحليل سلوك لغوي في الواقع الاجتماعي وذلك بجمع معطيات لغوية من الواقع المعاش.

ربما تبقى الفكرة غير واضحة ولن تتجلى للعام أن يجد علاقة وطيدة بين ما يوجد من أفكار بين هذه الأسطر وعنوان هذا المبحث، لكن أصحاب الميدان من علم اللهجات يتضح لهم أن المقصود من علم اللهجات الحضري– والذي هو موضوع بحثنا– هو إظاهر وتبيان العلاقة الوطيدة التي تجمع كل من المتكلم، والبيئة الاجتماعية التي يعيش داخلها. أما فيما يخص علم اللهجات البدوي فهو ذلك العلم الذي يختص بالدراسة الكلاسيكية للهجة معينة وسوف يكون لنا حديث مطول عن ذلك في موضع آخر.

1.3.5 :علم اللهجات الحديث:

لمختلف الدراسات التقليدية للهجات الجهوية دورا عريضا في تطوير علم الاجتماع اللغوي على الرغم من أن الهدف الرئيسي كان جغرافي محض. علم اللهجات قفز من دراسة حقائق حول توزيع اللهجات جغرافيا إلى التحليل، والتمحيص بطريقة علمية ذلك على مستوى

[1] -P.GIGLIOLI. Language and Social Context, Penguin Books. England. 1979. P09.

النماذج الحضارية مشتركة مع العوامل الاجتماعية، بطبيعة الحال هذا التغيير نتج عنه تغيير في الأهداف ومناهج البحث كذلك، يبد أن علم اللهجات "التقليدي" كان متعلقا باللهجات البدوية. مرة أخرى علم الاجتماع اللغوي يحلّل ويدرس بالدرجة الأولى المواضيع اللسانية بالمتغيرات الاجتماعية؛ بعبارة أخرى قاصدا الإيجاز والتوضيح، أصبح هدف علم اللهجات الحديث غير ذلك المتداول بين الدراسات التقليدية؛ بل تعدى تلك الحدود لينصب اهتمام علماء اللهجات الحديثة على إظهار كيف أن المتكلم يكون مربوطا ومتلازما أن يتكلم بلهجة معينة ما دام أنه ينحدر من فئة أو طبقة اجتماعية معينة، فكل طبقة اجتماعية لها طريقتها في اختيار المفردات وأشكال التعبير حفاظا على مستواها الاجتماعي من جهة، ولخلق ميزة بين منطوقها أو شكلها اللغوي ونموذج الطبقات الاجتماعية الأخرى من نفس المجتمع من جهة أخرى.

إضافة إلى ذلك فعلى العكس من علماء اللغة اللبنيويين الذين يعتبرون أن دراسة اللغة يجب أن تكون حرة السياق، فعلماء الاجتماع اللغويين رفضوا مبدأ اللغة كوحدة متجانسة وراحوا ينعتونها كنظام نشط غير متجانس مع المتغيرات اللغوية ذلك لأنّ لا أحد ينكر حقيقة أن المتغيّرات هي جزء متكامل مع الألفاظ وهذا التغيير الصوتي هو محكوم بالمتغيرات الاجتماعية.

مع تطور علم اللهجات الحديث والذي يعود بالأساس إلى الأبحاث القويمة والرائدة في هذا الميدان لـ "**ويليام لابوف**" "***William Labov***" فإنّ النموذج الكلاسيكي للجماعة اللّهجية لم يعد متمسّكا على وجه الخصوص بالسياقات الحضرية وتعدد المتغيرات اللسانية بل يتعدى ذلك بكثير وهذا ما يقره "**هاليدي**" "***Halliday***" (1978)

"The urban "speech community" is a heterogeneous unit, showing diversity not only between one individual and another, but also within an individual. And this leads us to recognize a basic fact about urban speech: that the language itself is variable. The

variation is intrinsic in the system, a system with a great deal of flexibility in it"[1]

بمعنى أن:"الجماعة اللغوية" الحضرية هي وحدة غير متجانسة، الاختلاف فيها يكون ليس فقط بين الأفراد ولكن حتى الفرد بنفسه، مما ساعد على معرفة الحقائق الأولية للتكلمات الحضرية، وهي أن اللغة متغيرة بالتغيرات الذاتية لنظام لغوي متحول".

اختلاف هذا النوع كان دائما محلّ اهتمام ودراسة لثلاثة أبعاد آنية أو [سينكرونية الجغرافية، الاجتماعية والأسلوبية ***(stylitcs)*** وكذلك في كل المستويات اللغوية [صوتية، صرفية، تركيبية، ودلالية] بين علماء الاجتماع اللغويين والذين تبنّوا مناهج مختلفة في جمع المعطيات بما أنّ العوامل تختلف من جماعة لهجية إلى أخرى أو من طبقة اجتماعية لأخرى.

2.3.5 :البنية السوسيولسانية الحديثة:

علماء اللهجات وعلماء الأنثروبولوجيا ولغويون أرادوا أن يبيّنوا أن التغيير في اللغة الآنية يمكن أن يفسر فقط بالربط أو الرجوع إلى العوامل الاجتماعية ومن ثمة إعطاء أهمية لدراسة اللغة داخل سياقها الاجتماعي، أعطت هذه النظرة ميلاد علم جديد يسمى "السوسيولسانيات" أو علم الاجتماع اللغوي. هذا النوع من العلم لم يأت فقط لإلقاء وتسليط الضوء على طبيعة اللغة داخل المجتمع ولكن كذلك لشرح العوامل الاجتماعية المختلفة وتفسيرها وعلاقتها المتينة مع التغيير اللغوي ومن ثم كيف تكون مسؤولة على ميكنزمات التغيير اللغوي كما أقره العالم "**ديل هايمز**" "***Dell Hymes***"

''Concepts that are unquestionably postulated as a basic to linguistic (speaker, listener, speech community, speech act, acceptability…etc) are, as we see in fact sociocultural

[1] – Halliday, M. A. K Language as a social Semiotic, the social interpretation of language and meaning, Arnold publishers L. T. D, London (1978), P 155.

variables, and only when one has moved from their postulation to their analysis can one secure the foundation of linguistic theory it self"[1]

بمعنى أنه: "بتوظيف المصطلحات حسب الأسس اللسانية(المتكلم والمتلقي والجماعة اللغوية والحديث اللغوي، والقابلية...الخ) تتغير المفاهيم ضمنيا بالتغيرات الثقافية، الاجتماعية، زد على ذلك تحليل المصطلحات وضبط أسس النظريات اللسانية نفسها".

وفي محاولة لبرهنة أنّ كل جماعة لغوية، أكانت أحادية أم زوجية أو متعددة اللغات فإنّ التغيير اللغوي هو القاعدة، وإنه فعلا البنيوية غير المتجانسة والتي- علماء الاجتماع اللغويين- يريدون إثراءها والبرهنة عليها بما أنّها تمثل الركيزة الأساسية للبحث في الحقائق الاجتماعية أكثر من الحدس اللغوي المثالي الذي يختلف عن الحقائق الواقعية والآفاق الاجتماعية.

بالمقابل في بعض الجماعات اللغوية التصرف السوسيولساني لمتكلم ينحدر من طبقة راقية يمكن أن يكون تقريبا نفسه ومطابقا لما نعتبره لغة رسمية، وفي جماعات لغوية أخرى توجد هوّة تفرّق بين اللغة الرسمية واللهجية المتداولة يوميا والمثال الآتي يبين ذلك بوضوح:

في الجماعات الكلامية العربية يوجد دائما فرق بين جملة من اللغة الرسمية وأخرى من لهجة العامية [إنهم قادمون] تنطق في "تلمسان" [روم مادجيين]، إذا لو أخذنا بعين الاعتبار الهوة العريضة التي توجد بين "العربية الفصحى" ولهجاتها العامية لسهل لنا استخلاص الاستعمال اللغوي وعلاقته بالطبقة الاجتماعية التي ينحدر منها المتكلم.

ربما ولأسباب علمية عملية محضة أغفلنا التفصيل والتدقيق حين الحديث عن الإطار السوسيولساني في منطقة "تلمسان" وتعرضنا لبعض الظواهر التي تميز هذه المنطقة عن باقي المناطق في الجزائر، وإنه المقام المناسب للحديث عن ظواهر أخرى نشهدها في منطوق أو النموذج اللهجي التلمساني، فأوّل الظواهر التي لاتتطلب الجهد لملاحظتها هي

[1] D. Hymes. Sociolinguistics. "On Communicative Competence". Pride/ Holmes Edition. 1971. P 277.

التعدد اللفظي– إن أصبنا في اختيار المصطلح– بما أننا نتحدث عن لهجة أو منطوق خاص بمنطقة قائمة بذاتها. فمن البديهيات التي لا يختلف فيها لا العام ولا الخاص في الآونة الأخيرة، هي أنه لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مجتمع أحادي اللغة "***Monolingual***" فعدد غير قليل من المجتمعات شهدت وضعية ثنائية اللغة "***Bilingual***" حتى لا نقول متعددة اللغات "***Mutilingual***".

فإذا اعتبرنا أن كل لهجة هي لغة فعلية فإن كل المجتمعات متعددة اللغات، و على حد قول "**روبنز**" "***Robins***" في هذا الصدد "هذه المجتمعات الثنائية أو المتعددة اللغات تمثل شكلا من المجتمعات المتعددة اللهجات الموجودة في كثير من المدن الكبرى[1]".

"فتلمسان" التي هي مدينة من مدن الجزائر، كانت ملتقى اللغات إذ أن "بعض الكتابات وثنائية اللغة ومرفقة إما بنص **بوني** "***punique***"أو **لاتيني** (***latin***)[2] تتميز بالتعدد اللغوي حيث نسمع المزج بين اللغتين العربية والفرنسية وهذا خاصة عند النساء اللائي يفضلن دائما أن يكن مختلفات عن الأخريات، حتى لا تكاد تسمع جملة عربية مائة بالمائة فإما الضمير أو الفعل أو الفاعل يكون باللغة الفرنسية مثال "**آجي تمشي للمارشي**" ما يقابلها في اللغة العربية "**تعالى نذهب إلى السوق**" أكثر من ذلك يحدث عادة بين امرأتين من تلمسان أنهن يتحدثن بلهجة تلمسانية لكن هذه الأخيرة لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من خطابهن والباقي يكون طبعا باللغة الفرنسية مثال ذلك " ***''C' est-elle quel m'a dit que tu a portée aftan''*** يقابل ذلك باللغة العربية" إنها هي التي قالت لي أنك حملت قرفطان "" أو " ***'' c'est à propos de lbniaà''*** ، ما يقابله في اللغة العربية "فيما يخص البنيقة[3]" هذا فضلا على بعض المفردات الأخرى من لغات أجنبية والتي سوف يكون لنا حديثا مطول عنها حين الحديث عن الظواهر الأخرى كالمزج والخلط، فلا بأس أن نعطي مثال عن ذلك حتى يتجلى

---

[1] – Robins, R. H, General linguistics, An introductory survey, (1964), p 302.

[2] – Kaddache, M. "L'Algérie dans l'antiquité", (1972), p 32.

[3] – البنيقة: هي نوع من اللباس عادة ما ترتديه العروس التلمسانية.

للقارئ المفهوم المقصود، **[ماما ري راعدة]** فهنا مزج المتكلم بين اللغة الفرنسية حين قال [ماما] **[maman]** ومنطوق أو لهجة "تلمسان" **[ري راعدة]** بمعنى "أنها نائمة". هذا بالإضافة إلى أمثلة أخرى وتحليل أدق وذلك في فصل آخر حين الحديث عن الاختلاف الثقافي وانعكاساته في تنوع المنطوق.

ظاهرة سوسيولسانية أخرى تميز سكان الجزائر بصفة عامة وسكان تلمسان بصفة خاصة، ويعزى ذلك بالأساس لأسباب عملية محضة سوف نرجع إليها بأكثر دقة وتفضيل في موضع آخر،هذه الظاهرة هي ظاهرة الخلط بين لغتين مختلفتين في عبارة واحدة، ما يدعى باللغة الإنجليزية، ***code- mixing*** وهي أن يخلط المتكلم بين لغته الأم ولغة أجنبية أخرى إذا كان يريد أن يتحدث باللغة الفصحى لكن عادة ما نلحظ هذه الظاهرة حين يتكلم بالعامية الدارجة حين يخلط المتكلم بين عاميته وعامية أخرى أو لغة أخرى، وذلك تبعا طبعا لشخصية المتكلم ومستواه الاجتماعي الثقافي وأسباب أخرى سندرجها في عنوان حين الحديث عن المتغيرات اللسانية، مثال ذلك **[رك ماشي لسيبار؟]** ما يعادل [أنت ذاهب إلى cyber] ضف إلى ذلك ظاهرة التغيير اللغوي وهي أن يتكلم المخاطب لغة في حديثه ثم يجنح إلى لغة أخرى وذلك لأسباب تعود للشخص المتكلم؛ إما لنقص في الكفاءة للغة الأم أو للضرورة حيث يستدعي المقام أن يغير لغته أو طريقة كلامه، وهذا ما يعرف بالإنجليزية بـ"***code Switching***" أو قد تبلغ به الضرورة إلى أن يغير حتى اللغة، وقد يحصل هذا عادة عندما لا نجد المصطلح المقابل في اللغة الرسمية أو الأم، كما يحدث لنا عادة في اللغة العربية والتي على الرغم من عمق معاني مفرداتها وثقل وزن معاجمها إلا أننا نجد أنفسنا في أكثر من مناسبة أن نغير اللغة والجنوح إلى لغة أخرى يتوفر فيها المصطلح، ومثال ذلك باللغة العربية السوسيواقتصادية ما يقابل في اللغة الفرنسية ***"Socioéconomique"*** أو على مستوى اللهجة العامية كما هو الشأن في منطوق "تلمسان" في عبارة "**طلع لآلجي يعلأ الفيزا**"

بمعنى "سافر إلى الجزائر ليأتي بالتأشيرة" وقد تحدث هذه الظاهرة عندما ينسى المتكلم "المفرد" الذي يود استعماله كـ "**الباسبور حمر**" ما يعادل في اللغة العربية "جواز سفر أحمر".

ومن المتكلمين من يغير اللغة أو اللهجة لسهولة واجتماع المفردين الذين يود استعمالهما كـ"**فاصي الطابلو**" بمعنى "امسح السبورة" فإذا نطق المتكلم "**فاصي السبورة**" تكون العبارة أثقل، وللظواهر هذه أثر على التداخل بين اللغتين أو اللغة واللهجة. وإذا كان الحال كذلك فإما يكون ذلك على المستوى الصوتي وهي تطابق فونيم في لغة ما مع فونيم في لغة أخرى مغايرة، مثال: **فليزة/** ***la valise*** وقد يكون على المستوى المورفولوجي ويكون ذلك بنقل مورفيم مباشرة من لغة إلى لغة أخرى مثال "**ستيلويات**" بمعنى "الأقلام" أو "**كارطابات**" بمعنى "المحفظات" حيث يبقى المتكلم عن المورفيم الأصلي ويضم بعض اللواحق أو إشارة الجمع كـ"يات" في "**ستيلويات**" أو حتى على المستوى المعجمي وهو التحويل المباشر للكلمات أو المفردات كما نلحظ ذلك في منطوق "تلمسان" "**عملي لاري**" "قف من فضلك" لصاحب الحافلة أو "**أبط عليه التسيكي**" بمعنى"أقبض عليه التذكرة".

المجتمع التلمساني يتميز بصفة أخرى ونجدها عند أهل "تلمسان" كما نجدها في باقي المناطق لكن بدرجة أقل وهذه الظاهرة هي ***Diglossie*** أين نجد في المجتمع الواحد أكثر من لغتين أو نموذج لغوي، أو بالأحرى شكل لغوي، لكل واحد منهما وظيفته الخاصة، للأولى مرتبة عالية أو رسمية، والثانية تكون أقل مرتبة وتوصف بغير الرسمية.

مقدمة:

يتميز المغاربة من بين الدول العربية، باستخدام الفرنسية كثيرا أثناء الحديث، والجزائريون على وجه الخصوص؛هل هذا مقياس حضاري أم واقع فرضه المجتمع الذي تداعى كلّه أو جلّه لاستخدام اللغة الفرنسية يوميا ؟ الحقيقة أن التأمل في هذه الظاهرة يفيدنا بالشخصية المتدهورة التي آلت إلى المجتمع، لأن خلط الفرنسية باللغة الأم، كان يقتصر في الماضي على طبقات معينة ترى في الأوربيين مثالا يقتدى به وكانت اللغة الأم هي المثبط والعائق أمام التنمية والتطور، ولكن للأسف صار أغلب الجزائريين يقحمون الفرنسية في العربية، وإذا لم يكن الأشخاص أصحاب هذه الممارسة، يرون في الفرنسيين تصور الحضارة، فإنهم يرون ذلك من جهة أخرى، للتعالي أمام الأشخاص .

وفي هذا اتهام ضمني للغة العربية، لتتضح لاحقا ملامح الشخصية التافهة للأشخاص الذين يستغنون عن لغتهم الأم بلغة لم تظهر معالمها الحقيقية إلاّ في القرن الثاني عشر ميلادي (ق.12م).

المبحث الأول:

1- اللغة والثقافة:

لا طالما كانت اللغة هي المفتاح الرئيسي لتطوير وانتشار الثقافة الإنسانية، وهي ثقافة أصبحت بالغة التعقيد في الزمن الحاضر، بهذه اللغة تمكن بني البشر من استخدام الرموز وتطوير معاني الحياة، أي أن أصحاب اللغة تمكنوا من إسداء النعم ونقل المعاني عبر الأصوات وترتيبات الأصوات إلى كلمات وجمل، ومن ثمة بات من الممكن تعليم العديد من الحيوانات أن يستجيبوا إلى اللغة . ولكن فقط في صورة إشارات أو أصوات وليس كرموز حقيقية، لكن بني البشر فقط هم الذين يمكنهم الاتصال بعضهم البعض باستخدام لغة نظامية، كل الثقافات الإنسانية تعتمد على اللغة، وكل اللغات البشرية، وحتى لغات تلك الشعوب غير المتعلمة، هي لغات معقدة بدرجة كافية لأن تقوم بنقل الثقافة الإنسانية

باعتبارها كلاّ متكاملا، وكذلك الأمر فكلما كانت اللغة مرنة بدرجة كافية لكي تتمدد في مفرداتها وتراكيبها كلّما صارت ثقافة المجتمع أكثر تعقيدا.

ومع ذلك ليس للغة والثقافة علاقة بتركيب الجينات أو الجنس البشري، فمثلا لو نشأ طفل عربي في عائلة من الولايات المتحدة فسوف يكتسب ويتعلم ويتكلم نمط اللغة الانجليزية للولايات المتحدة، وسوف يتصرف اجتماعيا وثقافيا مثلما يتصرف طفل الولايات المتحدة، هذا الأمر يؤدي بنا إلى القول بأنه يمكن لأي شخص من أي جنس بشري أو نوع بيولوجي أن يتعلم لغة ما إذا ما عاش في كنفها، وبواسطة هذه اللغة يمكن أن يحقق الثقافة الإنسانية لتلك اللغة وأهلها .

ويقر الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معيارا لتصنيف البشرية إلى أمم، هذه العناصر هي الجنس المشترك (أو الأصلي) والدّين والقومية، واللغة والثقافة، وللغة والثقافة بوجه خاص، دور بارز في هذا التصنيف والتحديد، إذ هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني في هذه الأمة أو تلك أوهذا المجتمع أو ذاك .

ولعل أوّل ما نلاحظه في هذا الشأن هو أن بناءنا اللغوي والثقافي، بناء ينقصه التكامل والتجانس أو الانسجام بين وحداته، وبعبارة موجزة، أقول : إن هويتنا اللغوية والثقافية هوية مهزوزة، يشوبها نوع من التفكك والاضطراب ومن ثم يسوغ لنا أن نقرّر أنه ليست لنا هوية لغوية وثقافية موحدة، فاللغة العربية (وأعني بها اللغة المنطوقة) تعاني من بلبلة الألسن، وتعدد اللهجات والرطانات التي تحسب بالعشرات، بل بالمئات، فنحن مثلا متفقون في أن لنا لسانا واحدا يسمى بطريق التجوز "اللغة العربية" ولكننا مع ذلك نختلف اختلافا بارزا في التحقيق المادي لهذا اللسان، ويكفي أن ننظر نظرة متأملة إلى ما يجري في الشارع العربي من لهجات ورطانات وصور للكلام، والملاحظ كذلك أن الاتفاق أو الافتراق يزيد

وينقص بحسب الزمان والمكان والظروف المحيطة بالمجتمع، وهذا يقودنا إلى القول بعدم وجود اتفاق تام، أو ما أشبه في كل أنماط السلوك اللغوي في البيئة الواحدة.

2.1: الثقافة من حيث هي مادة أساسية ووسيط للاتصال:

ليس في دنيا المعرفة كلمة تثير الخلاف والنقاش وتتعرض لتعريفات وتحديدا متواصلة ومتجددة مثل " **الثقافة** " وفيما يلي جملة من مستويات فهم الثقافة نورد أهمها بغية تحديد المستوى الذي ينشده هذا البحث.

1/ يحدد الأستاذ إسماعيل القباني الثقافة بأنها " أسلوب الحياة في الأمة والجماعة كلها، بجميع مظاهره، فهو ينصب على الكيفية التي يمارس الناس بها وجوه النشاطات المختلفة في الهيئة التي يعيشون فيها: ماذا يأكلون؟ ماذا يلبسون؟ كيف يبنون مساكنهم؟ وبم يشتغلون لكسب قوتهم؟ وكيف ينتقلون من مكان إلى مكان؟ وكيف يتزوجون؟ وكيف يدفنوا موتاهم؟ كيف يقضون أوقات فراغهم؟ وما هي أفكارهم ومعتقداتهم ودوافعهم وماهي أرائهم وفنونهم؟

2/ ويشير ريمون ويليامز في كتابه'' ***Culture and Society*** ''إلى الثقافة من خلال تحديدات مثل حركة واسعة وعامة في الفكر والشعور، وتجريد ومطلق وبزوغ يمزج بطريقة شديدة التعقيد بين استجابتين عامتين، الأولى الاعتراف بالانفصال العملي لبعض الفعاليات الفكرية والأخلاقية عن واقع نوع جديد من المجتمع، والثاني تأكيد تلك الفعاليات كميدان للنداء الإنساني يتموضع فوق عمليات المحاكمة الاجتماعية العملية وفي الوقت نفسه يقدم نفسه كبديل موقف جامع.

3/ ومن بين ما يورده معجم **وبشر** المطول للقرن العشرين تحت مادة (ثقافة)'' ***Culture***''و هي كلمة مستعملة في معظم اللغات الأوربية، بما فيها الروسية بصياغات مختلفة ما يلي:

تهذيب وتدريب العقل والعواطف وآداب السلوك والذوق وغيرها.

حصيلة هذا التدريب للعقل والعواطف وآداب السلوك.

مفهومات وعادات ومهارات وفنون وأدوات ومؤسسات...فشعب معين في فترة معطاة، أي الحضارة '' ***civilisation***

وهكذا إذن يمكن التمييز بين معنيين متداخلين للثقافة أوّلهما المعنى الضيق الذي يشمل تهذيب العقل والنفس وتدريبهما، والثاني الأوسع ويعني الحضارة أو المدنية.

2-مصطلح الثقافة والمثقف:

هناك إشكال في تحديد تعريف دقيق للثقافة "***CULTURE***" إذ يقصد بها المعرفة البشرية، والتي بدورها تعمل على ترسيخ أساسيات التفكير المنطقي، وزيادة الوعي الاجتماعي، والسياسي والطبيعي، ولا يوجد تعريف آخر يجعلنا نغوص أكثر لنعرف الفارق بين الثقافة والحضارة والمعرفة. لأنها دوائر متداخلة، فالمعرفة تشكل الثقافة، والإنسان صاحب الثقافة هو الذي يصنع الحضارة؛ إذن فالمعرفة هي الأساس الفلسفي لمجموع المنتجات الواعية، ولأن معطيات المجتمع تؤثر في الإنسان.

مادة هذا الحراك والمنتج الحقيقي له، فإن هذه المعطيات تدخل بطريقة غير مباشرة في تكوين هذا الوعي وتشكيله، حيث لا يستطيع الإنسان عموما، والمثقف بصورة خاصة أن يعيش بمعزل عن هذه المعطيات الخارجية[1].

للإشارة، فان المعطيات الخارجية، كطبيعة المناخ في المناطق الصحراوية تشكل وعيا يفرز بدوره إنتاجا فكريا وسلوكيا يتلاءم وهذه الطبيعة المناخية ويتمثل في أدوات الحضارة بشكلها العام كالمسكن والملبس واللغة، بينما تختلف هذه المنتجات الحضارية لاختلاف

[1] الحوار المتمدن .هشام ادم. مجلة علم النفس وعلم الاجتماع. العدد 2649..2009

الوعي في بيئة تختلف معطياتها الخارجية، ثم تأتي اللغة، رغم أنها إحدى إفرازات هذه المنظومة لتشكل وتصوغ هذه الثقافة بشكلها النهائي، وتضعها في قالبها اللفظي .

بالإضافة إلى ذلك فإن إشكالية اللغة لدى المثقف العربي خاصة عاجزة عن التعبير ولا توازي المد الفكري المادي الذي نعايشه في العصر، فاللغة تستمد قوّتها من شكل الوعي وليس العكس، لذا فإننا نجد ظاهرة محاولات التعريب والتي غالبا ما تكون قاصرة وعاجزة عن التدليل والتوفيق بين ماهية الأشياء والتعبير عنها لفظيا، وهنا يتعلق الأمر بإرتباط الوعي بالمادة التي هي مصدر التغذية البنيوية لها.

لمّا أقدم بعض علماء الانثربولوجيا وعلماء الاجتماع على تعريف مفهوم الثقافة البشرية، قالوا أنها سلوك تعليمي يكتسبه الأفراد كأعضاء في جماعات تعيش في المجتمع الواحد.

ففي السبعينات من القرن التاسع عشر قدّم عدد من علماء الأنثربولوجيا أكثر من تعريف للثقافة، وفي الأخير أجمعوا على أن الثقافة هي ذلك الكلّ المعقد الذي يتضمن المعرفة، والمعتقد والفن، والخلق، والقانون، والعادات الاجتماعية، وأية إمكانيات اجتماعية أخرى؛ بل وطبائع اكتسبها الإنسان كعضو مجتمعه"([1]) وبعدئذ دأب هؤلاء على تقديم العديد من التحسينات والتباينات على هذا التعريف العام لمعنى الثقافة، لكن الأهم هو أنّ الجميع اتفقوا على أنّ الثقافة هي سلوك تعليمي كثيرا ما يتناقض مع السلوك الموهوب فطريا.

وانطلاقا من مبدأ أن كل مجتمع إنساني يتمتع بمنظومة من السلوك الذي تحكمه معايير قد تختلف نسبيا من مجتمع إلى آخر حتى داخل الثقافة الواحدة (مثال ذلك الثقافة العربية ومالها من ثقافات فرعية تحكمها عوامل قسرية مثل العوامل الجغرافية وربما ازدواجية

[1] الحوار المتمدن .هشام ادم. مجلة علم النفس وعلم الاجتماع . العدد 2649..2009.

اللغة كحال الجزائر بين أصول بربرية وأخرى عربية). ضف إلى ذلك المعاييرالأخرى التي تحكمها ممّا يؤدي إلى ألوان أخرى من المعرفة مثل الاستعمار والهجرات والحروب، وازدواجية لغوية بين اللغتين؛ الفرنسية والعربية في بلاد المغرب العربي مثلا.

من هنا يمكن القول بأن الثقافة بهذا المفهوم تختلف عن الثقافة بالمفهوم الذي استخدم لوصف شخص له دراية واسعة بالأدب والفلسفة والسياسة ويجيد لغة عالمية علاوة على لغته الأم، بل وربما يتضمن أيضا توجهات ثقافية أخرى مشتركة مع الحياة المتحضرة من المعرفة بعالم الاتصال.

أما المفهوم التقني للثقافة فيتضمن سمات للسلوك الدنيوي اللازم للحياة اليومية مثل اللياقة الاجتماعية "***ETIQUETTE***"، وطباع وعادات الأكل، وما إلى ذلك من فنون المجتمع المهذّبة؛ وبناء على ما سبق ذكره فإنه يمكن اعتبار الثقافة مجموع كمّي من المعرفة البشرية وسلوكها المكتسب ضمن الإطارالاجتماعي للفرد الواحد.

1.2 :مفهوم الثقافة بين اللغة والاصطلاح:

الثقافة والمثقف كلمتان غائمتا المفهوم، غامضتا الدلالة واسعتا النطاق، يصعب أن يحويها تعريف أو يحدهما مصطلح، وذلك لتعذّر الموقف على معناهما الدقيق، ولقد أثارتا كثيرا من التساؤلات، وتعددت الإجابات حول مفهوميهما، حتى أنه يمكن إحصاء مئات التعاريف لمصطلح الثقافة[1].

فهل يمكن لنا أن نعرف الثقافة بأنها المعرفة أم " العلم"، أهي "الحضارة، أم "المدنية "أم" العقيدة"، أم "التاريخ"، أم العادات والتقاليد والأخلاق، أم "الأفكار والفنون والآداب"؟ طبعا لا، لكن هذه المفردات هي بعض مكوناتها.

[1] معالم على طريق تحديث الفكر العربي، د.معن زيادة، ص: 29.

فكلمة " **ثقافة** " لم ترد إطلاقا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، كما لم ترد في نصوص العرب وأشعارهم لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وقد وضعها المعجم الوسيط " بأنها كلمة محدثة في اللغة العربية، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على أنه لم يكن لها عند العرب والمسلمين ذلك الوزن الذي يعطى لها في أيامنا هذه، ومن هنا فإن العرب والمسلمين حتى قبل قرن من الزمن لم يولونها أي حظ من الاهتمام، بينما في اليوم هي كل شيء في حياة البشرية بل هي مرآتها .

إن أصل كلمة ثقافة هو: ث. ق. ف ولهذا الأصل معنيان رئيسيان في اللغة العربية:

الأول : ثقف:قال الفيروز أبادي:ثقفه:أي صادفه أو أخذه أو ظفر به وأدركه.

وبهذا المعنى جاء قول تعالى:" فأما تثقفتهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم".

والثاني: ثقف يثقف، وثقف يثقف، ثقفا وثقفا وثقافة: صار حاذقا خفيفا فطنا[1].

ومنه: ثقف الكلام: حذقه وفهمه بسرعة، وثقف الرمح: قومه وسواه، وثقف الولد: هذبه وعلمه[2].

ويبيّن ابن منظور في لسان العرب أنّ معنى ثقف: جدّد وسوّى، ويربط بين التثقيف والحذق وسرعة التعليم، ويعرّف المعجم الوسيط الثقافة بأنها " العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق".

أمّا كلمة " ثقافة "في اللغة الانجليزية ***"Culture"*** والتي تترجم إلى العربية على أنها: الثقافة والتهذيب والحراثة وقد يعطونها أحيانا معنى الحضارة، فجدر هذه الكلمة ***"cult"***

[1] القاموس المحيط مادة ثقف 121/3
[2] المعجم الوسيط . المنجد

ويقصد بها: عبادة و دين، ومن مشتقاتها " ***cultivation*** ″ ومعناها: حراثة، تعهد، تهذيب، رعاية، و″***cultural***″ ومعناها ثقافي[1].

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أنّ معناها في الانجليزية لا يخرج عن معناها في العربية غير أنه يضيف مصداقا آخر وهو حراثة الأرض، ورعاية الزرع، والاستتاب والتوليد، لكنه بشكل ما يربط مفهوم الثقافة بالدّين والعبادة، فهما من جذر واحد، فالدين كان المنبع الأوّل إن لم نقل الوحيد للثقافة قديما.

كما كانت تعني الثقافة الدّين والحكمة أو الفلسفة، وكان المثقف هو النبي أو الحكيم أو الفيلسوف أو الأديب، وكان السلاطين والملوك يختارون لأبنائهم مؤدبين يعلمونهم مختلف الآداب والفنون والعلوم، وكل ما يحتاجونه ليصبحوا مؤهلين للحكم.

2.2 :تعريف الثقافة:

فمما تقدم يتبين لنا أن مصطلح "الثقافة" هو مصطلح غربي، ولذلك لا بد أن نتفحص تعاريف الغربيين للثقافة، فلقد قال **ادوارد تايلور** ***Edward Taylor*** في تعريفه للثقافة أنها " ذلك المركب الكلّي الذي يشتمل على المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع [2].

ويعلّق الدكتور **معن زيادة** على هذا التعريف بقوله : على ضوء الدراسات المستجدة أصبح بمقدورنا أن نأخذ على تعريف **تايلور** ″***Taylor***″عموميته وطابعه الوصفي، وإهماله حركية وديناميكية الظاهرة الثقافية، إضافة إلى إهماله العلاقة بين الثقافة والمجتمع البشري الحامل لتلك الثقافة من جهة والبيئة أو المحيط الخاص بتلك الثقافة من جهة أخرى[3]" أمّا

[1] لمورد القريب تاليف منير بعلبكي .

[2] Edward Taylor. Language ; culture and comminication .1972.p102

[3] معالم على طريق تحديث الفكر العربي .د.معن زيادة .ص: 30.

"**كوينسي رايت** "فقد عرف الثقافة على أنها ذلك " النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب، يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده، وينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء وعبر العمليات التربوية"[1].

إلاّ أن هذا التعريف لم يتمكن من التخلّص كلية من الطابع الوصفي الذي أخذ على تعريف **تايلور**، كما أنه لا يتضمن الدور الذي يمكن أن تلعبه الثقافة في توجيه سلوك الإنسان، وبالتالي لا يتضمن دور الثقافة في صنع حاضر الإنسان ومستقبله على حدّ قول الدكتور زيادة [2].

وهناك تعريفات أخرى مثل أنّ " الثقافة هي الجهد المبذول لتقديم مجموعة متماسكة من الإجابات على المآزق المحيرة التي تواجه المجتمعات البشرية في مجرى حياتها، أي هي المواجهة المتكررة مع تلك القضايا الجذرية والأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز، قد شكل بذلك مركبا كليا متكامل المعنى، متماسك الوجود، قابلا للحياة، ومن هذا القبيل تعريف "**غوستاف قون غرونيوم**" في مطلع كتابه عن هوية الإسلام الثقافية الصادر في باريس 1973 حيث يقول عن الثقافة أنها " نظام مغلق من الأسئلة والأجوبة، المتعلقة بالكون وبالسلوك الإنساني[3].

أما عن نظرة العلماء العرب للثقافة، فقد عرف **مالك بن نبي** الثقافة في كتابه (مشكلة الثقافة) فيقول أنّها "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكـه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" [4].

---

[1] نفسه، ص: 31.
[2] نفسه ، ص:31.
[3] معالم على طريق تحديث الفكر العربي .د. معن زيادة .ص: 31.
[4] الثقافة . الغزو الثقافي . فوزي الجودة . دورية المناضل العدد 280ص: 44.

أما الدكتور عبد الكرم عثمان فقال "إن الثقافة في اللغة العربية تعني الحذق والفهم، والتثقيف بمعنى التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطنة، وقد عرفت المعاجم الحديثة للغة العربية هذه الكلمة بأنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق[1].

فإذا ما بسّطنا الموضوع، وتجنبنا محاولة تعريف الثقافة تعريفا جامعا مانعا، واكتفينا بالحديث عن الثقافة كمفهوم حديث أو كمصطلح حديث، فربما أمكننا القول أن"الثقافة هي المخزون الحي في الذاكرة كمركب كلّي ونمو تراكبي مكون من محصلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد والمدركات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية التي تصوغ فكر الإنسان وتمنعه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تصوغ سلوكه العملي في الحياة".

كما لا ينبغي لنا أن نغفل مفهوم الثقافة باعتباره يختلف باختلاف الزمان والمكان، فربما لن نخرج الثقافة من اسر القومية والطائفية والإقليمية والعرقية لتدخل أفق العالمية وتنشر ظلالها الصحية على البشرية في جميع أرجاء المعمورة.

الملاحظ مما سبق أنه ليس هناك إجماع أو توافق للتعريف، بل يمكن القول هناك تعريف شمولي يحاول إعطاء وصف متكامل ونموذجي واسع، وهناك تعريف موضوعي يختصر للسهولة والتقريب، وقد يكون لكل معرف غاية، أو لكون الحالة التي عاشها المعرف نتطلب منه ذلك النوع من التعريف. وقد يكون الأكثر قبولا هو أن الثقافة والمثقف مثلا زمان، فبدون المثقف لا ثقافة تظهر، وبدون الثقافة لا وجود للمثقف وماهي بالتالي إلا تعبير عن مجمل الحوادث والأفكار المدوّنة ودراستها لاستخلاص الملائم والمناسب للحالة السائدة، أو من أجل إعطاء فكرة لحل آني، فهي في النتيجة القصوى إنتاج فكر جديد لحل أزمة حالية أو مستقبلية متوقعة.

[1] الثقافة الإسلامية .د. عبد الكريم عثمان ص:9

3 :ما المقصود بالنخبة المثقفة ؟

على ضوء ما جاء آنفا، إن كلمة المثقف والثقافة حديثة العهد، أي لم تكن متداولة، وهي كلمة غريبة على اللغة العربية، ومعانيها تختلف حسب مضمونها، والمثقف هو ليس المتخصص، وهو ليس الخبير، ويمكن القول بأن هناك مثقف شامل ومتكامل لحد ما، ومثقف متعدد المواهب ، ومثقف منحصر في بعض العلوم، ومنهم من يعرّف المثقف على أساس من المعارف بجميع العلوم .... أوعلى الأقل بشيء من مجمل ما هو متداول ومعروف، لكن هل هناك شخص لديه الإمكانية لفهم واستيعاب جميع العلوم ودرك مفاصلها وله نظرته الخاصة في كل صغيرة وكبيرة؟ وهل يزيد تخويف الساعين للثقافة والإدراك أن يتجنبوا الخوض في غمار العلوم لأنهم لم ينالوا وسام المثقف؟ أم أن الحكم هو دفع الأكثرية للتطلع وزيادة المعلومات لتعم الفائدة ؟ وعليه كان علينا إيجاد الأجوبة الملائمة لمثل تلك التساؤلات، لأنها مهما حاولنا التوصل لأي حقيقة فهي بالتالي حقيقة تخص الشخص نفسه، وقد لا تكون حقيقة الآخرين، فليس المراد إجبار الآخرين لقبول هذه الحقيقة أو تلك، فالقناعة الذاتية أهم من القناعة الجماعية، لكن الأهم من ذلك هو أن لا تكون أسير أفكارهم وأرائهم ومقترحاتهم، فتبقى عبدا مستهلكا لأفكار غيرك.

"...It is desirable to define the intellectuals. They are all those who create, distribute and apply culture .Within this group; three different levels can be set out .there are the creators of culture- authors, artists ،philosophers, etc. Second, there are those who distribute what others create- performers of various arts; teachers, reporters, etc.Third, those who apply culture as part of their jobs-physicians and lawyers"[1].

بمعنى: "فالمثقف هو مظهر الثقافة و مصداقها و المعبر عنها و حاملها و موصلها لسواه، و ذلك عبر الأساتذة، و الفلاسفة، و المفكرين.

[1] Joan kelly hall ، languge and culture ، Britain ، 2002 ، P: 184.

صحيح أنّ المثقف ليس هو الذي يوجد الثقافة، فهي موجودة بدونه، لكن المثقف هو الذي ينقلها من السكون إلى الحركة، ومن الخمول إلى النشاط، ولكن ليس هو من أوجدها، وإذا كانت الثقافة الصحيحة السليمة تحتفظ في داخلها بشروط بقائها فماذا يبقى للمثقف من دور؟

جواب هذا السؤال هو أنّ من أهم شروط الثقافة هو وجود المثقف، فالعاملان مثلا زمان، فلا ظهور للثقافة دون مثقف، فعلى هذا الأخير أن يتمثل ثقافته جيّدا فكرا وسلوكا، وأن يعمل جادا للتبشير بثقافته كما يجب عليه أن يدفع عنها عوامل الإنهزام الداخلي والغزو الخارجي.

ويكون ذلك من خلال التفاعل الحر مع الثقافات الأخرى وعدم الانغلاق على محيطه وبيئته من جهة، وعدم الخلط بين الثابت من الحقائق المتغيرة من التراث والعادات من جهة أخرى.

ويميز البعض بين مثقف ساكن ومثقف منغلق ينتج ثقافة الجمود ومثقف منفتح ينتج ثقافة التجديد، الأول يعيش خارج الزمن؛ فمسيرته إلى التوقف والثاني يواكب الزمن ويعيش فيه فمسيرته إلى النمو، ويميز بين مثقف النخبة الذي يعيش بعيدا عن الناس ويتحدث بخطاب القلة أو النخبة فقط ومثقف الجمهور الذي يعايش الناس ويتحدث بخطابهم خطاب الجمهور والكثرة "[1].

فالمثقف الحقيقي هو ذلك الذي يستشعر المسؤولية الخطيرة والجسيمة، فيمثل دورا جوهريا والذي يفترض فيه التحرك لنشر رسالته الثقافية داخل المجتمع وعلى الصعيد الإنساني العالمي، وتوضيح آفاقها ومنطلقاتها وأهدافها، وترسيخ مفاهيمها الرسالية باللغة

[1] المثقف والمجتمع لعدد من الباحثين ص: 8 و9.

التي يفهمونها والتي تحركهم لأنها تتحدث عن قضاياهم ومشاكلهم التي يعانون منها والظروف التي يعيشون أسرها، والأهداف التي تعيش في أفئدتهم والآمال التي تراودهم.

وفي الختام فإن المثقف من وجهة نظر عامة أبناء العالم الإسلامي هو ذلك الذي يحسن القراءة والكتابة، ذلك الذي يمارس نشاطا ذهنيا، سواء كان طبيبا، كاتبا، مترجما، مهندسا، أم أستاذا، أما من الناحية الواقعية فإن المثقف بوصفه وعيا شقيا للمجتمع، يشكل فئة مستقلة، يقوّم مركزه على النقد، لم ير النور في بلادنا، لذلك لا يتمتع بمكانة خاصة، والأكثر بروزا هم أولئك الذين يعارضون السلطة، ويكون عملهم سياسيا قبل كل شيء، ويشكل هؤلاء النواة الصلبة للمثقفين الملتزمين، وهم بذلك إيديولوجيون ومنظّرون أكثر مما هم مثقفون.

المبحث الثاني:

4 :الحالة اللسانية في الجزائر:

عوامل جمة كانت مسؤولة عن تعقيد الحالة اللسانية في الجزائر، البعض منها تاريخي، البعض الآخر سياسي، وأخرى سوسيو ثقافية، إنه لمن الواضح كنتيجة للأحداث المختلفة التي عاشها البلد، فقد اكتسب المجتمع الجزائري هوية مختلفة والتي تتميز بمتغيرات لسانية يمكن ملاحظتها حين المقارنة بين طريقة كلام الدول المجاورة كالمغرب وتونس والتي عاشت نفس المراحل التاريخية، ولكن لمدة أقصر، فعلا أن تستعمر لمدة تزيد عن 130 سنة (1830-1962) دفع من السلطات الفرنسية أن تعتبر الجزائر كمقاطعة فرنسية والتي لن تستقل أو تنفصل عن " الوطن الأم " فرنسا، إلا أنّ السياسة المتبعة من قبل فرنسا لحكم كلّ من المغرب وتونس كانت أقل حزما من تلك المتبعة لحكم الجزائر.

بحكم السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر كانت هناك مماثلة لجميع القطاعات بما في ذلك التربية على وجه الخصوص زيادة عن قطاعات الإدارة، الحكومة، التجارة، وعلى الرغم من مقاومة مبادئ الاستعمار الفرنسي، إلاّ أن اللغة والثقافة الفرنسيتين كان صداهما

قوي على لغة الكثير من الجزائريين ممّا أدى إلى نوع من الهوية المزدوجة، هذا التأثير ظهر جليا من خلال الظواهراللسانية والتي تحدث عند اتصال لغتين ببعضهما البعض: الازدواجية اللغوية وما ينجرّ عنها من مزج وخلط لغويين، الافتراض الذي اجتاح اللغة الأم فضلا عن ظاهرة الديغلوسيا.

وفي هذا السياق، سوف نحاول أن نلقي الضوء على مكونات الحالة السوسيولوجية بالجزائر بهدف إبراز دينامكية العلاقة بين مختلف أنماط العربية المنتشرة في المجتمع، وكذا الاستعمال الدائم للفرنسية بأشكال مختلفة في الاستعمالات اليومية.

''One of the various types of Berber varieties scattered in a few areas of the country about 20 % of the Algerian population[1]'' Chaker.1989.p2

بمعنى:"" يوجد قسم من مجموع السكان ممن أصلهم ليس بعربي، و الذين ينتمون الى أصول بربرية؛ و تقدر هذه النسبة بـ 20/ من مجموع السكان حسب دراسة شاكر سنة 1989""

1.4 :العلاقة بين العربية الفصحى الحديثة والعربية الجزائرية:

سوف نتعرض في هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة القائمة بين أنماط اللغة العربية المتداولة في الجزائر، وذلك من خلال أولا إبراز العلاقة بين العربية الفصحى والعربية المتداولة بين شرائح المجتمع الجزائري فاللغة العربية وصفت بأن تدرس على أساس العلاقة الديغلوسية **فرغسون** 1959 على الرغم من أنه في حقيقة التعامل اليومي للعربية يعكس تواصل بين اللغات والتي يستجيب أن توصف على أساس أنها " **غلوسيا متعددة**" ***''Multiglossia''*** أي أنّ مختلف أشكال اللغة الواحدة تستعمل باختلاف في مختلف مجالات الاستعمال؛ بمعنى أن اللغة الفصحى تستعمل على وجه الخصوص في مجالات الدين والأدب القديم، أمّا العربية الحديثة فخصّص لها مجال التعليم والإعلام والإدارة، والعربية

[1] F.Bouhadiba ، revue didactique des langues ، Oran ، 1998.

الدارجة لمختلف الاستعمالات العفوية اليومية، زد على ذلك فإن هذه الأشكال اللغوية تكون عادة ممزوجة بحكم نسبة التعليم في الجزائر والتي فاقت 60% من جهة، والاهتمام بالمسائل الدينية بالجزائر والعالم العربي بصفة عامة من جهة أخرى.

للإشارة توجد خمس أشكال للعربية في العالم العربي وهي كالتالي: العربية الكلاسيكية، العربية الفصحى الحديثة، منطوق العربية لدى النخبة المثقفة، نوع من العربية " الراقية " لدى النخبة المثقفة، وأخيرا العربية العامية[1] .

المزج من هذه الأشكال اللغوية أدّى إلى تداخل مع العوامل الأجنبية مما أعطى مصطلح جديد سمّي " بالتخيل " هذه الأشكال مجتمعة تعطي للدارس صورة عن صعوبة وصف البانوراما اللغوية في الجزائر، وهذا ما حاول البعض توضيحه، حين الحديث عن صعوبة إقرار حدود لاستعمالات العربية داخل مجتمع يتميز بتناوله لجرعة كبيرة من الفرنسية منذ ولادته : ليقول **بوحديبة** في هذا المجال :

" la réalité linguistique actuelle telle qu'elle se présente à l'observation est caractérisée par un continuum de l'arabe ou les variétés de cette langue sont parfois difficiles a délimiter arabe classique ، arabe littéraire arabe standard moderne ; arabe parlé cultivé ; variétés dialectales à dosage arabe mais ou le français fortement implanté au niveau lexical ..."1998. [1]

بمعنى: ""تتميز الحقيقة اللسانية الآنية بديمومة اللغة العربية أو أشكال هذه اللغة و التي يصعب تحديد تصنيفها ضمن العربية الكلاسيكية؛ عربية أدبية، عربية فصحى حديثة، عربية المثقفين، أشكال لهجية بجرعة عربية، أم فرنسية مغروسة بإحكام على المستوى المعجمي""

وبالتالي فالدارس لهذه الحالة يجد صعوبة في تطبيق مبدأ الديغلوسيا على الحالة اللغوية في الجزائر ولن تتضح له الصورة جلية إلاّ بإدراج بعض الأمثلة لخطابات تلفزية أو خطابات دينية في المساجد أين يتحول المتكلم من الشكل الراقي إلى المشكل المتدني ***''L'' vs ''H''*** يهدف إيصال الرسالة لأكبر عدد من المستمعين بما فيهم الغير مثقفين. بالمقابل وفيما يخص الشكل المكتوب بالعربية

[1] F.Bouhadiba, revue didactique des langues, Oran, 1998.

فمعظم الكتابات الأدبية الحديثة والجرائد، والمحاضرات الأكاديمية تكتب بالعربية الفصحى.

يقول **بوير** ***Boyer*** 1987 في هذا السياق:

" Ou bien la langue imposée va substituer lentement ; mais surement ; à la langue dominée ; ou bien les usagers de celle-ci vont œuvrer à sa normalisation (c'est-à-dire à une utilisation normée dans tous les domaines de la communication) en combattant les tendances à l'assimilation''(1) Boyer1987.p71.

بمعنى: ""الملاحظ هو أنّ الشكل المسيطر سيعوّض الأشكال غير الفصيحة، أو أنّ هذه الأخيرة ستقاوم المماثلة لتزيح مجالات استعمال أخرى"".

إلاّ أنه وبعد الاستقلال وخاصة بعد التسعينات كان هناك إنحياز للمفردات العربية على حساب المفردات الفرنسية ومنها: ***tablier ; équerre; compas ; gomme; taille-crayon***، ***buvard***، ***cahier...etc.*** , والتي استبدلت بمفردات من العربية في الاستعمال اليومي وخاصة عند التلاميذ : كراس، منشفة، منجرة، ممحاة، مدور، ومئزر، إلاّ أن كلمة " ***cartable*** " لا زالت تستعمل على حساب المفرد باللغة العربية "**المحفظة**".

لكن الملاحظ هو أن المفردات العربية بدأت تغزو وتأخذ مكان المفردات أو العبارات الفرنسية الدخيلة في استعمالاتنا اليومية ومنها على سبيل المثال لا الحصر " **ليلة سعيدة** " عوض " ***bonne nuit*** " **يوميا** " عوض " ***quotidiennement*** " **نحاول** " عوض ***essayer*** " **[nsiji]** وعلى الرغم من كل ذلك لا زلنا نلاحظ العديد من هذه المفردات والعبارات المتداولة خاصة عند شبابنا وكهولنا بحكم احتكاكهم بمن هم أكبر سنّا والتي يبدو أنها ستبقى لفترة .

[1] F.Bouhadiba, revue didactique des langues, Oran, 1998.

2.4: المنطوق اللهجي الجزائري واللغة الفرنسية:

العلاقة القائمة بين اللغة العربية ونظيرتها الفرنسية ترجع أساسا إلى طول حقبة الاستعمار، وما ينجرّ عن هذه الأخيرة من تساقط في استعمالاتنا اليومية فالمتكلم في الجزائر تراه محافظ على لغته الأم كرمز للهوية العربية أو الشخصية السوسيوثقافية للجزائري، إمّا باستعمال للعربية أو الأمازيغية حسب انتمائه العرقي من جهة، وانفتاحه على العالم المتقدم بالتكنولوجيا ومختلف العلوم ومن ثمة اللغة الفرنسية كمعيار لذلك من جهة أخرى. فلا تكاد تسمع متكلم جزائري يصيغ جملة عربية خالية من المفردات الفرنسية يقول **بوحديبة** في هذا السياق :

''A great number of French borrowings, both adapted and non-adapted, can frequently attested in everyday speech, particularly in urban areas where French got hold more firmly than in rural ones. As a matter of fact, the Algerian society has so deeply influenced by French that we virtually cannot hear a conversation without at least a few French lexical items or expressions''[1]

بمعنى: ""نلمح عددا لابأس به من الأقتراضات الفرنسية في استعمالاتنا اليومية، و خاصة في المناطق الحضرية أين نجد لهذا الاقتراض وجودا أكثر مما هو عليه في المناطق البدوية. فالمجتمع الجزائري تأثر تأثرا شديدا بالفرنسية الى درجة أنك لا تسمع حديثا من دون ادخال كلمات فرنسية"".

إنه لمن الطبيعي أن تسمع جمل خليطة بالفرنسية: " **مشا للمارشي بشري ديمو وفيران**" عبارة مثل هذه محشية بالمفردات الفرنسية أو العربية تبعا لمرجع القياسي إما العربية أو الفرنسية فضلا عن ذلك، كما سبقت الإشارة فقد كان للحقبة الاستعمارية الأثر البارز عن مختلف الاستعمالات أو التداولات اليومية حتى تجد أن هناك عبارات جاهزة للاستعمال

[1] F.Bouhadiba, revue didactique des langues, Oran, 1998.

مثل : ***C'est ok; c'est fait ; c' est fini ! ،ça y est*** أسئلة من هذا القبيل وجدت لها أجوبة مماثلة خليطة بالفرنسية ***''ça va hamdoullah''***

فالتوزيع اللّهجي والانتماء الاجتماعي يعرفان المشاكل اللغوية للجزائريين وكيف تتفاقم في سياق المجتمع الجزائري.

5 :الاستعمال اللغوي والرصيد الكلامي:

التنوع اللغوي في الجزائر ليس نتيجة الخصائص الجغرافية والاجتماعية فحسب، وإنما هو مسالة تاريخ وعرف، ذلك أن الأراضي التي تشكّل اليوم ما يسمى بالجزائر كانت سابقا مسيّرة من قبل العرب خلال القرن السابع ميلادي، فإندماجهم مع البربر، والذين هم القبائل الأصليون لشمال إفريقيا، كان تارة أمرا سهلا وتارة أخرى مشكلة عويصة لأنه كان عليهم أن يواجهوا هؤلاء السكان في حروب أهلية دامية، ما إنجر عنه كره واشمئزاز للقبائل البربرية والتي مازلت مظاهرها جلية بمواقفها تجاه اللغة الأمازيغية والذهاب إلى حدّ المطالبة بها كلغة رسمية.

فالحالة السوسيولسانية بالجزائر أقامت مسائل مهمة بالنسبة لإستعمال العربية، الأمازيغية والفرنسية فكلما أثير مشكل اللغة في الجزائر إلاّ وأعتبر كموضوع " **حرام**" ***''Taboo''*** فلم تتضح الصورة للجزائري كما غيره إلاّ بعد التكاثر الاجتماعي والتغيرات السياسية، وإذا سألنا مواطن عادي حول عدد اللغات المستعملة في الجزائر " فعادة ما يراد بأن هنالك : العربية، الفرنسية، والامازيغية ويضيف " لكن لغة الوطن هي العربية الفصحى"، وهذا ما لخصه **بوحديبة** سنة 2002 حيث قال:

''...any talk on language variation becomes taboo as soon as this issue is raised. The linguist's say on this matter was virtually nil until recently where social upheavals and political changes led to a more objective view on the language issue in

Algeria.Thus ،when the ordinary man in the street is asked the question how many languages there are in Algeria ، he often says that there is ''Arabic ، French ، and Berber''. He usually adds; but the language of the country is ''Classical Arabic'' (1)

بمعنى: ""لقد عرفت الجزائر تغييرات سياسية أدت الى ولادة نظرة موضوعية حول اللغة؛ أين أصبح المواطن العام من الشعب يقرّ بأن هناك ثلاثة لغات في الجزائر حين يسأل عن عدد اللغات: و هي العربية، الفرنسية، الأمازيغية، ثم يضيف لكن لغة الوطن هي العربية الفصحى"".

فكل الدساتير الوطنية (1963، 1976، 1989)اشترطت أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للوطن .

لكن استعمال اللغة الفرنسية داخل المجتمع الجزائري جدير بالاهتمام . فوجود هذه اللغة يرجع إلى بداية الربع الثاني من القرن 19 لمّا استعمرت الجزائر من قبل فرنسا سنة 1830، ومحاولة الاستعمار الغاشم لطمس معالم الشخصية الجزائرية واستلامها؛ فاستعمال الفرنسية في الجزائر أثار جدلا كبيرا داخل المجتمع، وعلى الرغم من أنّ الفرنسية اعتبرت دائما كلغة أجنبية في الدستور الجزائري، إلاّ أن الفرنسية عكس الأمازيغية تبقى دائما منافسة للعربية وعلى مستويات عديدة، كما تتميز بامتيازات عديدة داخل العديد من القطاعات.

''It is estimated that some 67% of the total population have some knowledge of French'' (2)

بمعنى: "" تقدر نسبة من لهم دراية باللغة الفرنسية في الجزائر بـ67/ كما أقرت بن غيدة""

إنّ العربية والأمازيغية والفرنسية موجودين بأكثر تعقيد داخل المجتمع على الرغم من القرار الذي اتخذ عند الاستقلال سنة 1962 بإقامة اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية؛ الشكل اللساني، وباستمرار هو موضع المواجه الإيديولوجي التي تعكس ما في البلد.

[1] F.Bouhadiba ، revue didactique des langues ، Oran ، 2002.

[2] Benguida ، situation linguistique en Algérie ، P : 19.

لفهم هذا النوع من الحالات كان من الضروري اتخاذ بعد تاريخي يرسم الإطار الذي سجل سياسة الإعداد اللساني للجزائر من 1962. ضف إلى ذلك في محاولة أخرى إثبات أن المشكل اللساني الجلي حول التعريب هو مسألة رمزية وخاصة، و متعلقة بالجهوية، هذا الخلط يغذي أفكار لسانية متصارعة لكن متكاملة.

1.5 :من الامازيغية إلى الفرنسية مرورا بالعربية:

ثلاثة حقب كبرى تثبت التاريخ اللساني للجزائر، الأولى تشهد الوجود البربري على كامل الإقليم المشغول من قبل الجزائر، الحقبة الثانية المفتوحة على يد الفاتحين أو الغزاة العرب دشّن وجود العربية في شمال إفريقيا، أما الحقبة الثالثة ممثلة في الغزو الفرنسي، فشهدت إدخال الفرنسية للجزائر وتشويش مرة أخرى نظام اللغات.

1.1.5 :الامازيغية:

قبل مجيء العرب إلى شمال إفريقيا في القرن السابع عشر كان البربر مسيطرين لوحدهم على المنطقة من الأطلنطي إلى مصر.

''Avant l'arrivée des Arabes en Afrique du Nord (7eme siècle), le Berber occupait un domaine d'un seul tenant, de l'Atlantique à l'Egypte''Galand 1988.

الغزوات العربية والدّعاية للغة العربية أنتجت تغييرات جذرية للوضع اللساني في هذه المنطقة من العالم، ولبعض من القرون استبدلت العربية بالأمازيغية في حين أنه وعلى الرّغم من القدرة المدهشة للنشر، فإن العربية لم تنجح كليا لأخذ مكانة الأمازيغية.

أمّا اليوم فـ 25% من السّكان الجزائريين يتعلمون الأمازيغية بحوالي سبعة مليون نسمة موزعين على كامل القطر الجزائري في الجهات الشرقية من القبائل وفي غرب الجزائر العاصمة الشناوة، الدّهرة وفي الأوراس، بني مزاب وفي الجنوب الغربي، وفي مناطق أخرى

من غرب الجزائر؛ عين الصفراء. هذا التوزيع غير العادل للهجات الأمازيغية بإمكانه أن يؤثر على التواصل بين متكلمي هذه اللهجات المترامية عبر الجزائر الشاسعة الحدود.

2.1.5: العربية:

بدأ تاريخ العربية في الجزائر في الوقت الذي تأسست القبائل العربية في شمال إفريقيا، فاللغة العربية موثوقة بتاريخ الغزاة بامتزاج الشعوب التي تلت وتنوع اللهجات العربية التي تشهدها في الوقت الحاضر. هذا كلّه يشرح طريقة نشر اللغة في المكان والزمان فترة الغزاة العرب إذ، كانت حاسمة بما أنها أفضت تدريجيا إلى التعريب للبلد وذلك بتحصيل الامازيغية بالعربية، من القرن السابع إلى يومنا هذا انتشار العربية سيتواصل أما إذا عرف هذا الانتشار وقفة إبان الاستعمار الفرنسي، فإن استقلال البلد أعطاها انطلاقة جديدة.

3.1.5: الفرنسية:

إنّ إدخال الفرنسية ولاحقا منصبها كلغة السلطة خلال الاستعمار الفرنسي (1830-1962) قلّص من وجود العربية في مجالات عديدة، بالمقابل نمّا حاجات جديدة موثوقة بتقنيات جديدة خلال هذه الحقبة حيث انتشرت الفرنسية إلى كل مجالات الحياة العامة لتكون اللغة الرسمية حتى الاستقلال، إلاّ أنه وعلى الرّغم من هذا المذهب لن تعوض العربية في كل مجالات الحياة، هذا الأخير كان من نصيب الأمازيغية فترة مائة وثلاثين سنة 130 من الاتصال بين اللغتين ترك بصمات : جزء من السكان مزدوج اللغة ويستعمل الفرنسية بصفة منتظمة وكانت جلية بالأساس في المدن، بالمقابل فالبقية حدا باستعمال نوع جديد من اللغة ممزوج بأشكال جديدة بين العربية والفرنسية.

6 :الحالة اللسانية الآنية:

في الوقت الراهن حوالي 80% من مجموع الجزائريين يستعملون العربية الدارجة كوسيلة للتواصل اليومي، ومعظمهم إما أمازيغي أو أمازيغي عربي، أمّا فيما يخص الفرنسية فعدد مستعمليها لا يصل عتبة 40% من مجموع السكان (1986) ***Santucci***.

''Quant au Français, le nombre de ses usagers est estimé à environs 40% de la population''

فقدرات هؤلاء متغيرة جدّا كلّما تغيّر عدد قدرات مستعملي العربية الفصحى، في هذه الحالة، تعدّ درجة التمدرس والنشاط السوسيوثقافي والمهني عوامل فاعلة ومؤثرة في تعلم، واستعمال اللغة العربية الفصحى والفرنسية بإعتبارهما اللغتين الوحيدتين اللتين تكتبان. الحقيقة هي أنّ غياب الكتابة لدى الأمازيغية والعربية الدّارجة يعكس غيابهما عن الرسمية والاعتراف من قبل الجهات المعنية داخل المجتمع الجزائري .

ضف إلى ذلك والمثال الآتي يظهر ذلك أن مشكل العلاقة بين اللغة الأكثر تداولا العربية واللغة الأقل تداولا (الأمازيغية) يضاعف العلاقة بين اللغة بصفتها المكتوبة (العربية الفصحى، الفرنسية) والصفة المنطوقة (العربية الدارجة، والأمازيغية) من جهة، وبين اللغتين بصفتهما المكتوبتين اللتين هما العربية الفصحى والفرنسية من جهة أخرى.

في هذا السياق يجب اتخاذ قرار وضع العربية، أو العربية الفصحى – كلغة وطنية ورسمية بالنسبة للحكومات الجزائرية، يتعلق الأمر باستبدال الفرنسية بالعربية وبالعودة إلى التاريخ يجب محو السيرورة الطويلة والبطيئة للمثقفين المفروضة من قبل الاستعمار الفرنسي، وإذا نسينا وضع المجتمع الجزائري واللغة أثناء الاستعمار، لا نستطيع فهم هذه العملية التي أصبحت تعرف بالتغريب، علما أنه في الحقيقة 70% إلى 80% من مجموع السكان الجزائريين كانوا معرّبين أثناء هذا القرار.

باتخاذ هذا القرار المدعوم من البعض والمرفوض من البعض الآخر، عوامل سوسيو ثقافية كتبت جهل الإستراتجية اللسانية المتخذة من قبل الدولة.

1.6: التعريب:

نستطيع إجمالا أن نميّز بين أربع فترات في السياسة اللسانية المتبعة من قبل الحكام الجزائريين، مرحلة **بن بلّة** (1962-1965)، مرحلة **بومدين** (1965-1979)، مرحلة **الشاذلي** (1979-1988)، وأخيرا المرحلة الممتدة من 1988 إلى يومنا هذا، على الرغم من أنّ البعض يتحدث عن مرحلة حساسة خصت مرحلة مجيء **بوتفليقة** سنة 1999م والتي تمتاز بالانفتاح عن اللغات الأجنبية وخاصة منها الانجليزية والحفاظ على اللغة العربية كلغة وطنية .

مهما تكن الفترة المأخوذة بعين الاعتبار، يجب فهم أوّلا أنّ مبدأ التعريب قد أكسب من فترة إلى أخرى، أنها حركة التسارع أو فرملة سياسية التعريب، ثانيا أنّ هذه السياسة تصب في سياق سوسيوثقافي شاسع حيث أنّ هذه الأخيرة تجاه التعريب يعد نواة التي تحكم الحالة الآنية للغة العربية، ثالثا إن مبدأ التعريب قد اصطدم بحقائق (اقتصادية، مهنية، مادية، وبيداغوجية)، رابعا أنّ مصطلح التعريب لا يعزل عن مكوناتها اللسانية الوحيدة ولكن يجب إقحام المكونات الرمزية (الهوية الوطنية والثقافية)، لكن هذه الحقائق كانت تصب نحو هدف جوهري يخدم الإدارة التي ستسيّر الشباب الجزائري بعد الاستقلال ومن ثمة تأمين الدخول المدرسي لخريف 1962.

المرحلة الثانية الممتدة من (1965-1979)، هي تلك الفترة المعروفة بإقامة نظام التعريب؛ أي إنشاء نظام للمقاييس المأخوذة بعين الاعتبار لمسايرة التعريب والإدارة من جهة، وإقامة نظام إيديولوجي حول قضية التعريب من جهة أخرى. أثناء هذه المرحلة؛ إعتبر التعريب مركز الثورة الثقافية وذلك بالنظر إلى المواجهات التي شهدتها الساحة السياسية بين مؤيد ومعارض بين تعريب سريع وشاسع للإدارة والمنظومة التربوية من جهة، وبين وزير

الثقافة مصطفى الأشرف (1977-1979) الذي دعا إلى التريّث وتعريب بعيدا عن النوعية الوضعية التي آل إليها التعليم.

خلال السنة التي تلت موت الرئيس الهواري بومدين (ديسمبر 1978) كانت هناك مواجهات سياسية داخل الحكومة حول السياسة اللسانية، المواقف المدافع عنها من قبل مصطفى الاشرف (للتّأمل في سياسة التعريب) قوبلت بالمعارضة ولكن سياسة التعريب بعثت من جديد من قبل الحكومة الموالية.

الفترة الممتدة بين 1980-1988 عرفت سياسة جديدة، إمتازت بالاعتراف بالامازيغية شيئا فشيئا، والفرنسية بدرجة أقل.

التزمت الجزائر منذ الاستقلال سياسة التعريب في النظام الإداري والمنظومة التربوية للبلد، صرّح بالعربية كلغة وطنية سنة 1962، وكلغة رسمية سنة 1963، هذا الوضع أعطا للعربية الإمتياز الذي خصّت به الفرنسية في الحياة العامة في السنوات السابقة، وبإنتشار العربية في التعليم والإعلام أصبح التغيير جليا في الحياة اليومية.

يجب القول في هذا السياق أن العربية الفصحى أثناء الاستعمار لم يكن لها الإمكان في الممارسات اليومية، اختيار التعريب والمعايير التي رافقت ذلك لم تساهم إلا في نشرها. في حقيقة الأمر، خلال هذه الفترة لم يكن للعربية أي نصيب في مقرّر المدارس الابتدائية ولم تشترك في التعليم الثانوي إلاّ في سنة 1938 بعنوان لغة أجنبية وذلك بعد مرور حوالي قرن عن الوجود الفرنسي في الجزائر، وذلك لأنه ومنذ بداية الاستعمار الفرنسي، فإن فرض اللغة الفرنسية يعدّ أداة للسلطة.

'Je (Anne Jean marie Rêne Savary, duc de Rovigo (1774-1833) ,commandant en chef en Algérie de (1831 à 1833) regarde la propagation de l'instruction et de notre

langue comme le moyen le plus efficace de faire des progrès à notre domination dans ce pays'' Turin 1970 :p40

بمعنى: ""آن جون ماري رين سفاري (دوق روفيقو: 1774-1833) عقيد بالجزائر مابين 1831-1833."" **أرى أنه يجب نشر لغتنا كوسيلة أنجع لضمان تواجدنا في هذا البلد**""

قطعا، سيرورة التعريب سوف لن تكون خالية من بعض المشاكل التقنية (نقص الأساتذة والمؤلفات ...الخ) لكن هذه المشاكل كانت في درسنا وتوصل المسؤولين إلى حلول بالنوعية الموجودة والحاسمة للتعليم، وعلى الرغم من ذلك، وبحجة إزدياد أماكن التعبير، أين وجدت العربية شيئا فشيئا مكانتهاّ.

Il existe une littérature et une presse arabophone, elle ont leurs lecteurs, et le marché des journaux arabes est en expansion alors que celui de la presse francophone se réduit au fil des année''.(Le Monde 9 Octobre 1998).

بمعنى: ""يوجد أدب و صحافة و لهما قرّاءهم، و سوق الجرائد العربية في انتشار بيد أن الصحافة الفرنسية تتقلص عبر مرور السنين""

في هذا الخضمّ يجب استيعاب نتائج التعريب وتقدير الإتيان بعديد النصوص التي تلت. تجدر الإشارة إلى أنه ليس المقام الذي نقوم فيه بموازنة؛ إضافة إلا أن هناك عوامل عديدة تنقص تقدير وصيف، إلى أنه يظهر أن عبارة مثل " الأمتين المزدوجتي اللغة " لا يدفع بالمناقشة إلى الأمام على الإطلاق .

''Il semble néanmoins qu'une expression facile, mais imbécile, comme celle d'analphabète bilingue'', que l'on retrouve sous la plume de chercheurs pour désigner les élevés issus du système scolaire algérien, qui ne sauvait lire et écrire ni l'arabe standard ni le français, ne fait guère progresser le débat''. Algérie: de L'Arabe à l'Arabisation .Aziza Boucherit.

من جهة لأن هؤلاء التلاميذ يكتبون ويتكلمون اللغة على الرغم من أنه ليست بالدرجة المبتغاة.

.''...qu'en peu moins de 40 ans, le taux d'alphabétisation des adultes est passé de 15 % (1954) à 58.8% (1993) ; à titre de comparaison, pour 1993, Il est de 64.1% en Tunisie et de 41.7% au Maroc'' (GERM 1997 :p457).

بمعنى: "" في أقل من أربعين سنة، مجموع المتمدرسين الشباب قفز من 15/ سنة 1954 الى 58.8/ سنة 1993. من جهة أخرى و على سبيل المقارنة لاأكثر؛ بالنسبة لسنة 1993؛ 64.1/ في تونس، و 41.7/ في المغرب.""

''En 1954 ، 300.000 élèves ''musulmans'' (sur 2.400.000 élèves en âge d'être scolarises fréquentaient l'enseignement public'', alors, le taux d'alphabétisation des adultes est passé de 15 pour cent à 58.8 pour cent (1993) ، à titre de comparaison, pour 1993, il est de 64.1 pour cent en Tunisie et de 41.7 pour cent au Maroc'' GERM .1997.

فعلا تطوّر استعمال اللغة العربية الفصحى ولكن هذه الحقيقة لم تضر وضع الفرنسية كما تمناه دعاة اللغة العربية حيث أن الفرنسية ليست موجودة في الجزائر فحسب، وإنما استعمالاتها تبقى أكثر من ضرورية، هذا التناقض بين الحقيقة والأمنية تبقى الهوية الوطنية معاقة بين مؤيدي التعريب ومعارضيه.

1.1.6: التعريب واللغة الأم في السياق الوطني في المغرب العربي:

التعريب من وجهة نظر لسانية يتألف منن تغيير لغة أجنبية، الفرنسية التي أخذت محل اللغة الرسمية، بلغة يمكن اعتبارها وطنية : العربية الفصحى. لإستخلاف تلك اللغة كان لزاما على العربية أن تفي بالاستعمالات والتداولات اليومية، هذه اللغة العربية يجب أن تجدّد؛ بمعنى آخر يجب إعادة تكييفها حسب صورة اللغة التي حلّت مكانها، ممّا يستدعي تبديلات عميقة سيميائية وعملية؛ هذه التبديلات من وجهة نظر سوسيولغوية، تضع مصالح الزمرة الاجتماعية على المحك الذين كانت لديهم معرفة جيدة للفرنسية سوف يفتقدونها لصالح أولئك الذين يمارسون العربية جيدا، هذه التبديلات تنجر عنها توتر بين المنحازين للفرنسية، شعار الحداثة والعصرنة، و أولئك المدافعون عن العربية، منبع للأصالة .

أما من وجهة نظر أنثربولوجية فالتعريب يخص القانون الثقافي هو الذي بدوره يحدّد الهوية، عبر اختيار اللغة كان الإشكال المطروح هو الموقف اتجاه الأصل، أي لغة أي أصل؟ ذلك الخاص بالإسلام وعربية القرآن أو ذلك الخاص بالتراب الوطني واللغات الأم، على الرغم من تشعبها؟ أو أخيرا ذلك الداعي للتغيير والحداثة، والتي سبق وإن تسللت إلى المغرب العربي بفعل الفرنسية.

المجتمعات شأنهم شأن الأفراد لا يمكنهم التقدم والتطور إلاّ بالاعتماد والرجوع إلى تاريخهم، والاعتراف بحاضرهم كتركيبة تاريخية ضاربة جذورها في الماضي، لكن دينامكية الدولة الحديثة تتجاوز هذا النوع من التعدد.

2.1.6: معنى التعريب:

تتألف سياسة التعريب من منحدرين، لغة وطنية يجب أن تفي بتغيير مزدوج، عليها أن تغير الفرنسية، لتحل محل لغة الاستلاب الثقافي وإنعاش الشخصية الوطنية، يجب أيضا

أن تحلّ محل اللهجات لتغيير التعدد اللهجي واستبداله بلغة موحدة، ومن ثمة تأمين المواطنين حول الوطن.

من هذين المنظورين، الأولى فقط كانت جلية، لكن ردود الأفعال تجاه سياسة التعريب، يظهرون أن وجود الثانية كان مدركا.

إن تحضير لغة وطنية كان وليد العربية الكلاسيكية، الإرث الوحيد المطالب به هو أن عربية القرآن يجب أن تسمح للدولة بإيصال منبع تثبيت النسب الأصلي الذي هو الإسلام، بهذه السياسة، كان لزاما على الدولة تغيير مبدأ الشرعية الإسلامية وتحويله إلى شرعية وطنية.

لكن الرأي كان مقيدا بصنيع التحديث الذي كان مرتاد الايجابيات بالمقابل ولأسباب عملية، الدولة المستقلة لم تستطع ولم تريد قطع صنع التحديث للوطن،الصنع كان متناقضا مع طبيعة الدولة.

ولهذا اعتبرت سياسة التعريب مصالحةغامضة الأهداف المتناقضة،إصلاح الشخصية الإسلامية وتأمين التغيير الذي يشمل الوطن، بمعنى أن تنفتّح حول ثقافات وقيم أخرى مختلفة، لكن المرجع بالنسبة للهدف الأول مؤمن باللغة العربية وصلته الوثيقة بالإسلام، فإن الثاني تجسد في الوظيفة المعطاة للاستعمالات الخاصة لهذه اللغة؛ عوض أن تكون اللغة للصلاة والممارسات الشعائرية، قد أصبحت اللغة الكلاسيكية تستعمل في التداول اليومي، الإدارة والتعليم، هذه المحتويات كانت موجهة لأن تعدل وتقسم بطريقة مماثلة بمحتويات اللغة الفرنسية، ولهذا السبب وتحت هيئة العودة إلى الإسلام والتقاليد، أصبحت لغة التعريب تحت رعاية الدولة، وكيلا للعصرنة، هكذا كان المعنى العميق لسياسة التعريب المنطق الباطني للتعريب، بحيث أن تفضي إلى تقارب القوانين السابقة من مبادئ الدولة كالإسلام هو دين الوطن، الغرب للعصرنة، أرض الإسلام السابقة.

3.1.6: سياسات التعريب:

لقد دخلت سياسات التعريب في الدول الثلاثة للمغرب العربي حيز التطبيق من أجل تشكيل كل ما هو بالفرنسية وتعويضه بالعربية: تعليم، إدارة، حياة عامة ومحيط. أما الحكومات المتتالية وحتى الثمانينات من القرن الماضي طبقوا سياسة الموازنة بين طرفي القطبين.

الأول: الذي يقول أن العربية هي لغة الإسلام، الصدق، واللغة الأم، الموقف المدعّم من قبل الإصلاحيين المسلمين.

الثاني: الذي أشاد بالفعالية قبل كل شيء بالنفي أي لغة تحاول تعطيل عجلة التقدم والتطور، موقف موات لازدواجية عربية، فرنسية لكنها توحي بحذر عميق اتجاه اللغة العربية وتقاليد هؤلاء المناصرين.

التذبذبات الدائمة بين هذين القطبين حدّدت في كل دولة حلقة تعريب جلية خاصة في سياسة التعليم، عندما أصبحت نسبة القطاع المعرّب أبرزت "أزمة" المسؤولين أنذروا بانخفاض المستوى (الحقيقي أو المفترض) الكارثي لنوعية التعليم، إنه الحال في المغرب سنة 1966، تونس 1969 و الجزائر عام 1977.

''L'arabisation n'est pas l'islamisation''. Elle est prononcée en 1962 par le président Ahmed Benbella pour préciser que la politique d'arabisation n'a pas pour but l'islamisation du pays....La même expression fut utilisée au début des années 1980 par un ministre algérien des affaires religieuses, pour dire que l'arabisation, pour satisfaire les milieux religieux, devait prendre en charge l'islamisation : une déclaration à l'attention des islamisant''.[1]

[1] K. Taleb Ibrahimi « Les Algériens et leurs langues », El Hikma, 1995, P : 87.

بمعنى: "" العبارة التي تعكس الوضع اللساني في الجزائر هي تلك الحكمة التي صرح بها الرئيس احمد بن بلة سنة 1962 ""التعريب لا يعني الاسلام""، وهذا للتوضيح أن سياسة التعريب ليست بدافع اسلامية الشعب، العبارة نفسها استعملت مع مطلع الثمانينيات من قبل وزير الشؤون الدينية للقول أن التعريب لأرضاء الأوساط الدينية عليه أن يأخذ بعين الاعتبار إسلامية الشعب"".

اللغة العربية الجزائرية هي اللغة الرسمية الرئيسية في الجزائر مستعملة من قبل 70 % حتى 90 % من مجموع السكان كلغة الأم، تلقب من قبل مستعملها « بالدارجة ».

تأثرت العربية الجزائرية بكثير من لغات من استعمروا الجزائر عبر التاريخ "كالأمازيغ"،الأتراك، العرب، الأندلس والفرنسيين، علما أن أهل الاختصاص يقرّون أن الأصول الأساسية لهذه اللغة هي: عربية؛ يمكن لبعض الفوارق أن تظهر بين بعض الأقاليم، نستطيع أن نذكر منها "الدزيري" العاصمي والذي تأثر بالأتراك والقبائل، العربية الوهرانية " ممثلة بكلمات من أصول زناتة، عربية تلمسانية "تلمساني" و"الندرومي" مشتق من العرب الأندلس و"المستغانمي" المتميز بالوجود الكثير للكلمات العربية اليهودية، هذه اللغات متواجدة داخل الوسط اللغوي بالجزائر دون أن تشكل أي عائق للاتصال بين أفراد هذه الأقاليم، بالمقابل تشكل هوية لمعرفة أصل المتكلم، ولهذا نجد الناطقين بالعربية من دول عربية يشتكون من فهم كلام الجزائريين بفعل الحركات المتأصلة التي عرفها السكان منذ الاستقلال. يوجد شكل لغوي عام متأثرا بالموسيقى الشعبية، والمسلسلات التليفزيونية ويقدر بـ 35 مليون نسمة في الجزائر و2 مليون بالخارج خاصة في فرنسا، بلجيكا، ألمانيا، المملكة المتحدة وكندا.

لكن اللغة العربية في هذا السياق حاضرة غائبة بالنظر لبعض الاستعمالات خاصة عبر الانترنت أو الرسائل القصيرة عبر الهاتف النقال، وذلك لأنها تحتوي بعض الأصوات غير الموجودة في الأبجدية اللاتينية ولذلك ترى البعض يستبدلها بالأرقام التالية:

2 والتي تنطق "ء"

3 والتي تنطق " ع"

5 والتي تنطق ''خ''

6 والتي تنطق ''ط''

7 والتي تنطق ''ح''

9 والتي تنطق ''ق''

2.6 :ما هي اللغة التي يتكلمها الجزائريون؟

المجلس الأعلى للغة العربية حاول الإجابة على هذا السؤال بمناسبة اليوم الدراسي الموسوم بـ "اللغة العربية واللغة الهجينة" : أسباب وحلول "أمر واحد أكيد هو أن" الجزائري لا يتكلم العربية الكلاسيكية وإنما نوع من "الكريول" مؤلف بالأساس من العربية،الامازيغية والفرنسية،"فسيرورة الإعداد لهذه اللغة يتم على حساب العربية بالنسبة للمشاركة في هذا اللقاء؛ فتقدّم هذه السيرورة ليست إثراء للغة وإنما هي تلويث للغة العربية وهذا ما جاء به محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية".

من جهته صرح البروفيسور صالح بلعيد قائلا: " الجزائري يتكلم لغة غير مفهومة!

1.2.6 :الجزائر: لغة وطن ودولة:

إنّ بروز مشكل اللغة وظهور وتطور الأمة والحكومة صنع من الجزائر حقلا خصبا للدراسة خاصة أن هذا المخرج لازال بعيدا عن الحزم، عانت الجزائر هجمات حادة وطويلة

في لغتها وثقافتها بالمقارنة بأي دولة عربية أخرى أكثر من قرن وثلاثين سنة من الاستعمار الثقافي والسياسات التربوية حدّدت من القوى الخارجية تركت بطبيعة الحال آثارا عميقة في المجتمع الجزائري، على الرغم من أن الجزائر مستقلة لكن اللغة تبقى نقطة صراع وعلاقتها بالحكومة والأمة ما زال يتنازع عليها على طاولة المناقشات السياسية.

''...the more widespread use of Arabic in nationalist and Islamicist movements as a source of authenticity and identity.'' [1]

بمعنى: ""فضلا عن التاريخ المميز للجزائر يجب زيادة انتشار الاستعمال الواسع للعربية في الحركات الوطنية و الاسلامية كمنبع للهوية""

هذا الاستعمال للغة هو نفسه لمعظم الحركات عبر العالم، لكن له مدلول خاص بالنسبة لحال اللغة العربية على اعتبار أنها لغة القرآن ؛ كما يقول **مينوق:**

''....It is the desire of nationalist theory to discover a past which will support the aspirations of the present. In the other words this is the stage of legend-making.'' [2]

بمعنى: ""انها رغبة النظرية القومية لأكتشاف الماضي و الذي يدعم الهام الحاضر. بعبارة أخرى؛ إنها مرحلة صناعة الأسطورة"".

2.2.6: وقع الاستعمار الفرنسي:

لم يؤثر مجيء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر في لغة وثقافة البلاد فحسب، وإنما عرف حدود الدولة أنه لمن المتعارف عليه أن الاستعمار الفرنسي كان مرتكزا حول المماثلة؛ بالمقابل كان المتغير البريطاني مرتكزا حول الترابط، الاستيعاب بمفهوم توبة (هداية) كتلة المجتمع للغة والقيم الثقافية الفرنسية، أما الترابط فيقصد به التدريب والتعود على تلك الثقافة

[1] Mike Holt. Algeria : Language, nation and state, British library, 1994, P : 34.
[2] Minogue, language and identity, 1967, PP : 25-26.

من قبل المثقف، بيد أن الأغلبية تبقى تابعة للأنماط التقليدية للحياة على الرغم من هذا التفريق الملاحظ خاصة في غرب إفريقيا إلا أنه هناك شكا في استعمال مفرد المماثلة من قبل السلطات الفرنسية بالجزائر في 1850 الأمير **نابليون جيروم**، والذي لم يزر الجزائر سابقا أقر بتوسيع " الاستيعاب " على كامل السكان المسلمين:

''We are confronted by a hardly perennial, a strongly rooted national identity which must be eradicated by assimilation'' [1]

بمعنى: ""نحن نواجه مرحلة عصيبة، تتمثل في قمع الهوية القومية"".

بالمقابل في السنوات الأولى من الاستعمار الفرنسي للجزائر كانت الأنظار موجهة إلى قمع ثقافة البلاد أكثر منها ترسيخ ثقافة فرنسية لأبناء الشعب الجزائري عامة ***''Les indigènes''*** و قد أقرّ **قردون** ***''Gordon''*** أنّ نسبة التعليم مع بداية الاستعمار كانت ما بين 40% و50 % وهذا لا يعني أنه كانت هناك جرائد أو ووسائل لتعليم القرآن، بل كانت بدائية جدا لكن هناك مصدر فرنسي وهو **بيليسي دورديزد** ***'Pellisier de Reynard''*** مؤسس المكاتب العربية ***''Les Bureaux Arabes''*** الذي كتب سنة 1836 " التعليم في الجزائر كان على الأقل منتشرا بصفة غير مختلفة عن نظيره في فرنسا، غير أنه سئل حول مستوى تعليم اللغة والثقافة العربيتين بصفة عامة، وكان نتيجة إرادة سياسية للردع كما سبقت الإشارة، في هذا السياق قال **اليكس دوتوكيل** ***''Alexis de Tocqueville''*** سنة 1847:

''We have cut down the number of charities, let schools fall into ruin, closed the colleges. Around us the lights have gone out, the recruitment of men of religion and men of the law has ceased. We have, in other words, made Muslim society far more miserable, disorganized and barbarous than ever was before it knew us'' [2]

[1] Hobsbawn, nationalism, USA, 1990.
[2] Ageron, 1991, P : 21.

بمعنى انه قال : "إن الفرنسيين قطعوا عدد من الصدقات، تركوا المدارس في خراب، أغلقوا الكنائس بالنسبة لنا لقد سطح الضوء، لقد أبطلنا توظيف رجال الدين والقانون، لقد جعلنا بعبارة أخرى المجتمع الإسلامي أفقر من ذي قبل غير منظم وبربري أكثر من أي وقت مضى."

في سنة 1848 وبعد الثورة الجمهورية بفرنسا أصبحت الجزائر جزءا من فرنسا مع تنصيب اللغة الفرنسية كلغة رسمية كما أوقفت فرنسا الإعانات والتبرعات، الأوقاف أو الحبوس ***''Awqaf or Habus''*** والتي كانت مصدر الدعم المالي للتعليم بما في ذلك اللغة العربية ، فبدون هذا الدعم إنهار نظام التعليم.

في الحقيقة "المماثلة" كانت تعني أشياء كثيرة في كل من فرنسا والجزائر؛ في فرنسا كانت تعني بهذا المفهوم توسيع الحقوق والامتيازات للعرب بحقوق متساوية مع المواطنين الفرنسيين في كلمات المؤرخ والزعيم الفرنسي للحقبة الاستعمارية **تشارلز روبرت اقيرون:**

''Assimilation in Algeria was designed not only to give the French their full share of privilege ، but to create what Lyautery later called overblown or super-citizens ، with rights in excess....This fundamental mistake as to the true meaning of assimilation in the country lasted throughout the whole history of French Algeria.[1]

بمعنى: "إن المماثلة في الجزائر كانت موجهة؛ ليس في اعطاء الفرنسيين حقهم في الامتيازات و حسب؛ و إنما لخلق ما أسماه لاحقا ***ليوني*** : **المواطنين الممتازين** بحقوق زائدة ....هذا الخطأ الرئيسي لمعنى المماثلة في البلاد دام لفترة تاريخ الجزائر الفرنسية."

[1] Ageron, 1991, P : 21.

فعلا، عوض معاملة المسلمين كفرنسيين؛ جاءت المماثلة لتعني العكس، خاصة بعد إقرار القانون الشائن للانديجينا ***''Code de l'indigénat''*** سنة 1881 والذي أدخل قانون خاص لهذه الفئة من الشعب بإقرار عقوبات خاصة بما في ذلك السجن بدون محاكمة.

مهاجمة بنية وركيزة المجتمع الجزائري بدأت مع تقسيم العائلات الكبرى وخلق هدنة مع القبائل العسكرية مع نهاية سنة 1870، وذلك بإقرار النظام القضائي الإسلامي والذي كان تابع إداريا للقضاء الفرنسي، زد على ذلك فإن طبقة العلماء لم يوضحوا إلا بتربص داخل المدارس الفرنسية ***'' French Madrasas''*** الإدارة الفرنسية كانت تسعى إلى مقاومة القوى الفاعلة في رجال الدين. العلاقة هذه بين الكنيسة والدولة كانت معاكسة للقانون الفرنسي والذي فصل الاثنين سنة 1905، كان يستعمل القانون على العكس لاضطهاد المديّنين (المسلمين) ومن ثم العربية.

''In the Kabyle area, a policy of divide and rule was installed, only allowing education in French schools and closing all Quranic ones. Some even went as far as to justify this by claiming the Kabyles were descendants of the Gauls'' [1]

بمعنى: "تعليم الصغار في المدارس القرآنية المعروفة بالزوايا في منطقة القبائل، نهجت الحكومة الفرنسية سياسة ""**فرق تسد**"" و ذلك من خلال غلق المدارس القرآنية و السماح بالتعليم في المدارس الفرنسية فقط. البعض ذهب الى حد اثبات بعض الادعاءات القائلة بأن القبائل منحدرون من"" **القولز**"" و هي منطقة تقع في غرب أوربا."

إذن فيما يتعلق بالسياسة اللغوية المنتهجة فإن الفرنسيين لم يشرعو بتطبيق المقترحات التي سبق ذكرها،أقلية كانت تزاول الدراسة في المدارس الابتدائية، أما المرحلة الثانوية والتعليم العالي فلم يكن لهما داعي، ورغم هذا؛ إلا أنه لا يمكن لنا أن نتجاهل أثر الاحتكاك اللغوي العفوي وخاصة بتمدّن السكان المسلمين وقربهم من الناطقين بالفرنسية، وبدرجة أكبر

[1] R. Patai, the Arab mind, 1973, P : 33.

عبر الهجرة إلى فرنسا خلال الأربعين سنة الممتدة من 1914-1954؛ مليوني جزائري عاشوا في فرنسا، ربما هذا النوع من الاحتكاك ترك أثاره اللغوية على الدّارجة العربية الجزائرية.

''Many of the less educated older generation are often unaware of the origin of words assimilated into the colloquial variety because their lack of formal education in either French or Arabic leaves them unaware of the links between words such as ''firmli''[1].

بمعنى: "" العديد من الأجيال المثقفة و المتقدمة في السن و التي لم يكن لها مستوى لا بالعربية و لا بالفرنسية كانت تجهل مصدر العلاقة بين بعض الكلمات كـ:''**[firmli]** و التي تعني ""**ممرض**""."

3.2.6: بداية الحركة القومية:

تركت سياسة تفرقة التعليم الدولة في علاقة صعبة مع الأغلبية من السكان "**دجليز**" قام بتوضيح النقطة الأساسية في هذا الخضم، حيث قال عندما تكون الثقافة غير مرئية أو متعارف عليها في المجتمعات البدائية، فإن المجتمعات المتحضّرة تعتمد على حركية الاتصال مع الأجانب والتي تصبح بعد ذلك عرفا ثم ثقافة ***''the core of one's identity''***

أمّا في فرنسا فأصبحت الفرنسية أداة الهوية الوطنية بمعناها الواسع، وعلى الرغم من نفي بعض القبائل العرقية، فهذا ليس الحال بالجزائر المنطوية تحت سياسة النخبة الناطقة بالفرنسية، ففي الوقت نفسه كانت هناك هوة تتوسع بين الاقتصاد الأوربي ومثيله الإسلامي، فلقد مثّل هذا إحدى المكونات الأساسية لتطور الهوية الجزائرية.

''It is a political movement depending on a feeling of collective grievance against foreigners...'' [2]

بمعنى: "" إنها حركة سياسية ترتكز على الشكاوي ضد الأجانب""

[1] Mike holt : Algeria, nation and state, P : 31.
[2] Minogue, 1967, PP : 26-27.

ليضيف **هوبزباون** ***''Hobsbawm''*** "أنّ القومية تمثل المصلحة المشتركة ضدّ المصلحة الخاصة والصالح العام ضدّ الإمتيازات".

''Hobsbawn argues furthermore that nationalism represents the common interest against particular interests and the common good against privilege (1990).

''He claims that the masses are usually the last group to be affected by nationalism. Such was the case in Algeria, the general discontent generated by a deteriorating economic position, the sense of outrage caused by all to visible privilege and the feeling of cultural alienation were channeled in the 1920's and 1930's into specific nationalist ideologies by different prominent intellectuals and scholars.[1]

إذن في هذا السياق كان لزاما على القوميين الجزائريين من أمثال عبد الحميد بن باديس أن يخلقوا ما قبل الأمة / الوطن وذلك بالدّعاية والإقناع كما فعل "**ما سيمو دازيقليو**" حين قال : لقد صنعنا ايطاليا، الآن علينا أن نصنع الايطاليين :

''When Massimo d'Azeglio famously said: we have made Italy, now we have to make Italians" [2]

الأغلبية في الجزائر تتكلم العامية العربية أو الأمازيغية، لكن كان لزاما أن يقتنعوا أن العربية الفصحى، لغة الإسلام، وهي رمز الوطن، إذ هي مهمة، أصبحت سهلة بواسطة:

1 –إقرار الحكومة الفرنسية ببروز دولة الجزائر كمسلمين وعرب وبربر بسياسة الإقصاء والتي تتمثل في إقصائهم من الفائدة الاقتصادية للدولة الحديثة، إقصاؤهم من المنظومة التربوية والقضائية وذلك بإصدار قانون الإقطاعيين، هذا الإقصاء لم يكن مرتكزا حول العرق وإنما ارتكز حول اللغة والدين.

[1] Hobsbawn nationalism USA, 1990.
[2] Massimo d'azeglio

''An indigene was someone who spoke Arabic or Berber and was a Muslim'' [1]

بمعنى: ""ابن البلاد هو من يتكلم العربية أو الأمازيغية و يكون مسلما"".

2 – سياسة معتقد العادة الكبيرة والتي تخوّل الشرعية والمصداقية لهؤلاء القوميين المطالبين بلغة وثقافة أصليتين فالرسالة الأساسية للإسلام والتي هي القرآن قد أنزلت بالعربية فكل مصادر السلطة والقانون كانت مكتوبة بالعربية، وهذا ما يساعد على أداء تلك المهمة، فكلما كانت العادة كبيرة، كلما كانت المهمة سهلة.

3–إسكان المسلمين في المدن أعطى دفعا كبيرا للكتابات الأدبية.

المشكل اللغوي في الجزائر سيس كثيرا في تاريخه المعاصر، ويظهر في أوقات أثر اللغة العربية كرمز وأداة سياسية أكثر منها تطبيقات لبرامج سياسية، استعملت اللغة العربية كمظلّة للهوية الوطنية، إنه من الموضة هذه الأيام أن تتكلم عن السيادة والتي تعني إقناع وليس إجبار الجماهير لإتباع إيديولوجية النخبة؛ في تاريخ اللغات الرسمية هذا يعني إقناع الشعوب أن لهجة النخبة هي الأنسب، هي اللهجة الألبق والرفيعة ويجب أن تصبح اللغة الرسمية.

3.6: ماهي اللغة التي يتكلمها الجزائريون في القرن 21 م ؟

حاول المجلس الأعلى للغة العربية الإجابة على هذا السؤال بمناسبة اليوم الدراسي الموسوم بـ "اللغة العربية واللغة الجينة" : أسباب وحلول "أمر واحد أكيد هو أن "الجزائري لا يتكلم العربية الكلاسيكية وإنما نوع من "**الكريول**" مؤلف بالأساس من العربية الامازيغية والفرنسية " فسيرورة الإعداد لهذا اللغة يتم على حساب العربية بالنسبة للمشاركة في هذا

[1] Mike Holt, language, nation and state, 1994, P : 34.

اللقاء، فتقدّم هذه السيرورة ليست إثراء للغة وإنما هي تلويث للغة العربية وهذا ما جاء به محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية:

''Nous considérons que la pollution linguistique est un phénomène récurant si nous référons à ce qui est inscrit dans la mémoire (collective) en termes de patrimoine populaire qui est très proche de la langue arabe classique'' *(1)*

بمعنى: ""نعتبر أن(**التلوث**) اللغوي هو ظاهرة متداولة اذا ما رجعنا الى ما سجّل في الذاكرة الجماعية الخاصة بالتراث الشعبي الذي هو قريب جدا من اللغة العربية الكلاسيكية"".

1.3.6: تنوعات الدارجة الجزائرية:

يوجد في الدّارجة الجزائرية بعض التنوعات المحلية والتي تميل بالأساس إلى مثيلاتها بالدول المجاورة؛ المغرب وتونس. تجدر الإشارة كذلك أن اللهجات الجزائرية الغربية لها نفس اللاحقة ***''Suffixe''*** كنظيرتها في باقي مناطق الجزائر بالنسبة للضمير المفرد الغائب ***"EH'' '*** بيد أن المناطق الأخرى تستعمل ***''OU'*** بإستثناء تلمسان ومستغانم وندرومة.

كباقي دول العالم، فإن اللهجات الجزائرية تختلف من منطقة إلى أخرى، وسوف أحاول أن أعطي نبذة عن هذا الاختلاف بحسب المنطقة، غير أن هذه الاختلافات يمكن أن تكون عديدة داخل المنطقة الواحدة حسب الجدول المرفق في الأتي:

تنوعـــات الدارجـــــة الجزائريـــــة					
الكلمة بالعربية	الكلمة بالفرنسية	لهجة شرق الجزائر	لهجة وسط الجزائر	لهجة غرب الجزائر	لهجة جنوب الجزائر
جميع	Tous	كامل	قاع	قاع	قاع
غاضب	En colère	مغشش	زعفان	زعفان	زعفان

[1] J. Laffin, the Arab mind : A Need For Understanding, 1977, P : 75.

كثير	Trop	ياسر بزاف	بزاف	بزاف	ياسر بزاف
البيض	Œuf	لبيدة لعدام	لبيدة ولاد لدجاج	لبيد	لبيد
الطماطم	Tomate	طماطم	طوماطيش	طوماطيس	طوماطيش
ياأخي	Mon frère	ياخويا	ياخو ياخويا	ياخويا	ياخويا
أحبك	Je t'aime	نحبك نشتيك	نحبك	نبغيك	نحبك نبغيك
جميل	Beau	باهي شباب	شباب	شباب	زين
الجزائر	Algérie	دزاير / دجزاير	دزاير / دجزاير	دجزاير	دزاير / دجزاير
ملكي	La mienne	نتاعي	نتاعي / ديالي	نتاعي	نتاعي
نعم	Oui	إيه / هيه	إيه	واه / إيه	واه / نعم / يه
لا	Non	لالا / للا / أها	لالا / للا	للا	أها

عبارات المجاملة :

الفرنسية	العربية الجزائرية، بالأبجدية اللاتينية	العربية الجزائري بالأبجدية العربية
Merci	sahhit ،Saha	صحا، صحيت
Salutation	slama ،Salem	سالام
Bonjour	Sbah lkhir	صباح الخير
Bonsoir	Mselkhir	مسلخير
Au revoir	ebkaelakhir ،Beslama	بسلامة
S'll te plait	Men padlek، madabik ، rabi teach ،Eaychek	من فضلك، مادابيك، ربي يعيشك، تعيش

كلمات في العربية الجزائرية من أصول أمازيغية:

فكرون	سلحفاة
فماش	بلا أسنان (الطع)
تشينا	برتقالة
لوس–لوسنا	اخو أو أخت الزوج
مكشرد	متجعد
هيدورة	جلد الخروف
غوفالة	شعر كثيف
فنتازية	جماعة فلكلورية
حلوف	خنزير
قرلو	صرصور
شلاغم	شوارب
ارواح	تعال
صقسي	اسأل

كلمات في العربية الجزائرية من أصول فرنسية:

الكلمة بالفرنسية	التحويل بالعربية الجزائرية
Accélérer	كسيليري
Bombe	بومبا

Ca se gate	تزقات
Dribbler	تريبلي
Electricité	تريسينتي
Foulard	فولارا / فونار
Gendarme	دجدارمي
Humidité	مديتي
Infirmier	فرملي
Journal	دجرنان
Légalisé	إقليز – مقليز
Marteau	مرط
Opération médicale	برصيون
Petit pont	تيبو
Quartier	كرط
Rétroviseur	تروفزور
Sachet	سشيا

المبحث الثالث:

الظواهر السوسيو لسانية عند النخبة المثقفة :

1 :الازدواجية اللغوية:

يطلق على هذه الظاهرة في اللغة الانجليزية بـ ***(Diglossia)*** و ***(Diglossie)*** بالفرنسية، وهي حالة لسانية مستقرة نسبيا، يتواجد فيها مستويان للكلام من نفس اللغة (كالعامية والفصحى) أو من لغتين مختلفتين (العربية والفرنسية) . هذان المستويان يستخدمان بطريقة متكاملة، وإحدهما له موقع اجتماعي ثقافي مرموق نسبيا على الآخر عند المجموعة اللغوية الناطقة بهذه اللغة، تجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين ذهبوا إلى القول بأن هناك مجموعة من المستويات اللغوية في اللغة العربية وليس فقط مستويين وهذا ما أطلق عليه بالتعددية اللغوية ***(Multilingualism)***.

الازدواجية والثنائية:

وقبل البدء بالحديث عن الازدواجية اللغوية لا بد لنا من التفريق بينهما وبين الثنائية اللغوية ***(Bilingualism)*** وهي وجود مستويين لغويين مختلفين ليسا من نفس النظام اللغوي في لغة قوم وعلى بقعة جغرافية محددة، ومثالنا على ذلك تداول اللغة العربية والفرنسية في لغة سكان المغرب العربي.

2.1 :الازدواجية في اللغة العربية:

تعتبر الحالة العربية من أكثر حالات اللغات شهرة بخصوص الازدواجية اللغوية، وذلك بسبب وجود مستويين واضحين جدا في هذه اللغة وهما العامية والفصحى، وهذا ما سنجد له لاحقا أثر كبير على تعليم العربية لغير الناطقين بها[1].

[1] فادي شاهين . القدس العربي، عدد 5817. 2007

لقد أقر أهل الاختصاص بأن اللغة العربية عرفت حالة ازدواجية في جميع مراحل تطوّرها، وحتى في أيام الشعر الجاهلي فقد كان هناك لغة الناس، لغة القبائل وتعيش بجانبها لغة مرموقة هي لغة الشعر الجاهلي والخطب المعروفة وهي اللغة التي نزل بها القرآن لاحقا، ولكن الفارق بين اللغتين تضاعف كثيرا في أيامنا هذه بسبب عدم تحرك اللغة بالشكل اللائق، ويعزي ذلك ربما إلى خوف الباحثين والقائمين على العربية من تبعثر لغتهم إلى لغات عائدة إلى كيانات بشرية مقسّمة بحدود فنية وضعتها قوى خارجية عن إرادة السكان العرب، وهذه اللغات مكرسة بإعلام يسمى بأسماء الدول العربية، والتي أصبح لكل دولة منها لهجة مرموقة غالبا ما تكون هي لهجة العاصمة.

2 :الازدواجية اللغوية كظاهرة سوسيو لسانية:

تعد ظاهرة الازدواجية في اللغة العربية من أهمّ المشكلات اللغوية التي تواجه الوطن العربي من النواحي الاجتماعية والنفسية والتربوية، وبحكم طبيعة الموضوع الحساسة من الناحيتين القومية والسياسية من جهة، والدينية من جهة أخرى، فإنه لم يلق عناية موضوعية كافية، أو بحثا مستفيضا في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، ويبقى الكثير مما كتب مجرد ردود أفعال آنية أملته انتماءات ومصالح مختلفة أكثر مما أملاه البحث الموضوعي الجاد في العالم العربي.

إن كلمة الازدواجية ترجمة للمصطلح الانجليزي ***''Diglossia''*** والتي يعتقد أن أول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني كارل كرمباخر ***(K.Krambacher)*** في كتاب صدر له عام 1902 [1] تطرق فيه إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص إلى نتائج تفسّر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي، إذ اقترح على اليونانيين ترك "إزدواجيتهم الشرقية واللّحاق

[1] R.A.Hudson, Diglossia, A Bibliographic review, 1992, P : 61.

بالعالم الغربي، وذلك يتبني العامية كلغة قومية: كما دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم وتبني إحدى اللهجات – مفضلا – المصرية – كلغة قومية. بيد أن الرأي العام الشائع في أدب هذه الظاهرة اللغوية هو أن العالم الفرنسي وليام مارسيه ***(william Marcais)*** أوّل من نحت الاصطلاح بالفرنسية سنة 1930***(Diglossie)*** وعرّفه بقوله " هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة الحديث [1]، وبعد ما يقارب ثلاثة عقود من الزمن، وعلى جهة التحديد عام 1959، وفي مقالة تعد من أشهر ما كتب عن الموضوع، قدّم اللغوي الأمريكي تشارلز فيرجسون" ***Charles Ferguson*** عام 1959 هذا الاصطلاح إلى الانجليزية، إذ بحث أربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة وهي: العربية واليونانية والألمانية السويسرية، واللغة المهجنة في هايتي. حيث قال فيرجسون في تعريفه لهذه الظاهرة: "حالة لغوية نسبيا" يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية (التي ربما تضم نمطا أو أنماطا مختلفة باختلاف الأقاليم) نمط آخر في اللغة مختلف، عالي التصنيف (وفي غالب الأحيان أكثر تعقيدا من الناحية النحوية) فوقي المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت، أو لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية، لكنه لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية[2] ".

دعا فيرغسون هذا النمط " المرتفع "وهو الفصحى، وقارن استعماله "بالمنخفض" وهو النمط العامي وأعطى نموذجه التالي لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة [3].

---

1 Sotiroputous, Diglossia and the national language, question in modern greece, 1977, P : 7.
2 R. Patai, the Arab mind, 1973.
3 J. Laffin, the Arab mind : A need For understanding, 1977, P : 75.

الحالة	النمط العالي	النمط المنخفض
1- الخطبة في المسجد (أو الكنيسة)	X	
2- الحديث مع الأصدقاء والزملاء وأفرد العائلة		X
3- التمثيليات الاجتماعية في الإذاعة		X
4- التعليمات للخدم والعمال		X
5- التعليق على الكاريكاتير		X
6- الشعر	X	
7- الرسائل الشخصية	X	
8- الخطبة في مجلس الأمة، الحديث السياسي.	X	
9- الأدب الشعبي		X
10- افتتاحية الصحف، أخبار الصحف والعناوين	X	
11- إذاعة الأخبار	X	
12- محاضرات الجامعة	X	

أماكن استعمال الشكل اللغوي الرسمي *H* وغير الرسمي *L* *(1)*

ويمضي **فيرغسون** ليتنبأ بما ستكون عليه الحالة اللغوية في اللغات الأربع المذكورة بعد القرنين القادمين، وعلى وجه تقريره عام 2150 م، والجزء الخاص بالعربية، جدير بالذكر هنا، فيتوقع " **فيرجسون** " أن يكون هناك تقدم بطئ نحو تطور مجموعة من الأنماط اللغوية يرتكز كل منها على إحدى العاميات مع مزيج من مفردات الفصحى، وهناك بناءا على

[1] Ferguson. C.A. Dialect reality and language,1959, P : 256.

توقعه ثلاثة أنماط رئيسية : أوّلها العربية المغربية، وترتكز على عامية الرباط أو تونس، وثانيهما المصرية، وترتكز على عامية القاهرة: والثالثة ما أسماها المشرقية، وترتكز على عامية بغداد، ويضيف "فيرغسون" مكمّلا توقعاته أنه بناءا على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة، فربما نشأ نمط جديد للعربية في سوريا، مرتكزا على عامية دمشق، وآخر سوداني يرتكز على عامية أم درمان أو الخرطوم، أو أنماط أخرى على حد قوله[1].

ودعا فيرغسون المختصين لدراسة هذه الظاهرة بشكل أوسع وقد تم ذلك بالفعل، وخاصة بين علماء اللغة الإجتماعي. يقول "**دل هايمز**" 1964 ***(Dell Hymes)*** اللغوي الاجتماعي الأمريكي تعليقا على مقالة **فيرغسون** أنّ الديغلوسيا مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متبادلي الفهم (ويقصد هنا الفصحى والعامية، وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وترابط كل من هذه الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة، وكمثال لضرورة الرجوع إلى الجماعة المحلية للتحكيم لتجنب أي تعريف أو تشويه قد نشأ بحالة الإتصال، كما تعرض لهذه الظاهرة بالتحليل والتمحيص كل من " **جمبيرز وفشمان** ***(Gumperz and Fishman)*** 1962-1972 على التوالي، فقد أضاف **جيمبرز** في أعماله الكثيرة ذات الصلة بهذه الظاهرة أن الديغلوسيا ليست حكرا على المجتمعات المتعددة اللغات، التي تعرف رسميا لهجات منفصلة، ولا في المجتمعات التي تتكلم أنماطا عامية وفصحى، ولكن في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة أو أساليب مختلفة، أي أنماط أخرى تستخدم وظائف مختلفة [2] أمّا فيشمان فقد لخص ما قدّمه لدراسة هذه الظاهرة بأنه يتناول استمرارية الديغلوسيا وتعطيلها على المستوى القومي والاجتماعي، وحاول ربط هذه الظاهرة ببعض الاعتبارات وما يختص عنها

[1] ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها، محمد راجي الزغلول، د.ت.

[2] Abderrahmane Abou Saida, Diglossia in Egyptian Arabic, 1971, P: 71.

بثنائية اللغة ***(Bilingualism)*** بشكل رئيسي، ودرس نماذج من الجماعات التي تتميز بالازدواجية أو الثنائية، وقبل سنوات قليلة [1].

أمّا " **ألان كي** ***(ALAN KAYE)*** 1972 فتناول ظاهرة الديغلوسيا بشكل مختلف إذ انتقد تعريف " فيرغسون " لها، ووصفه بأنه " انطباعي "، ونظر إلى هذه الظاهرة كوضع لا يميل إلى الاستقرار والثبات كما فهمه "فيرغسون " : كذلك فهم الفرق بين النمطين الأساسين للعربية الفصحى والعامية بين نمط معرّف ***'' ill defined''*** وهو العامية، وغامض التعريف وهو الفصحى، فالعامية في رأيه نمط معرّف، لأن الطفل يتعلمها لغة أولى، أما الفصحى فإنها نظام غامض التعريف لأنها لا تكتسب لغة أولى، بل يتعلمها الطفل فيما بعد في المدرسة، وفي اعتقاده أنه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين، لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الإزدواجي يميل إلى الثبات، بل على العكس هو متغير" [2].

وفي مقالة نشرت عام 1993 حاول "**شيفمان**" ***(Schiffman)*** 1993 أن يعيد نقاش ثبات الوضع الازدواجي أو عدمه مبيّنا "أن الوضع غير ثابت إطلاقا، وذلك لسبب رئيسي أسماه الخلل في ميزان القوى بين الأنماط المختلفة التي تشكل الوضع، إذ يؤدي هذا الخلل في ميزان القوى إلى التنقل من نمط إلى آخر وفي النهاية إلى إحلال نمط آخر"[3].

لطالما شكل الوضع هذا عائقا للناطقين بالفصحى يقول الباحث "**سوتير وبولص**" ***'' sotiropoulos''*** 1977 الذي تناول بالتفصيل الوضع القائم باليونان، حيث كان لأمد قصير التنازع بين الفصحى والعامية كلغة للبلاد، ليجتمع الوضع في اليونان عام 1976 بعد أن اتخذت الحكومة اليونانية برئاسة "**كرامناس**" قرارا رسميا يقضي بإلغاء اليونانية الفصحى المسمّاة "كذاريفوسا" ***katharevousa*** واعتماد العامية اليونانية المسمّاة ديموتيكي ***Demotiki***

[1] اللغة العربية وبعض مشكلاتها، د.أنيس فريحة، 1966، ص: 8.
[2] نفسه، ص: 9.
[3] نفسه، ص: 12.

لغة رسمية للبلاد، يقول السّامرائي في هذا السياق "وإن ازدواجية –قاصدا الديغلوسيا وبشكل موضوعي، أداة بارعة للضرورة– فإنها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية لتعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام لعائق، بالإضافة إلى ذلك، إذا اعتبرنا أن وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب، وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية [1].

ومن أوائل الكتاب العرب الذين ابرزوا المشكلات التي توارثتها الديغلوسيا وعلى نسق الكتاب الغربيين كان أنيس فريحة والذي أصدر كتابه عام 1966 تحت عنوان: **اللغة العربية وبعض مشكلاتها**، أين كان أول من استخدم ذلك المصطلح معتبرا أن تلك الظاهرة هي من خمس مشكلات رئيسية التي تعاني منها اللغة العربية، أولها كما يراها فريحة تفيد الفصحى بأحكام وضوابط مرهقة مبنية على قواعد الشعر ومنطق أرسطو، وثانيها كتابة العربية بالحروف الصامتة، وثالثها عجز العربية اللحاق بالعلوم والفنون والفلسفة، ورابعتها مشكلة تدريس اللغة العربية، وخامستها مشكلة الازدواجية اللغوية والتي كما يقول فريحة تترك في كل شعب أثارا سلبية في الفكر والتربية والشخصية والأخلاق والفنون الجميلة، وفي كل من هذه الحقول أعاد انيس فريحة أطروحات " باتاي وشوبي، وقبل عرض هذه الآثار، لا بدّ من تقديم تعريف "فريحة " لمشكلة اللغة العربية الأساسية الأولى، وذلك لسببين رئيسين: أولهما أنّ ما كتبه فريحة في هذا السياق واسع الاقتباس وثانيهما أن تعريفه يبين وبشكل جلي ما يرمي إليه، فالعامية "سلسلة سيّالة لا تعوق الفكر ولا تتطلب جهدا"، أمّا الفصحى فهي "شخصية لغوية ثانية،... لغة غريبة عن الحياة ... معربة، معقّدة...الخ" يقول فريحة: "أولا بوجود لغتين مختلفتين اختلافا كليا: عامية وفصحى، أي أننا من الشعوب المزدوجي اللغة: نفكر ونتكلم ونغني ونتم صلواتنا ونهمس في آذان من نحبهم ونتفاهم مع من نرغب في

[1] تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي، 1973، ص: 3.

التفاهم معهم ونتشاتم مع من يروقنا أن نتشاتم معهم بلغة محكية سلسلة لا تعوق الفكر ولا تتطلب منا جهدا، ولكن عندما نقف مواقف رسمية كان يكون أحدنا معلما أو واعظا أو محاميا أو محدثا في الإذاعة أو محاضرا في قاعة الدرس، علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية، علينا أن نتكلم لغة غريبة عن لغة الحياة... معرّبة معقدة شديدة الأحكام في التركيب والتعبير.

واللغة– إن لم تكن الفكر ذاته– فهي طريقة الإنسان إلى إدراك الكون والوجود، فإذا فكرنا فإننا نفكر بوساطة اللغة، وإذا أدركنا الأمور فإننا ندركها بوساطة اللغة، وإذا انتقلت الينا اختبارات الإنسانية فإنها تنتقل إلينا بوساطة اللغة فاللغة عنصر حياتي ومع هذا – وهنا يقع التناقض – فإن علينا، في مواقعنا الرسمية، ...ودواخلنا بلغة وقفت في مجراها عند نقطة معينة في الزمان والمكان عندما أحيطت بهالة من التقديس[1].

ولا بد في هذا المقام أن ننوه بالربط الذي يجمع بين الديغلوسيا وانتشار الأمية والذي أورده "فيرغسون" في مقالته عن هذه الظاهرة، إذ أكد أنّ الديغلوسيا تبدو مقبولة في مجتمعاتها ولا تعتبر مشكلة حتى يبرر أحد ثلاثة اتجاهات أولها : انتشار محو الأمية (لأسباب فكرية أو اقتصادية أو غيرها)، ذلك لأنه أشار في المقالة نفسها أن أحد أسباب وجود الديغلوسيا هو حصر القراءة والكتابة على النخبة، وثانيها: الاتجاه غير مزيد من الاتصالات بين الإقليم، والطبقات، وثالثها: الاتجاه نحو تشكيل نمط لغوي موحّد يمثل الاستقلال والسيادة، فهل يصدق هذا عن العربية يا ترى؟ إن كان الحال كذلك فكيف الطريق لتجنب تلك العوائق ،أو هل للعربية وضع خاص يختلف عن غيرها من اللغات؟

للإجابة على مثل هذه الأسئلة لا بدّ أن نبحث أربعة أنماط للغة العربية، يعرف منها العامة من الناس الفصحى والعامية، أما النمطان الآخران فقد أبرزهما كتّاب غربيون أو

[1] اقتبسه أنور الجندي في كتابه "لغة القرآن" د.ت. ص: 86.

عرب تعلموا بالغرب وبأمريكا خاصة، هذان النمطان الجديدان هما العربية الحديثة، وعربية المثقفين وسوف نعرض تلك الأنماط الأربعة معرضين لظاهرة الديغلوسيا في العربية.

ا-العربية الفصحى:

وهي ما يسميه الغربيون العربية الكلاسيكية ***(Classical Arabic)*** أو العربية الفصحى ***(Fusha Arabic)*** وأحيانا أخرى العربية الأدبية ***(Literary Arabic)*** وما سمّاه " فيرجسون " بالنمط العالي أو " المرتفع " ورمز له بالحرف ***H***".

الفصحى بالدرجة الأولى هي لغة القرآن، وهي الوسط الذي انتشر به الإسلام دينا وثقافة. والعلاقة بين العربية الفصحى والإسلام علاقة عضوية حميمية، قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا" وقال "بلسان عربي مبين" وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين أن يشرحوا أو يبينوا هذه العلاقة وللفكر الغربي بالذات، فعلى سبيل المثال يقول الأستاذ "عناية الله" في مقالة نشرها في مجلة ***"Muslim World"*** في توضيح هذه العلاقة: "العربية ذات أهميّة عظمى لكونها اللغة الدينية للمسلمين الذين يكوّنون خمس الجنس البشري (5/1). ويتم التأكيد في القرآن الكريم مرارا وتكرارا على حقيقة أن كلمة الله قد أوحي بها اللسان العربي، ومن طرف العالم الإسلامي إلى الطرف الآخر، ومهما كانت لغة المسلم، سواء كانت بربرية أم حوساوية أم بشتوا أم فارسية أم تركية أم جاوية أم ملاوية: فإن الصلوات تقام خمس مرات بالعربية يوميا، أمّا الكلمات الأساسية في العقيدة الإسلامية – لا إله إلا الله محمد رسول الله – فإنها تهمس في أذن الوليد، ومن بين أولى الجمل التي يتعلم الطفل أن ينطق بها، وينبغي أن تكون هي الكلمات الأخيرة على شفاه الميت"[1].

[1] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 1978، ص: 109.

من هنا نبع الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح، وقد أثّر هذا الاعتقاد تأثيرا واضحا باتجاهات العرب نحو لغتهم، يقول "المحتسب" في مقالة نشرها بمجلة العلم العربي عام 1958 في علاقة القرآن الكريم باللغة العربية: "إن القرآن الكريم هو الكتاب الديني الوحيد الذي إحتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة وسيحفظها على مر الدهور وستموت اللغات الحية المنتشرة اليوم في العالم، كما ماتت قبلها لغات حية كثيرة في سالف العصور، إلاّ العربية فسوف تبقى بمنجاة من هذا الموت وستبقى حية في كل زمان مخالفة النواميس الطبيعية التي تسري على سائر لغات البشر، ولا غرور فإنها متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية، فالكتاب العربي المقدّس هو الحصن الحصين والملجأ الثابت الأمين الذي تحتمي به اللغة العربية، ويصون وحدتها ويجعلها تقاوم أعاصير الزمن وعواصف السياسة المعادية ودسائسها الهدّامة[1]".

يقول المستشرق الألماني "**يوهان فك**" متحدثا عن هذه العقيدة: "هذه العقيدة التي جعلت من العربية الفصحى نموذجا مفروضا، ومثلا أعلى يقتفيه كل كاتب عربي، جعلت من العسير مكان أن يحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أصاب العربية، ككل لغة حية في مدة تربو على ثلاث مائة وألف عام [2]".

وأما ما غاب عن ذهن أولئك الكتاب الغربيين فهو خصوصية العلاقة بين الدين الإسلامي واللغة العربية، هذه العلاقة التي لا تشبهها بأية حال العلاقة بين الهندوكية والسينسكريتية التي اندثرت ولا تشبهها علاقة الدّين المسيحي بالآرامية أو اللاتينية أو اليونانية، ولا علاقة اليهودية بالعبرية التي اندثرت لأكثر من ألف عام، ثم أعيدت للحياة لتبعث الدّم في الحلم الصهيوني بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، إذن هل يستطيع الانجليزي أو الفرنسي، أو الاسباني عمل ذلك؟ هل يستطيع التركي أو الايطالي عمل ذلك؟

[1] نحو وعي لغوي، مازن مبارك، ص: 41.
[2] مستقبل الثقافة بمصر، طه حسين، ص: 263.

هل يستطيع أي شاب من تلك الجنسيات أن يقرأ تراث أمته كما كتب لفترة ما قبل ألف عام مثلا؟ وحتى خمس مائة عام؟ هل لأبناء أمّة القدرة على دراسة تراثهم في مثل هذه الفترة الزمنية، فالانجليزي مثلا لا يستطيع أن يقرأ أي شيء من تراثه بشكله الأصلي مما يزيد تاريخه على خمس مائة عام، ...أمّا ما قبل الخمس مائة عام فالانجليزي يدرس في الانجليزية الوسطى ***(Middle English)*** خليطا من الفرنسية في المقام الأول وما تبقى من الكلمات الجرمانية في لغة أقصيت لقرون في معترك الحياة بكل الجوانب الرسمية أما ما قبل ذلك أي ما قبل الغزو النورماندي عام 1066 م، أي الانجليزية القديمة ***(Old English)*** فلا يقرأها أو يفهمها إلا متخصص بل لغوي متخصص ولا يتجاوز عدد هؤلاء عدد لأصابع اليد الواحدة في الدولة الكاملة، إننا لن نستطيع إدراك أهمية ذلك إلا إذا أدركنا قيمة الاستمرارية الحضارية على المستوى الإنساني وبشكل شامل إن كان مثل هذا الأمر يشغلنا بالفعل،الأمر الذي أقره الأستاذ "**ريتشارد يوركي**" في مقدمة لمحاضرة ألقاها في قاعدة **لاكلاند** الجوية الأمريكية، بمجموعة من العسكريين الأمريكيين الذي يدربون مبعوثي بعض الجيوش العربية في أمريكا: "هذا النمط من العربية الذي تحمل وثبت هناك قوة موحدة عظيمة واحدة : العربية الفصحى، هذا النمط ضمن العربية الذي تحمل وثبت لألف وخمسمائة عام خلتين والذي يعتبر لغة القرآن المقدسة، ويحترم قرائه الأدبي الهائل، بشكل رئيسي، لم تتغير هذه النوعية من العربية منذ عهد محمّد(صلم)، وهي تراث عام يوحّد جميع العرب: ذلك العربي الفرنسي الثقافة في المغرب، وذلك الكاتب الانجليزي التعليم في فلسطين، وذلك البدوي الذي مازال متنقلا في الحجاز، جميعهم يتقاسمون احتراما شبه أسطوري لفصاحة ومرونة العربية، وبشكل خاص ما دعاه المستشرق البريطاني "**جب**" أنها – يقصد العربية – لغة الأدب الثمينة، والحزينة بخيال غالبا ما يكون ساحرا ومترامي الأطراف[1]".

[1] A. Youssi, the moroccan triglossia : Facts and implications, 1995, P : 39.

ب- العامية:

يسمّى الباحثون الغربيون هذا النمط بالعربية الدارجة ***(Colloquial Arabic)*** أو العربية المحكيّة ***(Spoken Arabic)*** أو عربية اللهجة ***(Dialect)*** وأسماه "فيرغسون" النمط المنخفض ورمز له بالحرف ***[L]***، إنه النمط الذي يتعلّمه العربي في مختلف أصقاع الوطن العربي أولا، وهو النمط الذي يختلف من منطقة لأخرى ومن قطر إلى آخر، ومن فئة لأخرى، يتمايز بأصواته وبكلماته وبقواعده، إنه النمط الذي يستخدمه العربي في حديثه لزوجته وأطفاله وإخوانه وأخواته داخل وطنه، هو النمط الذي يغنّي به ويهمس به ويشتم به، وينظم به الشعر الغنائي والنبطي والأمثال الشعبية والتراثية والفلكلورية وحجم هائل من الأدب الشعبي ممثلا بالدراما الاجتماعية في المذياع والمسلسلات التليفزيونية والأفلام السينمائية، إنّه النمط الذي لا يجيد عدد كبير بل الغالبية العظمى من الناطقين بالعربية غيره، إنه اللهجة والدارجة والمحكية، إنه النمط الذي ازدهر بانتشار الأمية وغياب التعليم وتطور متجها نحو التبسيط والبعد عن أي تعقيدات في الصوت والنطق والصرف والنحو واختيار الكلمة. في الكثير من الأبحاث المنشورة عن العربية، هناك تركيز على الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية تطورت عن الفصحى بعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، واتصال الشعوب العربية بشعوب أخرى، بالإضافة إلى توزيعهم الجغرافي، بالرغم من ذلك فإن اللغويين العرب لم يبدو اهتماما باللهجات ودراستها، ومردّ ذلك غلبة التشابه بين هذه اللهجات من جهة، وبينهما وبين اللغة الأدبية من جهة أخرى، وسهولة التفاهم، أو ما يطلق عليه في اللسانيات الحديثة بـ "التفاهم المتبادل ***(Mutual Intelligibility)*** بين هذه اللهجات واللغة الأدبية، فإن هناك إشارات للمزايا البارزة لكل من هذه اللهجات واختلاف بعضها عن بعض، لكنه باتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، ومخالطة الأعاجم والاتصال بلغات مختلفة ومتعددة الأصول والفروع، أخذت الفوارق تزداد بين تلك اللهجات من جهة، وبينهما كمجموعة وبين الفصحى من الجهة الأخرى، وبالرغم من اتساع الفوارق، إلا أن انتشارالفصحى لم يتوقف، إذ كانت هي الأساس،

وأصبحت لغة العلم والسياسة والإبداع والتأليف والترجمة فيما بعد، ثم أخذت في الركود في العصورالمتأخرة،حتى كان الحكم العثماني ومحاولات التتريك، ثم الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم بالقضاء على العربية، والاحتلال الانجليزي ومحاولات التجزئة بضرب الفصحى، وهكذا زاد اتساع الهوة بين اللهجات والفصحى بزيادة استعمال اللهجات، وقلة استعمال الفصحى، حتى وصف بعضهم الفصحى بأنها لغة ثانية، وأصبح الاعتقاد الشائع أن الفهم المتبادل بين اللهجات ضعيف، زد على ذلك فإن العربي بشكل عام ينظر إلى لهجته – بالنسبة للفصحى – على أنها ليست ناقصة وحسب، بل أنها تشويه للغة المقدسة، لغة الفصاحة والأدب .

وقد وصفت العاميات بأبشع الألفاظ من قبل الأدباء والكتاب العرب، فهي "مصاحبة للجهل والسوقية[1]، لغة السكارى والخدم .....فوضوية ولا قواعد لها، "علامة للجهل ولإمبريالية " كما يقول ناصيف"[2]، "لا تستحق أن تسمّى لغة، ولا تلاءم أهداف الحياة الثقافية " كما يقول طه حسين[3]، إلا أنّ هذا النمط يميل إلى التبسيط، وخاصة في القواعد، إذ على سبيل المثال تختفي صيغة المثنى تقريبا، وينقص عدد الضمائر، وتختفي معظم أوزان الجمع، وصيغ الأفعال، وكذلك تختفي حركات الأعراب[4]. لكن هذا التبسيط هو لا شك على حساب القدرة على التعبير، ويتناسب طرديا مع تضييق الآفاق لا توسيعها، كذلك فإن العامية قاصرة عن أن تفي بالتعبيرعن الأمور الثقافية والفكرية والفلسفية، وعلى المتكلم في هذه المواضيع أن يعود إلى الفصحى لمزجها بتراكيب العامية، إن أراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة، وبين هذين النمطين الأولين يوجد نمطان آخران من ابتداع دراسي العربية

[1] إبراهيم السامرائي، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، د.ت.
[2] J. Stetkevych, the modern Arabic literary language, 1970, P : 114.
[3] N. Bezirgan language and reality in the Arab world, 1973.
[4] ازدواجية اللغة، د.محمد راجي الزغلول.

والمهتمين بالظواهر اللغوية في الغرب، وهما ما يسميان بعربية المثقفين ***(Educated Arabic)*** والعربية الحديثة ***(Modern Standard Arabic)***

ج- عربية المثقفين:

عربية المثقفين ***(Educated Arabic)*** مصطلح جديد لنماذج العاميات الإقليمية، وداخل الإقليم الواحد ممزوجة مع الفصحى في كلام المتعلمين – وذلك موضوع بحثنا أو من أقطار عربية مختلفة حينما يجتمعون، وفي مقالة **عبد الرحيم يوسي** 1995، أطلق عليه مصطلح عربية المغرب الوسطى [1].

وقد قام بدراسة تحليلية لهذا النمط عدة باحثين، نخص بالذكر منهم ثلاث دراسات قام بها " **حاييم بلانك** " (1960-***Blank***) عندما حلّل كلام أربعة من الطلبة العرب القادمين إلى أمريكا و" **شعبان** " 1978 ***(Shaban)*** الذي حلّل كلام ستة من الطلبة العرب (لبنانيان، وسعودي، وعراقي، وعماني، وتونسي) و**زغلول** (1980 ***(Zaghloul)*** الذي حلّل كلام عشرة من الطلبة العرب (سعودي ومصريان، وعراقي، وجزائري، وأردنيان، وسوداني، وعمّاني، ومغربي [2] وأفضت النتائج إلى أن عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها، خاصة في مجالي الأصوات والقواعد والركون إلى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار، وبلد المتكلم، ومعرفته باللهجات الأخرى.

ح- العربية الحديثة : أو ما يطلق عليه في الغرب بـ ***(Modern Standard Arabic)*** أو ***(Neo-Classical Arabic)*** لقد تطور هذا النمط من العربية بنمو الصحافة وتطورها وانتشار وسائل الإعلام، ويقصد به تلك النوعية من العربية التي تكتب بها الصحف، وتذاع بها نشرات الأخبار والبرامج الثقافية في الإذاعة والتلفاز. يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى،

[1] محمد المحزمي، نيبال والصعود إلى قمة إفرست، مجلة العربي، 1999.
[2] ازدواجية اللغة، د.محمد راجي الزغلول.

وما هو إلا تبسيط للفصحى من بعض الجوانب، وذلك ليكون الكلام مفهوما لأي عربي يجيد القراءة والكتابة، وهذا ما سمّاه الأدباء العرب "لغة الجرائد". يتميز هذا النمط بالميل إلى استخدام الشائع من الألفاظ، ويتميز كذلك بتأثره البالغ باللغات الأجنبية وبخاصة اللغتين الفرنسية والانجليزية التي يترجم عنهما الكثير للصحافة والتلفزة، وإذا عدنا إلى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات الألفاظ الجديدة المولدة والمعرّبة وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص في المعنى، غير أن اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عدّ الجديد من الفصيح"[1].

وقد شملت قائمة الألفاظ الجديدة في العربية الحديثة كلمات أصلها أعجمي، وكلمات عربية تم نحتها لتؤدي معاني جديدة؛ يحصر "السّامرائي" من الفئة الأولى كلمات الإمبريالية والبرجوازية والديمقراطية والكولونيالية، ومن الفئة الثانية الفوضوية والعميل / عملاء والرجعية والرأسمالية والثورية والجمهورية والتقدمية والانتهازية والانهزامية والإنتاجية، كذلك يبين هذا النمط بما أسماه اللغويون في الانجليزية (***Calques***) وهي تعابير مترجمة إلى العربية بحروفها من الانجليزية أو الفرنسية، وقد رصد السامرائي في كتابه "تنمية اللغة العربية في العصر الحديث " عددا كبيرا من إعداد هذه العبارات المتزايدة يوما بعد يوم في العربية، ومن أمثلة ذلك :التعابير التالية : يمثل الرأي العام، ويسهر على المصلحة العامة، وذر الرماد في العيون، وقتل الوقت، يلعب دوره، وبدوره، وعلى قدم المساواة، وحجر عثرة، ولعب الورقة الأخيرة، ويلعب بالنار، ويصطاد في الماء العكر، وتوتر العلاقات، والضحكة الصفراء، وكرّس حياته، والضرورة الملحّة، ووضع النقاط على الحروف، والأوساط المطّلعة، والدوائر العليا، ومسك العصا من الوسط، مؤتمر المائدة المستديرة، الأكثرية السّاحقة، ويلقي ضوءا على هذه المسألة، والشخصية البارزة...الخ.

[1] إبراهيم السامرائي.

وممّا يثير الانتباه هنا هو أن أي دعوة انفصالية إقليمية تتسلح بسلاح تجزئة اللغة العربية بالدعوة إلى استعمال العامية، وعكس ذلك أي الدعوات الاتحادية التي يهمّها أن تبقى على وفاق تام مع العروبة والإسلام، فإننا دائما نجد الدعوة إلى وحدة اللغة أحد أهم أركان الدعوة ، ويصدق ذلك على أجزاء كبيرة حاول الاستعمار أن يقتطعها كلّيا من الوطن الأم، إذ تعرضت لجميع صنوف الاضطهاد الفكري واللغوي والحضاري بقصد ضمّها إلى الدول الاستعمارية ، ألا وهي شمال إفريقيا، وهذا تأييد مطلق للفرضية القائلة أنذ أولئك الذين يطمحون للانفصال يدعون للتجزئة، وأولئك الذي يدعون للوحدة والتماسك يتمسكون بالعربية ووحدتها، يقول"شحنة" في بحث الوضع اللغوي في شمال إفريقيا. ''كان الاهتمام الشمال إفريقي بالعربية يتركز على الاعتراف بها كلغة للشعب والدولة، ودون تأكيد على عملها كأداة للاتصال، إذ أن عددا من قادة الحركات الاستقلالية كان أكثر طلاقة وقدرة في التعبير في الفرنسية لا بالعربية [1]. لقد توقعت دول شمال إفريقيا العربية أن تواجه صعوبات جمّة في التعريب وخاصة الجزائر وتونس والمغرب،إذ تضافرت الجهود بكل حيوية واندفاع نحو التعريب الشامل، يقول " شحنة" مرة أخرى في هذا الصدد: "لم تضعف جهود الشمال إفريقيين في سبيل تحصيل تعريب تام وكامل، فحال حصول تلك الدول على الاستقلال أعيد تأسيس العربية كلغة رسمية وشعبية، واتبعت جميع الطرق لإعادة حيوية اللغة، بتأسيس مدارس متعددة وبنشر الدوريات والكتب، وفي السنوات القليلة الماضية أصبح الشمال إفريقيون واعين بالمشكلة اللغوية، ودأبوا في المحاولة لإيجاد الطرق لحلها، كما يثبت ذلك المؤتمر العربي المنعقد في الرباط عام 1961.

وفي الأخير، نقول أنه إذا كان وضع الديغلوسيا طبيعيا في معظم لغات العالم، فلماذا يكون هذا الوضع " غير طبيعي "أو عائقا – كما يزعم البعض – للتقدم في البلاد العربية؟

[1] ازدواجية اللغة، طبيعتها ومشكلاتها، د.محمد راجي الزغلول.

ربما يعزى ذلك لسببين رئيسين : أوّلهما ازدياد الهوة بين الفصحى واللهجات نتيجة العوامل التاريخية السالفة الذكر، حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثير من الباحثين، قد بلغ ذلك الاختلاف حدّا أصبح الكثير يعتقد أنهما مختلفتان فعلا وثانيهما،أنه رغم استقلال الدول العربية وتبنّي اللغة العربية رسميا وشعبيا، إلاّ أن الاعتماد على اللغات الأجنبية لا يفتأ كبيرا، ولا زال شائعا في مختلف القطاعات.

3 :الديغلوسيا كشكل من أشكال التنوع السوسيولساني:

إن وجود لغة أدبية بجانب لغة التداول اليومي يشكل مسألة هامّة بالنسبة للمجموعة الكلامية فهذا النوع من المساءلات أثار جدلا كبيرا بين المهتمين، فرغسون مثلا، والذي يعد من الأوائل الدارسين لمثل هذه الظواهر والمعروفة بالديغلوسيا والذي درس بالموازاة مع العربية، لغات أخرى لها نفس الخصائص العملية كتلك المتداولة في سويسرا، اليونان وجزيرة هايتي، إذ نجد نمطا أو شكلا لغويا يستعمل للتداول اليومي بالموازاة مع لغة مكتوبةخاصة تستعمل لأغراض رسمية، وهذا ما أقره فيرغسون بقوله:

''...a relatively stable language situation in which, in addition to the primary dialects of the language (which may include a standard or regional standards) there is very divergent,highly codified (often grammatically more complex) superposed variety, the vehicle of a large and respected body of written literature, either of an earlier peer or in another speech community, which is learned largely by formal education that is used for most written and formal spoken purposes, but is not used by any sector of the community for ordinary conversation''[1]

بمعنى: ""بالاضافة الى الوضعية اللغوية المستقرة، و التي زيادة على مختلف لهجات اللغة، يوجد شكل لغوي مختلف و معقد، و الذي يعد أداة الكتابة الأدبية، و التعليم، و ليس مستعملا في مختلف التداولات اليومية"".

[1] C. Fergusson, dialect reality and language, 1959, P : 245.

عندما استعمل فرغسون مصطلح الديغلوسيا لأوّل مرة سنة 1959، كان يريد أن يصف الشكلين اللغويين على أنهما مجزآن إلى سياقين مختلفين يستعملان لأهداف مختلفة، الشكل اللغوي الرسمي، يرمز له بـ « H » أما الشكل اللغوي الأقل رسمية، أو اللهجة المنطوقة فيرمز له بـ « L » في العديد من السياقات الشكل اللغوي « H » هو الوحيد المسموح به وفي سياقات أخرى يستدعي السياقات استعمال الشكل اللغوي « L » أمّا فيما يتعلق بديغلوسيا العربية فستدرس بالمدارس وتظهر كأداة في المساجد والبرامج التليفزيونية، والأدب كوسيلة أدبية من جهة، أماالشكل اللغوي الأخر « L » بالمقابل فيتداول به للإستعمالات اليومية العائلية وغير الرسمية بما في ذلك السوق، الشارع والمقاهي، و قد حدّد فيرغسون تسعة أماكن لأوجه الاختلاف بين الشكلين اللغويين، الوظيفة، الشهرة أو المقام، الموروث الأدبي، الإكتساب، المعيارية، الثبات، النحو، المعجم، والصوت ويقصد بهذه الميزات ما يلي:

أ- **الوظيفة:**

يوجد سياقات استعمال تلائم استعمال الشكل اللغوي الرسمي « H » وأخرى يكون فيها استعمال الشكل اللغوي الأقل رسمية « L » أكثر ملائمة للأتصال .

ب -الشهرة أو المقام:

المتكلمون يرون أنّ الشكل اللغوي الرسمي أفضل من دونه، « L » في مواطن مختلفة.

فالشكل اللغوي « *H* » يعتبر أكثر أدبية، أخلاق، منطقي، وأكثر ملائمة وجمال للأعمال الأدبية.

ت-الموروث الأدبي:

للمكتبات الأدبية بالشكل اللغوي الرسمي شيء جوهري محترم مكنون داخل الجماعة الكلامية.

ث-الاكتساب:

إنّ الشكل اللغوي غير الرّسمي يتوزع ثقافيا من جيل إلى آخر، ومن ثمة يستعمل الراشدون هذا الشكل للحديث مع أبنائهم، ومجموع أفراد الجماعة الكلامية يستعملون للحديث مع بعضهم البعض، أمّا الدراسة الحالية للشكل اللغوي الرسمي فلن تتم إلا بواسطة الدراسة الأكاديمية، يقول **رومان** ***''Romaine''*** في هذا السياق: "

''the separate locations in which ''H'' 'and ''L'' are acquired immediately provides them with separate institutional support systems. ''L'' is typically acquired at home as a mother tongue and continues to be used throughout life. Its use is also extended to other familial and familiar interaction. ''H'' on the other hand is learned later through socialization and never at home. ''H'' is related to and supported by institution s outside the home'' (Romaine: 1993: p:33) ا

بمعنى:""السياقات التي يتم فيها اكتساب الشكليين المختلفين يمدون المتعلمين بنظامين للاستعمال، فالشكل غير الرسمي ***"L"*** يكتسب في المنزل كلغة أم ويستمر ليستعمل كلغة للتبادلات العائلية، أما اللغوي الرسمي ***"H"*** يتعلّم لاحقا عبر الحياة الاجتماعية والدراسية وليس داخل المنزل فالشكل مربوط ومدعم بمؤسسات خارج المنزل"".

ج-المعيارية:

لكلّ شكل لغوي رسمي معايير تضبط طريقة نطقه، نمو مفرداته والتي تسمح بتنوع طفيف وفق حدود معلومة لهذا الشكل اللغوي***"H"***، هذا فضلا عن وجود دراسات أكاديمية وكتب النحو، و قواميس لتحديد النطق وأساليب الاستعمال الخاصة بالشكل اللغوي الرسمي ***''H''***

ح-الثبات:

إنّ ثبات الديغلوسيا يرجع إلى قرون مضت، والبديهي في بعض الجماعات الديغلوسية يبين جليا أنها تدوم لآلاف السنين.

خ-النحو:

للشكل اللغوي الرسمي "***H***"تراكيب نحوية لا توجد في الشكل اللغوي غير الرسمي "***L***" ممّا يعطي فكرة حول نظام الأفعال والأسماء والذي لا نجد له مثيلا في نظام آخر.

د- المعجم:

يحوي الشكل اللغوي الرسمي ضمن معجمه تقنية وتعابير لغوية لا يوجد لها معادل بالشكل اللغوي الآخر، بالمقابل توجد مفردات وألفاظ شعبية وأسماء لأدوات منزلية والتي لا يسمح باستعمالها في الشكل اللغوي الرسمي.

ذ-الصوتيات:

إن النظام الصوتي لدى الشكلين اللغويين مختلفا بقدر ما هو متشابه، فالشكل اللغوي الرسمي في العالم العربي هو العربية الكلاسيكية "***CA***" أو الفصحى، أما الشكل اللغوي غير الرسمي فيسمى " العامية " أو الدارجة.

ولذلك يمكن أن نعتبر الديغلوسيا نتيجة للمضايقة الاجتماعية، الثقافية أو السياسية للفرد؛ الفكرة هي أن سيطرة بعض الجماعات من الأشخاص على أشخاص آخرين أدّى إلى سيادة شكل لغوي على شكل آخر داخل نفس الجماعة.

بالنظر إلى البعد الكلاسيكي للجماعات الديغلوسية، فالسياق الجزائري شهد حالة أكثر تركيبا من نظرية فيرغسون للعالم العربي، فصعوبة وتعقيد الجماعات الكلامية في الجزائر

والتي تعزى إلى تشابك أربعة أشكال لغوية وهي العربية الجزائرية، العربية الفصحى، الفرنسية والامازيغية، هذا التشابك ينتج عنه توازيع ديغلوسية مختلفة بين الشكل الرسمي ''H'' وغير الرسمي "L"

- العربية الفصحى مقابل العربية الجزائرية ***(Intralingual Diglossia)***.
- الفرنسية مقابل العربية الجزائرية ***(Interlingual Diglossia)***
- العربية الفصحى مقابل الامازيغية***(Interlingual Diglossia)***
- الفرنسية مقابل الامازيغية ***(Interlingual Diglossia)***

الجدول التالي لمجمل ما سبق حول الاستعمال اللغوي والديغلوسي في مختلف المجالات

مجال الاستعمال	الاستعمال اللغوي											
	وسيلة منطوقة						وسيلة مكتوبة					
	اللهجة الجزائرية	العربية الفصحى	العربية الكلاسيكية	الفرنسية	الامازيغية	الانجليزية	اللهجة الجزائرية	العربية الفصحى	العربية الكلاسيكية	الفرنسية	الامازيغية	الانجليزية
الخطاب السياسي	−	+	+	−/+	−	−−						
الإدارة	+	−	−	+	−	−−						
الدين	+	+	+	−	+/−	−−	−−	+	+	−	−	−
التعليم	+/−	+	−	+	−	+	−−	+	+	+	−	−/+
الوثائق							−−	+	+	++	−−	+
الاقتصاد/ الصناعة	+	−	−	++	−	+	−−	−	−	++	−−	+ /−
النشر							−−	+	−	++	−−	−
الصحافة الوطنية	+/−	+	+	++	+/−	−−	+/−	+	−	++	−−	−
الصحافة الأجنبية							−−	−	−	++	−	−−
الإشهار	+	+	−	−	+ /−	−−	+/	+	−	+	+/	−−
الوثائق العمومية							−−	−/+	−	+	+/−	+/−
البرامج الاذاعية	+	+	−	+	+	−−						
البرامج التلفزية	+/−	+	+	+	−/+	−						
السينما	+	−/+	−	+	−	−						

المسرح	+	−	−	−	+/−	−							
المحادثة اليومية	++	−	−	−/+	+/−	−							

مجالات الاستعمال اللغوي في الجزائر[1]

كان تداخل استعمال المفردات أو أنواع اللغة العربية لفرغسون محل انتقاد واسع من قبل العديد من اللسانيين، **فكاي *(Kaye)*** 1981 على سبيل المثال يرى أنه من الأفضل أن نستعمل مصطلح العربية الرسمية الحديثة (***MSA***)عوض العربية الكلاسيكية ***(CA)*** لأن هذه الأخيرة لا تستعمل في التداولات اليومية كوسيلة للتواصل وليست اللغة الأم لأي متكلم للعربية في العالم، إنها محصورة في الشؤون الدينية " العربية الرسمية الحديثة " أيضا، لا تكتسب كلغة أولى، لكنها منتشرة كلغة للآداب عبر وسائل الإعلام في العالم العربي.

اعتبارا للديغلوسيا الجزائرية المتداخلة، يوجد اتفاق بالنظر إلى التغيير من العربية الكلاسيكية إلى العربية الرسمية الحديثة. اقترحت بن غيدة سنة 2006 الشكل الآتي لتوضيح أهم أشكال اللغة العربية المتداولة في المجتمع الجزائري.

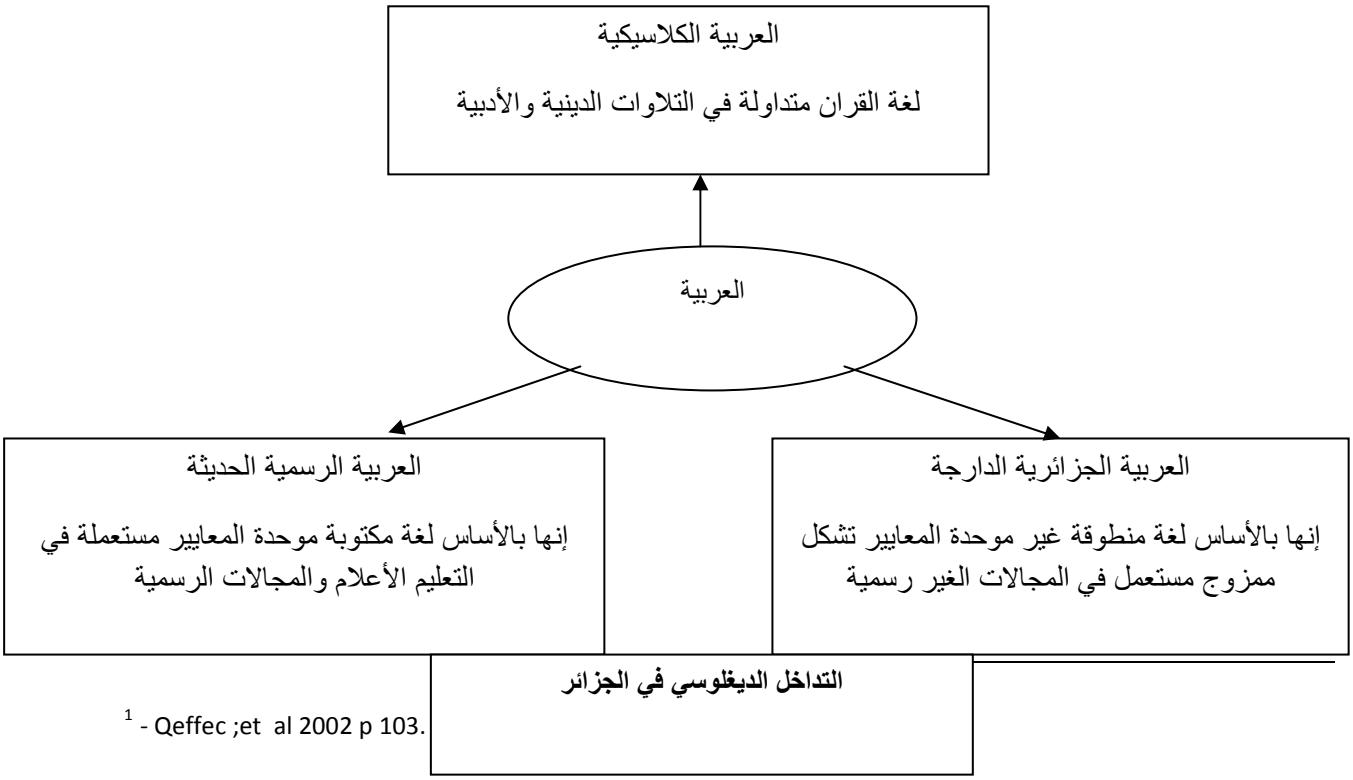

[1] - Qeffec ;et al 2002 p 103.

وخولة طالب إبراهيمي بالمقابل، وفي تحليل لمكونات الديغلوسيا الجزائرية، أقرت بوجود تكامل خمسة أشكال في سلسلة تبدأ من الأكثر توافقا إلى الأقل " الفصيح "، وفي هذا الإطار وصفت الصّراع اللغوي للديغلوسيا العربية في الجزائر، بالنظر إلى مراتبها على الشكل الآتي :

العربية الكلاسيكية .

العربية المعيارية.

العربية غير الرسمية .

منطوق النخبة المثقفة .

اللهجة العربية [1] .

بالفعل تقسيم خولة طالب الإبراهيمي كان مؤسّسا، ليس على أرضية لغوية فحسب، وإنما من الأعلى إلى الأسفل حسب معيارها، والأمرّ هو أن الصراع اللغوي المقترح هو تجلّي صراعات أخرى على المستوى الوطني، وتعزى هذه الصراعات إلى مسائل سياسية ثقافية، واجتماعية والتي هي جزء من المجتمع الجزائري، ضف إلى ذلك أن هذا الترتيب، يترابط مع مجالات استعمال معينة؛ أي يوجد رابطة وثيقة بين الشكل الأعلى والمرتبط بمجالات رسمية كما سبقت الإشارة وشكل لغوي آخر، رمز له بـ "ل" والذي يتداول في مجالات أقل رسمية؛ لكن ما هي الأسباب الحقيقية يا ترى من وراء هذا المزج بين الشكلين؟

[1] Khaoula Taleb Ibrahimi, Les algériens et leur (s) langue (s), El Hikma, 1995, P : 87.

السبب الأول:

يرجع بالأساس إلى أن التلاميذ والطلاب الجزائريين تعلّموا باللغة العربية الكلاسيكية لجيلين، وعلى الرغم من استعمالهم للعربية الدارجة في التداولات اليومية، إلا أنهم يغيرون شكلهم بعفوية إلى العربية الفصحى أو يخلطون بين الشكلين وذلك لأنه ليس لهم بديل ولضرورة المفردات والبنيات اللغوية للتعبيرعن أفكارهم، وهذا ما نلاحظه جليّا من خلال حديث النخبة المثقفة للجيل السابق حيث يغيرون شكلهم اللغوي إلى الفرنسية عند الحديث عن مواضيع علمية أدبية أو سياسية .

اليوم وكنتيجة للمجهودات المبذولة من الدولة، وعلى ضوء سياسة التعريب، فالتحوّل من شكل لغوي الى آخر يحدث في معظم الأحيان باتجاه اللغة العربية الحديثة وخاصة على المستوى المعجمي، فتراك تسمع التلاميذ أو الطلبة يتحدثون عن تمرين في الرياضيات أو العلوم أو الفيزياء أو حتى مشكل أدبي باللغة التي تلقوا بها الدرس والتفسير البديهي لهذه الحالة هو أن هؤلاء الطلبة لا يجدون المفردات أو الكلمات المناسبة في اللغة العربية الجزائرية، فاللغة تستعمل تبعا لحاجة الاستعمال لا للمستعمل، كما قال **دوانز**:

:''According to use rather than user''[1]

السبب الثاني:

هو أن الأخبار وخاصة عبر التلفاز أصبحت عادة لدى الشباب من خلال مناقشة مختلف المواضيع المطروحة وذلك عبر العربية الفصحى الحديثة تارة والدارجة تارة أخرى، زد على ذلك مختلف القنوات العربية وتطرقها لمختلف المواضيع أو الأفلام الدينية والتاريخية للإسلام.

[1] William Downes, Language and society, Cambridge, 1998, P : 309.

السبب الثالث :

هو أنّ العربية الكلاسيكية شديدة الارتباط بعقول الناس من خلال المسائل الدينية كالقرآن والسنّة مثلا فخطبة الجمعة عادة ما يعلق عليها خارج المسجد بخليط من العربية الكلاسيكية والعربية الفصحى الحديثة؛ إنه لمن المهم الإشارة الى المسائل المتعلقة بالمبادئ الإسلامية والسيرة النبوية حيث لا يمكن أن تناقش كليا بالعامية، هذا التصرف اللغوي، ومما زاد من تعقيده حسب واردوغ عاملين : الأول هو التقدم والتطور الأدبي، والثاني هو الحاجة للغة وطنية موحدة .

''People living in a diglossic community do not usually regard diglossia as a ''problem''.It becomes a problem only when there is a growth of literacy.When there is a desire to decrease regional and/ a social barriers, or when a need is seen for a unified ''national'' language. [1]

بمعنى: ""الناس الذين يعيشون في جماعات ديغلوسية لا يرون الديغلوسيا على أنها مشكلة. تصبح مشكلة فقط عندما يكون هنلك نموّ أدبي، أو تكون هناك نية لتخفيض الحواجز الجهوية و الاجتماعية، أو هناك ضرورة لتوحيد لغة وطنية"".

هذا الاستعمال والتصرّف العفوي للغة يعطينا فكرة حول العلاقة الدينامكية بين الديغلوسيا والازدواج اللغوي .

4 :التعدّد اللغوي:

تتعدد الأشكال اللغوية زمنيا، إذ تسمّى التعدد الزمني أو التباين المتزامن؛ بالمقابل يرجع إلى التعدد اللغوي في وقت محدد، فالتعدد الذي يصبح معقدا إذا ما أخذنا صورة اللغة في زمن معين، وهذا التعدد المسند إلى عوامل اجتماعية، التموقع الجغرافي، الخلفية السوسيو

[1] R. Wardaugh, An introduction to sociolinguistics, oxford, 1992, P : 18.

اقتصادية، الخلفية العرقية الثقافية، المستوى التعليمي، نوع/جنس المتكلم، سنه، إضافة إلى سياق ووضع المتكلم، من هو المتكلم؟ حول ماذا؟ وأين؟

كما سبقت الإشارة، فما يجعل الحالة اللسانية بالجزائر جد معقدة هو تشابك الظواهر اللسانية كالديغلوسيا والازدواج اللغوي، على الرغم من أنه على المستوى الفردي، فدرجة الكفاءة في ظاهرة لغوية أو في الممارسة لكلتا الظاهرتين يتوقف على العوامل السوسيو ثقافية كالمستوى التعليمي، الخلفية السوسيو اقتصادية، السّن وربما أكثر من ذلك الدافع والموقف المتخذ اتجاه اللغتين، في كل حالة فالنتيجة البديهية لكل الجزائريين – حتى غير المثقفين منهم – يستعملون ويفهمون على الأقل عددا لا بأس به من الكلمات والعبارات من العربية الفصحى واللغة الفرنسية على حد سواء في تداولاتهم اليومية – ولذلك يمكن اعتبار الجماعة الكلامية كجماعة ديغلوسية ومزدوجة اللغة، وهذا ما جاء به **هامر** و**بلانك** :

''Every bilingual community is situated between the two poles of a continuum,ranging from a set made up of two unilingual groups each containing a small number of bilinguals to a single group with a more or less large number of members using a second language for specific purposes'' [1]

بمعنى: فالمجتمعات متعددة اللغات تتميز بمعايير تعرف بتصرف مزدوج أو متعدد اللغات وتفضي إلى أنّ كل مجتمع يتميز بتواجد مجموعة من اللغات ينحاز أفراده إلى استعمال لغة ثابتة لأهداف وأغراض معينة"".

فالمجتمع ذو الازدواج اللغوي الجماعي المتوازن على سبيل المثال يتكون من عدد من الأفراد يتكلمون لغتين لأغراض مختلفة، أو يخلطون فيما بينها حسب معايير الاستعمال، لكن السؤال المتعلق بمستوى الكفاءة عند مزدوجي اللغة، داخل المجتمع وكذا موقعهم

[1] C. Deborah, gender difference in verbal communicative behaviour, 2010, P : 31.

وعلاقتهم باللغة الأخرى عكس اللغة الأم يجعل من الازدواج اللغوي ظاهرة جدّ معقدة. إذا على أي أساس يمكن لنا أن نصف الازدواج اللغوي بالجزائر؟

نماذج الاستعمال اللغوي في مجتمع مزدوج اللغة بعيد من أن يقارن باستعمالات مجتمعات أخرى تكون فيها اللغتين المستعملتين **رسميتين**، كالفرنسية والانجليزية حيت تكتسب هذه اللغات كلغة أم من قبل مجموعات من السكان، تعلّم في المدارس ويتكلم بها بكل طلاقة حسب المكانة الاجتماعية للمتكلمين أو آداب السياق.

''In certain provinces of English Canada , for instance, bilingual individuals use one form or another (standard or dialectal) of either English or French''(2)

بمعنى: ""فبعض الأقاليم مثلا، انجليزية كندا، الأفراد مزدوجي اللغة يستعملون نوعا واحدا، إما(رسمي أو لهجي) للانجليزية أو الفرنسية "".

لكن الازدواج اللغوي في الجزائر يعرض أمثلة معقدة من التداخل الثنائي الديغلوسي وإليك مثالا عن الشكل الأعلى للعربية " ***H*** " حيث يستعمل هذا الأخير من قبل النخبة المثقفة، بالشكل نفسه الذي يستعمل اللغة الفرنسية ليشرح أي موضوع .

حتى أواخر السبعينات من القرن الماضي، كانت اللغة الفرنسية هي الأداة المستعملة للتدريس وكنتيجة لذلك أصبح عدد كثير من الشباب مزدوجي اللغة العملي؛ أي أنهم يستعملون الفرنسية داخل المدرسة ولكن خارج المدرسة يستعملون العربية الجزائرية، على الرغم من درجات التنوع والتي تتوقف بطبيعة الحال على المستوى التعليمي للمتكلم، لكن وعلى الرغم من كل هذا حلت اليوم اللغة العربية موضع الفرنسية في كل المستويات التعليمية باستثناء بعض التخصصات العلمية والتكنولوجية.

‘’The alteration of all these codes, i.e., the varieties of the Arabic continuum (and Berber in some areas), with French and their mixing has become an inherent characteristic in the linguistic behaviour of Algerian speakers.’’ *(1)*

بمعنى: ""تغيير كل هذه الأشكال اللغوية (العربية، و الأمازيغية في بعض المناطق) بالفرنسية و مزجها؛ أصبح ميزة وراثية في التصرف اللغوي للمتكلم الجزائري"".

وهذا ما تؤكده خولة طالب الإبراهيمي.

‘’Le locuteur algérien, comme le locuteur arabophone en general, va donc constamment ses rapports à la langue arabe du pole positif au pole negative, écartelé qu’il est entre sa fidélité à l’authenticité du modèle, au passé et aux valeurs du patrimoine que lui transmet sa propre langue et l’attirance vers la modernité de ce siècle qu’il espère pouvoir atteindre fut-ce à travers la langue de l’autre’’ *(2).*

بمعنى:""ملاحظة بسيطة للحالة اللغوية الآتية تعكس درجة تقلب المتكلمين الجزائريين من قطب لآخر منقسمين بين لغة القيم الدينية والموروث الثقافي (لكن عادة ما تعتبر لغة مسؤولة عن التقهقر والتخلف) واللغة الفرنسية – اللغة الشريكة بالتقدم والعصرنة والانفتاح على الغرب – لكنها تذكر بأوقات الاستعمار، الاضطهاد، والظلم تجاه الشعب الجزائري""

تجدر الإشارة هنا إلى أنه يجب التفريق بين مهارات الاستيعاب ومهارات الإنتاج فيما يتعلق باللغتين اللتين يتكلمها الجزائريين بالنظر إلى لغتهم الأم، إنّ درجة الكفاءة في التكلم بفاعلية وفهم كل من اللغة الفرنسية واللغة العربية الفصحى يتغير تبعا لعوامل عديدة لعل أهمّها : المستوى التعليمي والمكانة السوسيواقتصادية للمتكلم، فكفاءة الناس تقاس حسب التوازن بين اللغتين على الرغم من أنهم أكثر كفاءة في الاستيعاب منه في الإنتاج خاصة فيما يتعلق باللغة العربية الفصحى.

[1] G. Grandguillaume, l’arabisation et la question des langues en Algérie, 1983, P : 67.
[2] Khaoula Taleb Ibrahimi, Les algériens et leur (s) langue (s), El Hikma, 1995, P : 86.

أما فيما يتعلق باللغة الفرنسية، فنجد حوالي تسعة وأربعين سنة من ذهاب الاستعمار الفرنسي، لازالت محافظة على وضعها بالنسبة للصحافة المكتوبة أو المسموعة وهذا ما يفسّر استعمال البعض للغة الفرنسية في تداولاتهم اليومية وخلطها مع العربية الجزائرية بطريقة عفوية، واللغة الفرنسية تبقى متمسّكة بمركزها في الجزائر، محافظة على هذا النوع من الازدواج اللغوي والذي يطلق عليه الازدواج اللغوي الاجتماعي العام من جهة والازدواج اللغوي الفردي من جهة أخرى، وهذا ما اقرّه **هامر** و**بلانك** (2000) حين قال:

''The concept of bilingualism refers to the state of a linguistic community in which two languages are in contact with the result that two codes can be used in the same interaction and that a number of individuals are bilingual (societal bilingualism) but it also includes the concept of bilinguality (or individual bilingualism). Bilinguality is the psychological state of an individual who has access to more than one linguistic code as a means of social communication.'' [1]

بمعنى:"يقصد بمصطلح الازدواج اللغوي : الحالة اللغوية لجماعة ما أين يوجد اتصال بين شكلين لغويين يستعملان في نفس الاتصال وعدد من الأفراد من هم مزدوجي اللغة يطلق عليهم الازدواج اللغوي الجماعي) ويحوي كذلك مصطلح الازدواجية (الازدواج اللغوي الفردي) الازدواجية هي الحالة السيكولوجية للفرد الذي له منفذ لأكثر من شكل لغوي كأداة للاتصال الاجتماعي"".

إذن،إذا كان هناك داعي مهمّ لدراسة الازدواج اللغوي بين الاختيار الشعوري واللاشعوري، فالحالة في الجزائر أصبحت أكثر تعقيدا، ولكنها أكثر أهمية في الوقت ذاته وذلك بوجود ظاهرتين لغويتين جنبا إلى جنب، اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية.

[1] V. Bergvall, the sociology of language and culture, New York, 2004, P : 16.

لكن الازدواج اللغوي بالجزائر ليس متجانسا بحكم أنه ليس كل السكان مزدوجي اللغة فالجزائريون ينوّعون درجات كفاءة الازدواج اللغوي، كفاءتهم للاتصال بالفرنسية تتنوع من الاستعمال الضرفي للأشكال الفرنسية والافتراض، لا يوجد أي متكلم أحادي اللغة حيث إن الافتراض من اللغة الفرنسية ظاهرة شائعة في العربية الدارجة والامازيغية على حدّ سواء .

فضلا عن ذلك فالازدواج اللغوي الجزائري ليس لا ثابت ولا موحّدا، فالجزائريون ليسوا متوازني الازدواج كما أنهم ليسوا متساوي الكفاءة في اللغتين المستعملتين، زد على ذلك فإنهم لا يتحكمون في المهارات الأربعة للغة (سمعي – محادثة – قراءة– كتابة) في هذا السياق أقيم تمييز بين مزدوج اللغة الفعلي ***(Active)*** وهو الذي يفهم، يتكلم وحتى يكتب اللغة التي ينحاز إليها ومزدوج اللغة الثابت ***(Passive)***، وهو الذي يفهم اللغتين ولكن يتكلم لغة واحدة بدقة دون أن يستطيع أن يكتب أو يقرا اللغتين، فوضع الازدواج اللغوي في الجزائري يميل إلى أن يكون على الشكل الآتي كما لخصه **ملياني** (1986):

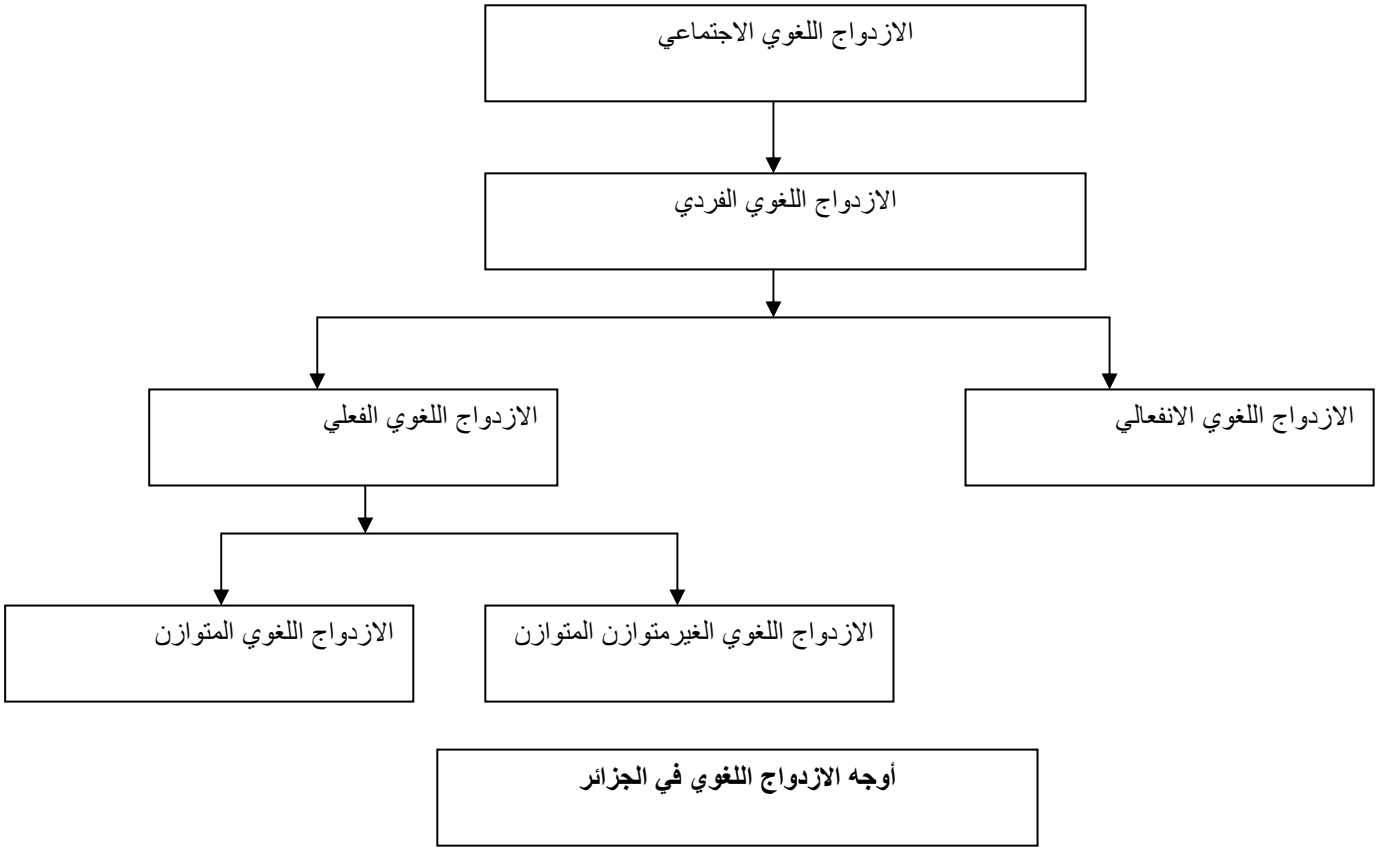

1.4 :الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة:

اللغة كما قال الدكتور عبد السلام المسدي هي " استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرّس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع يسمى " علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهراللغوية المختلفة [1]. فالإنسان لا يولد متكلما بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه، فمن نشأ في المجتمع الألماني يكتسب الألمانية، كما أن للتقليد والمحاكاة دورا كبيرا

[1] اللسانيات من خلال النصوص، د.عبد السلام المسدي، ط:1، الدار التونسية للنشر، 1984، ص: 172.

في اكتساب اللغة، ذلك أن الطفل يكتسب اللغة من الجماعة اللغوية التي يعيش بينها بكل سمات وملامح الواقع اللغوي لهذه الجماعة من صحة أوخطأ.

ونظرا للأهمية التي تحضى بها اللغة في المجتمع، نالت اهتمام الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم، فأغلبهم علماء اللسان، وعلماء الأنثربولوجيا وعلماء الجغرافيا وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، ومن ثمة سوف أقف على توضيح العلاقة التي تربط المجتمع الجزائري بلغته الأصلية واللغة الفرنسية الدّخيلة .

فالجزائر إلى يومنا هذا لما فيها من صراعات لغوية بين أنصار اللغة العربية، وأنصار اللغة الفرنسية كما رأينا سابقا، وما تولّد عن هذا الصراع من تصادم في المصالح الضيقة التي كثيرا ماحجبت الحقيقة، ألا وهي أن تعيش الجزائر حرة عربية مسلمة.

ولكون اللسانيات الاجتماعية الحديثة تختلف في دراسة الظواهر اللغوية عن اللسانيات العامة، فهي لا تدرسها دراسة موضوعية معزولة عن البيئة اللغوية كما هو الحال للسانيات العامة، وإنما " تدرس اللغة باعتبارها " تتحقق" في " مجتمع"، أي أنها تدرس الظاهرة اللغوية حين يكون هناك " تفاعل" أي لا بد أن يكون هناك "متكلم" و" مستمع"، أو متكلمون ومستمعون، وإذن لا بد أن يكون هناك " موقف" لغوي " يحدث " فيه الكلام وتتنوع فيه " الأدوار" والوظائف وفق " قواعد " متعارف عليها، داخل المجتمع [1]، فيا ترى ما هي أسباب تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة؟

في حقيقة الأمر يوجد أربعة عوامل رئيسية كانت وراء ميلاد الظاهرة داخل مجتمع موسوم بأنه عربي.

[1] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط: 3، 1997، ص: 125.

أمّا **العامل الأول** فهو تاريخي حيث أنه كان للاحتلال دور في تكريس الازدواجية اللغوية وذلك بأساليب مختلفة، سواء أكان ذلك احتلال الاستعمار الفرنسي للجزائر لما يزيد عن مائة وثلاثين سنة (130)، وبعض الدول المغاربية، أم احتلال آخر لدول عربية أخرى، " وتلك الصيحات المتعالية المحذرة من خطر التعامل باللغة العربية الفصحى، واصفة إيّاها بأبشع الصفات، ومحمّلة إياها أسباب تخلف المجتمع العربي برمته[1].

ليأتي دور **العامل الثاني** والذي هو سياسي ودوره في تكريس هذه الازدواجية، وذلك لغياب الإرادة السياسية الشاملة، ووجود الفرانكفونية التغريبية متمثلة في وجود بعض الدوائر الجزائرية الرسمية الفاعلة، التي تصدت بكل ما أوتيت من قوة في وجه بعض النيات الصادقة التي حاولت إعطاء بعض اللغة العربية في الجزائر، مكانتها اللائقة بها.

هذا دون إغفال **العامل الاجتماعي** والذي يبرز حضور اللغة الفرنسية بقوة لدى شرائح

معتبرة من الجزائريين بدرجات متفاوتة، وهذا على حساب اللغة العربية التي نعيش محيطا موبوءا أصبحت خلاله لا تؤدي أبسط وظائفها المتمثلة في التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، محذّرا من انعكاسات ذلك على وحدة الشعب الجزائري وتماسكه.

أمّا **العامل النفسي** فيبرز من خلال تأثير العامل التاريخي، والسياسي، والاجتماعي على نفسية الجزائري الذي أصبح يحس بالاغتراب والإحباط وسط أبناء وطنه وجلدته، لا لشيء إلاّ لكونه اتخذ العربية – لغة وطنية لسانا له.

وهذا النمط من الدراسة يستدعي تعريف بعض المصطلحات اللسانية كـ:

[1] الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة، د.بوزيد ساسي هادف.

1- **اللغة العربية الفصحى:** إنها لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرّسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري [1] .

2- **اللهجة** : وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي، فهي " عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة " [2] أو هي " نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز من غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامة "[3] .

وما يؤكد على أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي " علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى"[4].

و على الرغم من تعدد المصطلحات التي تطلق على لغة الحديث والتعامل اليومي نجد أحد الباحثين في هذا المجال يقول :" وإننا نفضّل استعمال كلمة (الدارجة) على (العامية) لما تتضمنه الكلمة الأخيرة من دلالة طبقية وصفات تحفيزية، استهجانية، لا تليق بالبحث العلمي المجرد"[5] .

أما عن المعايير التي تحدد إن كانت هذه اللغة لهجة أو فصحى فيرجع بالدرجة الأولى إلى موقف أفراد الجماعة اللغوية من هذه اللغة أو تلك، وكيفية استخدامها وتوظيفها في مجالات مختلفة، "فإن أي نظام لغوي يتكون من أصوات تكوّن كلمات تؤلف جملا لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة في هذا الإطار، والشيء الأساسي

---

[1] فقه اللغة العربية وخصائصها، د.إميل بديع يعقوب، ط: 1، بيروت، 1985، ص: 144.
[2] في اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 2003، ص: 15.
[3] العربية وعلم اللغة الحديث، د.محمد محمد داوود، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001، ص: 64.
[4] نفسه، ص: 66.
[5] فقه اللغة وخصائصها، إميل بديع يعقوب، ص: 15.

الذي يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره لهجة أو على أنه لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا ليس في بنية اللهجة أو اللغة ما يحكم تصنيفها، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هي التي تفرض هذا التصنيف، فالنظام اللغوي الذي يستخدم في مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنّف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على مجالات الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنّف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه عامية [1] .

3- الثنائية اللغوية : ***(La diglossie)*** ويقصد بها الثنائية اللغوية في الوطن العربي يتكلم الناس في البلد لغتين الأولى العربية والتي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين، والثانية لغة محلية (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينهما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين [2].

4- الازدواج اللغوي : ***(Le bilinguisme)*** اختلف اللسانيون حول مفهوم مصطلح " الازدواج اللغوي" فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد أو جماعة ما في أن واحد، أي أنه مصطلح الثنائية، ويقصد بازدواجية اللغة " وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما في آن واحد [3] فيما أن بعض الباحثين يرفضون استعمال " مصطلح " الازدواجية الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدّلالة على شكلي اللغة العربية : الفصحى والعامية [4] ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي لا جذري وعليه فالازدواجية لا تكون إلاّ بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية .

---

[1] مدخل إلى علم اللغة، د.محمود فهمي حجازي، دار قباء الحديثة للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط: 4، 2007، ص: 18.
[2] الحياة مع لغتين، محمد عزيز مولي، الرياض، ط: 1، 1988، ص: 17-18.
[3] Jean dubois et autres, dictionnaire de linguistique, P : 65.
[4] Salim Abbou, le bilinguisme arabe-français, Liban, P : 223.

ومن بين الدروس والعبر التي تلقّاها بعض الجزائريين المشرفين على عدة مؤتمرات وتوقيع الاتفاقيات الدولية المختلفة تلك الحادثة التي تناقلتها معظم الجرائد والصحف الوطنية والتي مفادها أن " أحد المتدخلين الايطاليين في مؤتمر دولي عقد في الجزائر، وأثناء إلقائه لمداخلته باللغة الايطالية – لكونه يحب لغته ويقدّسها – لاحظ أن المترجم يترجم مداخلته إلى اللغة الفرنسية، حينئذ توقف عن إلقاء محاضرته وطالب المشرفين على تنظيم ذلك المؤتمر ترجمة مداخلته إلى اللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية في الجزائر المستقلة " مما أحدث إحراجا للمشرفين على تنظيم هذا الملتقى.

الأمر نفسه حدث مع بعض الأطراف الجزائرية الفاعلة بسبب تفضيلهم اللغة الفرنسية عن العربية في عقد الاتفاقيات مع أحد الأطراف الجزائرية الفاعلة بسبب تفضيلهم اللغة الفرنسية عن العربية في عقد الاتفاقيات وإبرام العقود، مثل ما حدث مع وفد ألماني رفيع المستوى، امتنع أن يوقع على اتفاقية مع أحد الأطراف الجزائرية لصياغتها باللغة الفرنسية، واشترط إعادة صياغتها باللغة العربية، السيناريو نفسه حدث مع وفد برلماني موريتاني عندما رفض رفضا قاطعا أن يوقّع اتفاقية مكتوبة باللغة الفرنسية مع شركة **(سوناطراك)** النفطية الجزائرية والقاضي باستغلال هذه الأخيرة لحقول نفط موريتانية إلاّ بعد أن رضخت هذه الشركة للأمرالواقع وأعادت صياغتها باللغة العربية، اللغة الرسمية للجزائرالمستقلة، وإنما طمعا في تحقيق مآربها ومصالحها.

وإذا كنّا نقلّد الفرنسيين في التحدث بلغتهم، فلماذا لا نقلّدهم في كيفية الحفاظ والغيرة عليها؟ فكما هو معلوم فإن القانون الفرنسي يعاقب المعلم والأستاذ والصحفي إذا أخطأ في نطق اللغة الفرنسية، معلمون وأساتذة وصحفيين، يخطأون في اليوم مائة مرة. فإذا كان المتخصص عاجزا عن مواصلة الحديث بالعربية والالتزام بقواعدها، فكيف يطلب من غيره

الالتزام بقواعد العربية [1] هذا بالإضافة إلى أن مسؤوليهم يعملون كل ما في وسعهم للحفاظ على لغتهم، وجعلها في مصاف اللغات العالمية التي يجب احترامها، لعل أفضل دليل على ذلك هو الموقف الشهم للرئيس الفرنسي الأسبق **(جاك شيراك)** الذي انسحب من أحد الاجتماعات بعدما وجد أن اللغة الفرنسية مغيبة عنه .

تجدرالإشارة هنا كذلك إلى وجود بعض الدوائر الجزائرية الرسمية القوية، والتي وظّفت كل جهودها لعرقلة تطبيق قوانين تعريب العمل بالدوائر الرسمية، بدلا من لغة المستعمر السابق، ولذلك أصدر قانون تعميم استخدام اللغة العربية يوم الاحتفال بعيد الاستقلال السادس والثلاثين (5 جويلية 1998) بتوقيع الرئيس **اليمين زروال**، وجاءت المصادقة على هذا القانون بعد سنوات من تجميد قانون سابق لتعميم اللغة العربية كان البرلمان قد صادق عليه عام 1990، متحججين بنقص الكفاءات التي بمقدورها القيام بهذه المهمة، وما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد أنّ قضية التعريب في بلادنا ظلت سنوات طويلة موضوع نقاش بين طرفين لا يفهم احدهما الآخر، فكان شبيها بنقاش الصمّ الذين لا يسمع بعضهم بعضا، ولكن كل واحد يرد على الآخر يتوهم من أفكاره، أو ما يظن أنه قاله، أو ما يعتقد أنه خليق بقوله[2].

ممّا تقدم يتضح لنا أن مشكل الازدواج اللغوي في الجزائر المستقلة أصبح مشكلا عويصا يصعب حله وداءا خطيرا يجب الإسراع في معالجته من الجذور، وهذا لا يتألف إلا بتضافر الجهود، فلا يستطيع ذلك اللساني وحده، كما يستعصى على السياسي لوحده كذلك، بل يجب أن يجلس كلاهما على طاولة واحدة للنقاش الهادئ والحوار البناء، والتشاور المثمر لإخراج جرائرنا العربية المسلمة المستقلة من هذا المأزق الذي يكبر يوما بعد يوم.

[1] العربية وعلم اللغة الحديث، د.محمد داوود، ص: 267.
[2] نظرية حول سياسة التعريب والتعليم، عبد الله شريط، ص: 6.

2.4 :الازدواجية اللغوية والثقافية:

تفرض الحياة المعاصرة على الفرد أن يكون متشبّعا بأكثر من لغة واحدة حتى يتمكن من التفتح على العالم وثقافاته، وتكنولوجياته، فنجد أن معظم دول العالم قد أدرجت ولو لغة ثانية إمّا في المرحلة الابتدائية أو لاحقا خلال المرحلة الإعدادية كما هو الشأن بالنسبة للجزائر التي أدخلت الفرنسية في المرحلة الابتدائية ثم اللغة الانجليزية في الطور الإعدادي " نظرا للاعتقاد السائد حول أهميتها في وقت مبكر كما دعي له " **تيتون** " والمعروف بـ :***''bilinguisme précoce''***

أما " **مارتيني** " فيعرّف الازدواجية اللغوية على أن مزدوج اللغة يمارس استعمال لغتين وظيفتين بنفس الكفاءة وأن كل لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به، أمّا " **تيتون** " فيعني بالازدواجية اللغوية، إنها معرفة أدنى كفاءة في اللغة الثانية ومن ثم فهي القدرة على التعبير بلغة ثانية مع احترام المفاهيم والبنيات الخاصة بها دون اللجوء إلى ترجمة باللغة الأم، لكن " **اوكامبست** " يعرف الازدواجية على أنها الحالة التي تتواجد فيها لغتان جنبا إلى جنب حيث تستعمل كل لغة من طرف جماعة وطنية تمثل نسبة هامة من المجتمع، وهذا ما ينطبق على وضعية الطفل الأمازيغي المتمدرس،الذي يستعمل اللغة المحلية خارج المدرسة بينما يستعمل اللغة العربية داخلها أو عند ضرورة استعمالها.

وحسب علاقة النظامين اللغويين الأول والثاني بالنظامين الثقافيين الأصلي والأجنبي، نجد للمتكلم سجلّين لغويين.

أ-**الازدواجية اللغوية التكميلية** ***(Le bilinguisme additif)***: تستخدم اللغة الأولى مثل اللغة الثانية وكل واحدة ذات مرجع ثقافي خاص بها، إن المتكلم تجد له سجلين لغويين وثقافيين، ولا يوجد تداخل بينهما.

ب- **الازدواجية اللغوية الناقصة:** ***(Le bilinguisme soustractif)*** ويتمثل هذا النوع في تداخل دائم في استعمال اللغة الأصلية والثانية دون وعي، وتتضح في عدم إتقان أي من النظامين اللغويين.

3.4 :الازدواجية الثقافية والتثاقف:

بالرّغم من فرض الاستعمار الفرنسي نفسه وثقافته بشتّى الطرق على الشعوب المغاربة عامة والشعب الجزائري خاصة، إلا أن هذا الأخير استطاع المحافظة على قيمه العقائدية وثقافته بالرغم من احتكاك الثقافتين وتصارع اللغتين، وهذا بفضل ما بقى من الزوايا وما استنهضته جمعية العلماء المسلمين .

فاللغة هي في آن واحد فعل ثقافي في غاية الجودة وبواسطتها تنشأ وتبنى كل أشكال الحياة الاجتماعية، وتصبح ذات ديمومة، هذا على حسب رأي " **ليفي ستروس** " ***Levis‘‘ Strauss”*** وبتدقيق الملاحظة في لغة الأفراد في المدارس وحتى في الأماكن العامة، نجدها عبارة عن خليط لغوي بين العربية والفرنسية،الأمر الذي يترجم الغموض المترتب عن التناقض، فالازدواجية الثقافية لثقافتين متباينتين تتضح عند جميع الشعوب المغاربية، الأولى محافظة وذات نماذج جامدة منذ قرون، والأخرى حرة وفردانية وفي تطور مستمر وتتناقضان في عدة سلوكيات واضحة، بيد أن هناك تضارب في الآراء حول علاقة الثقافة بالاستعمال اللغوي فير البعض مثلا مثل **فرنيتشان** ***weinreich***، *أنّ* الثقافة نفسها يمكن أن تتواجد في عدة لغات، فاللغة لا تحدد الثقافة وإنما الثقافة هي التي تتنوع مع التنوع اللغوي، بينما يرى البعض الآخر كما جاء على لسان " **فيردودت** " ***Verdot‘‘ ”*** أن نفس اللغة يمكن أن تلتقي في عدة ثقافات، مع تحقق أحد الشرطين المتمثلين في كون اللغة الأم قد تعايشت واللغة الثانية دون صراع أو نبذ أو رفض، أو أن تكون الثقافة التي تلتقي فيها اللغات أكثر ثراء فيتم تبنيهما دون صراع مع العقيدة التي تنتمي إليها تلك اللهجات العربية.

و الأكثر من ذلك فلقد ذهبت بعض الدراسات الأمريكية استنادا الى الطبقة الاجتماعية ومن ثم المستوى الثقافي والكفاءة في فهم واستعمال المفردات اللغوية، وكذا مجال المفهومية وهذا ما جاءت به فرضية " **بيرنشتاين** " والتي سوف أعود للحديث عنها بأكثر عناية لاحقا، إذ أنّ **كوستيلور** و**علي** قد تمكنا سنة 1971 ومن خلال إجراءات منهجية للدراسات السابقة من إثبات أن تدرب أطفال الطبقة الفقيرة على أساليب الاختبارات المطبقة في مجالات الفهم والتعرف واستعمال المفردات، يجعلهم يتوصلون إلى تحقيق نتائج أحسن من التي يحصلون عليها من دون ممارسة، ويساندهما " **اسبيري** " في النتيجة القائلة بأن أبناء الطبقة الراقية يتعوّدون على التنوع المفرداتي في بيئتهم ولذلك يحصلون على نتائج أحسن من أولئك الفقراء الذين يستعملون ألفاظا سهلة وبسيطة.

أما " **بيرنشتاين** " ***"Bernstein"*** فخلص إلى نتيجة مفادها أن التلاميذ المنحدرين من الأوساط الشعبية يواجهون عائقا لغويا نوعيا ناتجا عن خلفيتهم السوسيوثقافية وأكّد أنّ السند اللغوي يتباين حسب العائلات، خاصة من خلال الدور الذي أعطي لها في التربية، كما يؤكد على وجود علاقة تأثير متباين بين شكل الخطاب المتعلم والسلوك اللغوي للطفل، فاللغة الشفهية هي الوسيلة الهامة التي يستبطن من خلالها الطفل الفوائد الاجتماعية، وتباين هذه الأخيرة من وسط اجتماعي لآخر يسبب فروقا كبيرة تتولد بين الأطفال المنتمين إليها قبل دخولهم إلى المدرسة .

ويؤكد مرة أخرى الباحث " **دوتش** " ***"Deutch"*** على وجود سلسلة من الظروف ذات اتجاه واحد وهي : الطريقة الاجتماعية، المستوى الثقافي أو المستوى اللغوي هم المسؤولون عن خلق فروق على مستوى القدرات الفكرية للأطفال.

فالوضع اللغوي بالجزائر يكتسي طابع التعدد، و إليه يرجع الأثر الكبير في بناء التفاوتات وفي دعمها، والمؤكد أننا في حاجة ماسّة إلى جهود في التخطيط اللغوي لتنظيم

هذا التعدد وضبط توزيعه من أجل التحكم في نتائجه، غير أن هناك فروقا بين ما يمكن أن يمثل سياسة أو تخطيطا لغويا، وهو ما يسير وفق ما تعبّر عنه القوانين، وبين ما يفرض من وقائع لغوية، كما هو الحال في بعض المجالات، كالإعلام والتعليم مثلا، وقد ساهم هذا التعدد في بروز تحاليل كثيرة،غير أن صوت الباحث اللساني خافت، وتعلو عليه أصوات أخرى سياسية ومهنية قطاعية، فما موقع الباحث اللساني من هذا النقاش؟ وما حدود مسؤوليته العلمية؟ أكثر من ذلك، لماذا لا ينشغل اللساني بالوضعية اللغوية وبمسالة الازدواج الحاصل في حياة الناس، وينشغل عوض هذا بالمشاكل النظرية والصورية للغة؟ ولماذا تكاد تكون " الآراء والاجتهادات اللغوية " حكرا على السياسيين والإعلاميين و" المناضلين الثقافيين " ويغيب عنها اللسانيون؟

ممّا لا شك فيه أن العالم على اختلاف لغاته وثقافاته، في مواجهة دائمة للغات أخرى غير اللغة الأولى قد يفهمونها وقد لا يفهمونها، يحبّونها أو لا يحبّونها، وهذا الوضع ليس خاصا كما يظن البعض ببلاد دون الأخرى، أو هو ميزة لبلدان العالم الثالث، أو النامية، إنه قدر مشترك وإن ظهر بأشكال متفاوتة.

فالوضع اللغوي بالمغرب العربي عامة والجزائر على وجه الخصوص موسوم بتلك الخاصية وربما أكثر من ذلك، فلم نعد نتحدث عن ازدواج لغوي بل تعدى الأمر ذلك ليرى اللساني المهتم بتلك الحادثة ينعتها بالتعدد اللغوي (***plurilinguisme***)؛ الجزائر، المغرب، تونس دول متجاورة، لكن حدودها السياسية لا تطابق حدودها اللغوية، فلئن كانت العربية هي اللغة الرسمية لهذه الدول الثلاثة فإنها تتعايش مع لغات أخرى كالفرنسية والامازيغية في كل من الجزائر والمغرب، والفرنسية في تونس.

أما إذا تحدثنا عن الجزائر فاللغة الرسمية فيها العربية التي لا تتطابق مع اللغة الأم (اللغة التي يكتسبها الطفل في البيت) والمتمثلة في الدارجة، ثم الفرنسية الموروثة عن

الاستعمار والتي ظلت لفترة طويلة اللغة الرسمية للبلاد ثم أصبحت أجنبية بعد سياسة التعريب، هذه الفرنسية التي هي حكرا على الطبقة المترفة والمثقفة وعلى مستوى السلطة والمسؤولين المثقفين وهي مظهر من مظاهر الرفاهية والرقي عند من يتكلمون بها، هذه الأخيرة والتي عاشت على الدّوام صراعا استئصاليا مع اللغة العربية والتي كلما انتشرت إحداهما في قطاع حيوي كالتعليم والإدارة إلاّ وسخرت الأخرى ما توفر لديها من وسائل الغلبة لطردها واحتلال موقعها .

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنه لا يمكن الحديث عن هذا الوضع اللغوي دون التنويه بمكانة اللهجات البربرية وبدرجات مختلفة، فتونس حوالي 1% من الناطقين بها، وأن هذه اللهجات حافظت على وجودها بشكل واسع في المغرب، حيث يقدر عدد الناطقين ب 40 % من مجموع السكان وفي الجزائر حوالي 25% وأهم مجموعات اللهجات في الجزائر، هي القبائل الكبرى والصغرى، الشاوية، المزابية، والترقية. ومع ذلك نلمح أنّ هذه اللهجات كانت ولا تزال في تراجع مستمر أمام اللهجات العربية، فالمناطق التي يفقدها الناطقون بالبربرية لصالح الناطقين بالعربية تظل على هذا الوضع بشكل نهائي، فعدد من المناطق التي نعتها اثنولوجيون ولسانيون في السابق بأنها بربرية، هي اليوم ناطقة كليا بالعربية .

5 :الخلط اللغوي : المبني اللغوي والمعني السوسيوثقافي .

الخلط اللغوي هو التقلب من لغة إلى لغة أخرى في نفس الجملة أو نفس النص المكتوب أو المنطوق. إنه ظاهرة مؤلفة في المجتمعات التي تستعمل لغتين أو أكثر في الاستعمالات اليومية. الدّراسات المتعلقة بالخلط اللغوي زادت من فهمنا لطبيعة وسيرورة اللغة من جهة، والعلاقة القائمة بين الاستعمال اللغوي والقيم الفردية،استراتيجيات الاتصال، الموقف اللغوي ضمن سياق سوسيوثقافي من جهة أخرى .

1.5 :ما معنى التحويل في النظام الرمزي؟

إن استعمال لغتين أو أكثر في المحادثة ليس بالأمر العجيب بالنسبة للعديد من الناس أو الشعوب، فما هو تأثير ذلك على استعمالها اللغوي ؟ إذا أخلط هؤلاء لغتين في نفس الجملة أو العبارة، فكيف يمكن لهذه الأخيرة أن تتأثر بنظامين نحويين في الاستعمال، إذا اكتسب طفل لغتين في الوقت نفسه، فكيف تؤثر الواحدة في عملية اكتساب الأخرى؟

كما لاحظ **ميلوري** و**ميشن** ***Milroy and Muyshen*** " إن انتشار اللغات العالمية مدعومة من قبل العولمة، التحديث، ظاهرة تجديد اللغات، وسفر التجار لأسباب اقتصادية كل هذه العوامل مجتمعة أدّت إلى انتشار الازدواجية اللغوية عبر العالم المعاصر، على الرغم من أن **بلومفيلد** ***"Bloomfield"*** 1933 عرّف الازدواجية على أنها " التحكم في لغتين مثل اللغة الأم ***''native-like control of two languages''*** و**هوقن** ***(Hauguen*** 1953) والذي أقرّ أنّ مزدوجي اللغة يستطيعون أن يصدروا عبارات كاملة ذات معنى في اللغة الأخرى***"Complete utterances in other meaningful language"*** و**ماكاي**(1962 ***(Mackey)*** الذي أقرّ هو الآخر أن مصطلح الازدواج اللغوي يحتاج إلى أن يعمم لإيواء أشكال حسب الدرجة، الوظيفية، التناوب والتداخل، يقول **قروس جين:**

''Bilinguals are not the sum of two complete or incomplete monolinguals but have a unique and specific linguistic configuration'' [1] '' (Gros Jean 1995:p259)

بمعنى: "" إن مزدوجي اللغة ليسو مجموعة من أحادي اللغة كاملين أو غير كاملين، لكن لهم شكل لغوي خاص وموحّد"".

وبالتالي فظاهرة الاتصال اللغوي أثارت الكثير من الاهتمام بين اللسانيين، **مايروسكوتن** (***Myers & Scotton***)على سبيل المثال لاحظ أنّ ما ينتج بين اتصال ظاهرتين

[1] G. Jean in sociolinguistics, Hudson, Cambridge, 1997, P : 259.

هو نافذة تجريبية ممكنة حول تركيبات اللغة عامة فمن بين ظواهر اتصال اللغة والتي تضم تداخل، اقتراض، تقارب ...الخ، هي التحويل في النظام الرمزي والتي تعرف على أنها تناوب استعمال مزدوجي اللغة للغتين أو أكثر في نفس المحادثة، **وينريش** *(Weinreich* 1953 /1968 :p73) علّل في هذا السياق أن مزدوجي اللغة المثالي يتحول في نظامه الرمزي من لغة لأخرى حسب التغييرات لسياق الخطاب، (المحادث. الموضوع، ... الخ) ولكن عدد لابأس به من الدراسات أظهرت مبدأ الفعّالية لمستعملي التحويل في النظام الرمزي على مستويات عديدة (الخطاب، الجملة، الكلمة...) ولأسباب مختلفة.

''According to Bloom and Gumperz 1972: There are two kinds of Code Switching. One, conversational (metaphorical) switching, is used to convey a speaker's attitude toward the topic of the conversation, while the other, situational switching, is used to convey a speaker's attitude toward his/her audience.[1]

بمعنى: ""يوجد نوعان من التغيير الرمزي: الأوّل خطابي (استعاري) يعكس موقف المتكلم من موضوع المحادثة؛ أمّا الثاني فتغيير وضعي إذ يعكس موقف المتكلم من مستمعيه"".

2.5 :المزج اللغوي:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة توضيح ظاهرة المزج اللغوي " **الفرانكوأراب** " عند مجتمعات المغرب العربي المعاصر، وللبحث علاقة متينة بعامل الاستعمار الفرنسي الذي سيطر على هذه الشعوب في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والدراسات الغربية الحديثة لظاهرة المزج اللغوي لا تكاد تشير إلى تأثر " **الفرانكوأراب** " بعامل علاقة الغالب بالمغلوب، ومن ثم فليس بكاف مثلا أن ترجع انتشار ظاهرة " **فرانكو أراب** " بين معظم فئات المجتمع الجزائري والتونسي والمغربي المعاصرة إلى مجرد احتكاكها بالفرنسيين في العصر الحديث أو مجرد معرفة هذه الفئات للغة الفرنسية معرفة كاملة أو جزئية، فإتقان الشخص للغتين أو

[1] I. Gumperz, language in social groups, stanford, university press, 1982, p : 59.

أكثر لا يؤدي بالضرورة إلى حتمية المزج ومن هنا تأتي في نظرنا أهمية تدخل عامل الشعور بالنقص لدى (المغربي) المغلوب، إزاء تقليد الغالب بما في ذلك لغويا، حتى وإن كانت لغة (المغلوب) قادرة تماما على التعبير عما تختلج به نفسه .

ومن منطلق أهمية علاقة الغالب والمغلوب (طبيعة القوى بين الطرفين) هذه كمرجع أساسي لتفسير ظاهرة المزج اللغوي، استطعنا أن نجد أيضا تفسيرا معقولا لملاحظة ظاهرة لغوية فرعية، وهي ميل نساء وفتيات مجتمعات المغرب العربي، خاصة المثقفات والمتعلمات إلى مزج لغتهن العربية العامية بكلمات وعبارات فرنسية أكثر من زملائهن المثقفين والمتعلمين، فالمرأة في هذه المجتمعات تشكو من نوعين من الشعور بالنقص.

1 –شعور بالنقص أمام الطرف الفرنسي (المرأة الفرنسية على الخصوص لما لها من حقوق).

2 –شعور بالنقص كامرأة في مجتمعات يتمتع فيها الرجل بنصيب الأسد من الامتيازات الاجتماعية أي بالسيطرة على مقاليد الأمور.

بالمقابل هذه التعاريف ركزت على حقيقة مفادها أن ظاهرة المزج اللغوي تحدث عندما تتناوب لغتين 1988 ***"Peterson"***، لاحقا يضيف أنّ المزج اللغوي يحدث بين أي رمزين أو شكلين لغويين، كاللهجات .

قال **بيترسون** أن المزج اللغوي يرجع إلى أي تحويل مفاجئ وقتي من رمز لغوي لآخر في سياق لغوي **تيم** و**بويلاك** ***(Tim and Poplack)*** يصفون المزج اللغوي بأنه يحدث بين لغتين، بالمقابل **بيترسون** يوسع المفهوم ليطلق على أي تحويل بين رمزين لغويين، أمّا **قامبيرز** 1982 ***(Gumperz)***:

''The juxtaposition within the same speech exchange of passages of speech belonging to two different grammatical systems'' [1]

بمعنى:""فيعتبر المزج اللغوي على أنه أيّ مقاربة بين تحويل نفس اللفظ لمسارات الألفاظ المنتمية لأنظمة نحوية مختلفة"".

التعريف الأوسع المقدم مؤخرا هو ذلك الذي أتى به **سكوتن** ***''Scotton''*** 1992 الذي أقرّ أن المزج اللغوي هو انتقاء مزدوجي اللغة / متعددي اللغة لإشكال من اللغة المتجذرة في عبارة مصاغة بسياق لغوي أثناء نفس المحادثة، ومن أجل البحث الذي أقوم به سوف أعتمد التعريف المقدم من قبل **فالديز** ***(Valdes)*** 1976 والذي يعرف المزج اللغوي على أنه:

''The alternation of two languages at the word, phrase, clause, and sentence levels'' [2]

بمعنى: ""تناوب لغتين مختلفتين في الكلمة، الجملة، العبارة ومستويات الجملة"".

3.5 :نماذج التحوّل اللغوي (*Code switching*):

التحوّل اللغوي هو ظاهرة منتشرة في الخطاب المزدوج اللغة، وبالتالي ليس من المفاجئ أن تكون القسيمة الكبرى من الازدواج اللغوي منصبة حول الإبدال الرمزي، فمعظم الباحثين المهتمين بهذا النوع من الدراسة ركزوا حول التأويلات الاجتماعية ووظائف الخطاب، بمعنى الأوجه السوسيوبرغماتية للإبدال الرمزي، ولهذا الغرض، اللغويون غير المختصين في الازدواج اللغوي يعتقدون أن البحث في الإبدال الرمزي، معناه بحث سوسيولغوي، إنه من الثابت أن الإبدال الرمزي مسألة مهمة للبحث حول أسباب وسياقات هذا الإبدال الرمزي، الأمر الذي يفسر بأساليب الكتابة أو التعابير الاستعارية أين تكون

[1] Kuman, sociolinguistic, 1985, PP : 195-196.
[2] Valdes, bilinggualism, Matters, britain, 1976.

لعوامل مثل : المحادث، الدور الاجتماعي، السياق، الموضوع، المكان، الوسط ونوع الحديث دور في تحديد طبيعة الإبدال اللغوي .

''In this case, language alternation can also serve as a conversational cue, expressing attitudes towards language or linguistic identity'' Tabouret Keller, 1995.

بمعنى: "" في هذه الحالة التعبير اللغوي يمكن أيضا أن يقيم مقام إشارة المحادثة معبّرة عن مواقف تجاه اللغة أو الهوية اللغوية"" .

البحث في مجال الإبدال اللغوي وبنيته النحوية لم يعرف انتشار إلا في السنوات الأخيرة، فالباحثون في هذا المجال ناقشوا نماذج الإبدال اللاّرمزي، ولشرح هذه المسألة سوف نأخذ بعين الاعتبار المعطيات الأساسية التي تظهر النتائج المسببة لمثل ذاك السلوك الذي يعتبره أهل علم النفس اللغوي إعاقة: يقول كلاين ***(Clyne)*** في هذا السياق:

''Words at the intersection of two language systems, which, consequently, may cause speakers to lose their linguistic bearings and continue the sentence in other language'' (Clyne ،1993 :p193) .

بمعنى: "":تداخل بين النظامين اللغويين والذي يؤدي بالمخاطب إلى فقدان انتمائه اللغوي ومواصلة الجملة باللغة الثانية"".

5: القصور اللغوي لاستعمال الإبدال الرمزي والخلط الرمزي في مجتمع ثنائي اللغة :

دراسة اتصال اللغة تطور مع أعمال **هوقن** و**وينريش** ***(Haugen& Weinreich)*** بداية الخمسينات من القرن الماضي . في العديد من حالات الاتصال اللغوي، يمكن لمكونات لغة ما أن توجد مع مكونات لغة أخرى في عدد من الظواهر اللغوية وبالأخص الاقتراض المعجمي، التحويل، التداخل، الانتشار، التحول اللغوي، الخلط الرمزي...الخ . مع أن هذين

الأخيرين: الإبدال الرمزي والخلط الرمزي هما الرمزين الأكثر انتشارا ما بين المخاطبين المزدوجي اللغة.

التعريف الأوّل للتحول اللغوي يرجع إلى تعريف **وينريش** ***(Weinreich 1953)*** والذي عرف الأناس المزدوجي اللغة على أنّهم:

''...as individuals who switch from one language to the other according to appropriate changes in speech situation''(Naseh 1997 :202)

بمعنى:"أفراد ينتقلون من لغة لأخرى حسب تطابق تغييرات سياق الخطاب ""

توجد تغييرات في تعريفات الإبدال الرمزي بالمقاربة بالخلط الرمزي في الأدب المعاصر، فترى **مويسكن** (***Muyskan*** 2002) يعرّف الإبدال على أنه التعاقب السريع العديد من اللغات في حدث خطابي واحد، بالمقابل الخلط الرمزي يعرف على أنه كل الحالات التي تظهر فيها الخصائص النحوية والأدوات المعجمية للغتين مختلفتين في جملة واحدة.

فالنتائج المتوصل إليها من خلال 249 إبدال (منها 154 في سياقات رسمية) و95 من خلال محادثات هاتفية مثلا، تظهر أنّ في كلتا السياقين، يحدث الإبدال في اتجاهين، إمّا من الفرنسية إلى العربية أو من العربية إلى الفرنسية، لكن الاتجاه الأول كان الأكثر تداولا؛ ترددات التحول اللغوي لهؤلاء المخاطبين بالعربية الجزائرية يتنوع من استعمال كلمات فرنسية أو عربية لمفردها في مقاطع طويلة في منطوق واحد.

تمهيد:

قدّمنا المتغيرات السوسيولسانية المتعلقة على الأخص بالعوامل الاجتماعية المتداخلة للطبقة والأسلوب وهذه النقطة مهمة للغاية، لكنها متشابكة بما بأنها تعني ببنية سوسيو لسانية معنية، فالعبارة هذه وعنوان الفصل ربما قد يضلّلان القارئ ومن ثمة يعتقد أن موضوع الحديث هو اللغة والعوامل الاجتماعية التي قد تؤثر في مستوى أو نوع اللغة الذي يستعمله المتكلم،على العكس من ذلك فكل هذه العوامل والمؤثرات تلعب الدور نفسه في الاستعمال اللهجي للمتكلم، حيث أظهرت الدراسات الحديثة أن اللهجة ما هي إلا صورة من صور اللغة الرسمية تتأثر وتؤثر بالدرجة نفسها كما لو أنّ لها معظم المقومات التي تشترطها اللغة وبالأساس الاتصال اليومي والتفاهم المتبادل.

فممّا سبق الإشارة إليه يتجلى أن المؤثرات نفسها والعوامل الاجتماعية التي تؤثر في الاختلاف اللغوي تطبق ودون أي نقص على اللهجات العامية المتداولة في مجتمع ما، أو شبكة لهجية ما.

فمن خلال هذه الدراسة سوف يصبح جليا أن المتغيرات الاجتماعية أيضا تكشف مخطّطا خاصا بالمتغيرات اللسانية، وزبدة القول: هل للفرد أو لمتوسط الطبقات الأساسية أوالثانوية معنى بمختلف العوامل الاجتماعية؟

في هذا الفصل سوف نعني بالدرسة والتمحيص لبعض العوامل وأخيرا نستقصي كيف تؤثر في بعض الحالات، والعوامل هذه تتخلص في النقاط الآتية: المستوى الثقافي، النوع، السّن، المنطقة الجغرافية، والطبقة الاجتماعية.

هذه العوامل منسوجة مع بعضها بصفة معقّدة ودقيقة هي سبب التغير واللاتشابه في كل من اللغة أواللهجة، فإستعمال الطرق الكمّية والوصفية يصل إلى دراسة علاقات متشابكة بين اللهجة أو اللغة المستعملة والعوامل الاجتماعية والهدف المرجو من هذه الدراسة هو بالطبع دراسة كل بنية سوسيولسانية لاستقصاء كيف أنّ البنية ومتغيرات اللغة يجب أن تكون؟

المبحث الأول: تدرج المستوى الثقافي وانعكاساته على تنوع المنطوق:

يقرّ علماء الأنثربولوجيا اللغوية أن المستوى الثقافي والمستوى اللغوي عاملان متشابكان يؤثر كل واحد منهما في الآخر، فكلاهما مرآة عاكسة لمستوى الكسب؛ تجدر الإشارة هنا إلى أننا سوف نعتبر الثقافة شيئا مكتسبا لا فطريا على عكس ما يظهر من خلال الدراسات المتعلقة بالثقافة والطبيعة أين يرى أهل هذا المذهب أنها امتداد لفطرة وطبيعة الإنسان لكننا واعتبار للدرس والبحث السوسيولساني و الأنثربولساني أبينا إلاّ أن نحدّد مصطلح الثقافة الذي عرّف على أنه: " حالة تعتري مجتمع ما من خلال حياة اجتماعية مشتركة بما في ذلك اللغة والتقاليد والعادات" وفي السياق عرّف الأنثروبولوجي البريطاني" إدوارد تايلور " "***Edward Taylor***" الثقافة على أنها:

"That complex whole which includes knowledge, beliefs art, law custom and any other capabilities and habits acquired by human as member of society."[1]

بمعنى: ""ذلك الكلّ المعقد الذي يضم المعرفة، والعقيدة، والفن، والقانون، والعرف، والعادات المكتسبة من قبل الفرد كعضو في المجتمع"".

فالثقافة جزء فعّال في تحديد اللغة أو المستوى اللغوي للمتكلم، لذلك كان لزاما علينا أن نكمل هذه النظرة بإظهار الأهمية الخاصة لكل من اللغة والثقافة في مجتمعنا العربي، ذلك أن وضعيتهما ومركزهما يختلفان عن نظيريهما في المجتمعات الأوربية.

ومن خلال هذه الدراسة نعرض لأمر بغاية الأهمية ولطالما كان محل دراسة ونقاش أين سنثبت وننفي في الوقت نفسه بعض الآراء والتوجيهات التي أقامها القدامى، فمنهم من ينفي علاقة اللغة بالثقافة ويرى أنها علاقة غير متجانسة لا بل يذهب إلى أحد بعيد حتى ينعتها بأنها– أي اللغة والثقافة– بناء ينقصه التجانس والانسجام وحتى التكامل؛ فبنيته هشة وفي مادته اضطراب وتنافر؛ في عبارة موجزة "إن هويتنا الثقافية واللغوية هوية مهزوزة،

[1] Language Culture and communication Edward Taylor

يشوبها نوع من التفكك والاضطراب، وضرب من التنافر والتناقض[1]، ومن ثم يسوغ لنا أن نقرر أنه ليس لنا هوية لغوية وثقافية موحدة" [2].

والمؤكد أن اللغة المنطوقة تتميز بتعدد اللهجات والرطانات ومن ثم فثقافتنا القومية لم تنج من هذا التباين فأصبح الخلط هو الميزة الغالبة لثقافتنا،" فتعددت الثقافات وصرنا نسمع بثقافة الخاصة، وخاصة الخاصة، وثقافة العامة وعامة العامة"[3] والصناعات، هذه الحقائق تدفعنا إلى استخلاص فكرة أساسية مفادها أن هذه التعددات الثقافية، والتوجيهات المختلفة تبعد مسارات السلوك الثقافي واللغوي، ومن ثم يصعب الالتقاء والتناسب بين كلّ من الثقافة واللغة.

أما أصحاب التوجّه الثاني فيرون عكس ذلك ويقرّون أن الثقافة واللغة وجهتان لعملة واحدة، تؤثر الواحدة منها في الأخرى لما لهما من جوار وقرابة مما يجعل اللغة فعلا مرآة عاكسة ينظر ويقيم من خلالها المجتمع المستوى الثقافي للمتكلم وهذا ما يقره علماء الأنثروبولوجيا اللسانية أمثال: "**فرانزبواز**" "***Franz Boas***" "**سابير**" "***Sapir***"، "**وورف**" "***Whorf***" ، "**وهاري هوجر**" "***Harry Hoijer***".

فلقد أقرّ الأول أنه:

"He argued that one could not really understand another's culture without having a direct access to its language[4].

بمعنى: *"" لا يمكن فعلا التعرف وفهم ثقافة ما دون أن يكون لك قرب مباشر أو على الأقل فهم لغة هذه الأمة"".*

أما "**سابير**" "***Sapir***" وتلميذة "**وورف**" "***Whorf***" فينعتاها بفرض "**وورف**" "***Linguistic relativity***" ويقرّ بأن:

---

[1] – Edward Taylor Language Culture and communication

[2] – علم اللغة الاجتماعي د كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ط 3. 1998. ص 235

[3] – علم اللغة الاجتماعي . د. كمال بشر. ص 239.

[4] - Alessandro Duranti .Linguistic anthropiogy Cambridge Universiry Press Cambridge 1997.p336

''One of the strongest statements of the position that the way in which we think about the world is influenced by the language we use to talk about it… humans are actually at the mercy of the particular language they speak[1] .

بمعنى: ""طريقة التفكير في العالم الخارجي متأثرة باللغة التي نتكلمها، والمقصود بالعالم الخارجي؛ الثقافة، الدين، القومية، المعتقدة...الخ، ومن ثمة يتجلى أن الإنسان تحت رحمة اللغة التي يتكلمها "".

هذا الاتجاه قد سبق أن أقره من قبل الدبلوماسي الألماني ***''William Von Humboldt"*** حين أثبت أن كل لسان يعكس الثقافة التي ينتمي إليها.

''Each tongue draws a circle about the people to whom it belongs '[2] (Von Humboldt)

أما "**هوجر**" ***"Hoijer"*** فيمزج بين اللغة والثقافة ويرى بأنهما متداخلان بعضا في البعض ويذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أنه يجب التفكير في اللغة **داخل** الثقافة وليس اللغة والثقافة .

''One should think of language in culture and not just of language and culture'' [3]

أضف إلى ذلك فأن اللغة تربط الفرد بماضيه، حاضره، ومستقبله على حدّ سواء وفي هذه الحالة تمثيل دائم وثابت للعالم. وإذا كانت اللغة **فعلا** كما يقرّ "**مالينوفسكي**" ***"Malinowski"*** والطريقة التي نتكلم بها تعكس حقيقتنا ووضعيتنا في هذا العالم كما يرى "**سابير**" ***"Sapir"*** وتلميذه "**وورف**" ***"Whorf"*** فمعنى ذلك أن **التواصل اللغوي** هو جزء من الحقيقة المعاشة بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات، يمثل، يفسر، ويدلّ على الثقافة التي ينتمي إليها. [4]

أمّا إذا كانت اللغة– كما يرى "**ويتقنستاين**" ***"Wittgenstein"*** "**شكل من الحياة**" فالميزة أن تكون لك لغة لا يعني فقط أن نكون لك أداة للتعبير عن أحداث بطرق معينة، وإنما يعني كذلك أن تكون لك القابلية للتفاعل مع هذه الأحداث تؤثر بها، ولذلك بالأخص فإن مسألة

---

[1] -Alessandro Duranti .Linguistic anthropiogy Cambridge Universiry Press Cambridge 1997.p336

[2] Alessandro Duranti .Linguistic anthropiogy Cambridge Universiry Press Cambridge 1997.p336

[3] - نفسه ص 336.

[4] – E.Chaika .Language.the social Mirror .u.s.a. 1982.p87

طبيعة اللغة وتفاعلها مع الثقافة بالنسبة للغويين الأنثروبولجين لا يمكن فصلها عن مسألة استعمال اللغة من قبل أفراد وفي وقت معين، اعتبارا أنّ دراسة اللغة هي دراسة تاريخية تتمركز حول وقت معين، وهذا الأخير يعدّ بعدا أساسا في الدراسات اللغوية السينكرونية الحديثة [1].

إنه من غير اللائق أن نطوي هذا التوجه الثاني المتعلق باللغة والثقافة دون أن نتحدث، أو نعطي على الأقل لمحة عن أراء المختصين في تعليمية اللغات وخاصة الأجنبية منها حيث يرون أنه من الواجب أن نتعلم اللغة وثقافتها معا. فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال لا الحصر يجب تدريسها داخل ثقافتها فنقول ***Mr Smith*** أو ***Mr Rafik*** كما حدث ذلك في بعض الكتب الأولى لتعليم اللغة الإنجليزية، أين يقولون ***Mr Dahane*** وإنما يجب القول ***The Painter***.

وعلى الرغم من التضارب والتباين بين التوجهين إلاّ أنه لا يمكن إغفال أو انكار وتأثير كل من اللغة والثقافة فيما بينهما، لكن التساؤل الذي يتبادر إلى ذهن الباحث هو كيف لنا أن نبين العلاقة بينهما؟ طبعا لا يمكن إذا أقمنا بحوثا مستقلة تنصب حول دراسة البناء اللغوي للمجتمع بميزاته، وخصائصه، وأبعاده، وصوره، ومن ثمة التدقيق في النشاط الثقافي لهذا المجتمع. وبهذا النحو يمكن لنا أن نخرج بنتائج عملية دقيقة لذلك سوف ننطلق من فكرة ننفي أوّلا ثم نثبت حقيقة الأشكال اللغوية- وبدرجة أخص المنطوق- بأبعادها وتلازمها الثقافية.

اللغة ليست فقط "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2] كما عرفها ابن جني وإنما تتعدى ذلك المنظور الضيق. في حقيقة الأمر وجوهره؛ هي تجسيد حيّ لكل معارف الإنسان وخبرته ومن ثمة هي دليل هويته الثقافية التي تكشف عن المكبوت والواقع الحقيقي في صورة أحداث فعلية من أصوات، وطرق النطق، والمفردات، والدّلالات، وما إلى ذلك من معاني، هذا بالإضافة إلى نسج هذا الكلام حسب سياق ونمط الكلام المتعارف عليه داخل الجماعة اللغوية وحتى اللهجية.

---

[1] – Alessandro Duranti .Linguistic anthropolgy.p341

[2] – الخصائص، ابن جني، دار الكتب ، القاهرة، 1952، ج: 1، ص: 33.

ومن هنا فإننا متفقون في أنه لنا لسان واحد ألا وهو "اللغة العربية " لكن ومع ذلك يختلف اختلافا كليا في التحقيق المادي لدى اللسان وهذا ما يبرز ومن خلال ما يجري في المجتمع العربي من تعدد في اللهجات، والرطانات، وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بعدم وجود اتفاق تام في البيئة الواحدة.

هذا الاتفاق والافتراق في البيئة اللغوية ينطبقان بصورة أو بأخرى على الوضع الثقافي لهذه البيئة لما لهذين العاملين من تداخل– رغم الانتقادات ومحاولة الفصل بين الجهتين– فتلخص إتفاق في الثوابت واختلافا في المتغيرات؛ بعبارة أخرى نلتقي في الجوهر وتختلف في الأداء اللغوي والتعامل الثقافي،"فالقيمة المعينة قد يكون متفقا عليها في بيئة اجتماعية ما، ولكنها تختلف فيما بين أفراد هذه البيئة في التحقيق المادي، فالملبس مثلا ذو معنى أو قيمة متفق عليها هي الوقاية والزينة وستر العورة، ولكنه يختلف هنا وهناك من حيث صوره، وأشكاله، وألوانه، وتقديره وتفصيله" [1].

لكن هذا الضرب أو النحو من التفكير في علاقة اللغة بالثقافة يؤدي بنا إلى طريق مسدود؛ بل هو تحصيل حاصل، "فالأبوّة مثل قيمة لغوية ثقافية، ولكن يعبر عنها وتؤدي في مجتمعنا بصورة متعددة، فهناك "**دادي وبابي وبابا وبيي ويا**" إلى جانب الصيغتين الفصيحتين "**أبي ووالدي**"[2].

فما يجب التفكير به الآن هو إثبات تلك العلاقة القائمة بين اللغة والثقافة لأن الآراء السابقة الذكر تنصهر وتذوب أمام فكرة أنّ أحدهم يستطيع أن يحكم على ثقافة الآخرين اعتمادا أو من محصوله اللغوي، الذي عادة ما يعبّر عليه بألفاظ أو أداء صوتي، أو كما سوف نثبت لاحقا طريقة نطقه، فالطريقة أو الأداء الكلامي عادة ما يستمد من مخزون العقل ونفسه أو هوية المتكلم، أي من محصوله المعرفي والثقافي؛ وهذا ما هو ثابت في المجتمع الإنجليزي مثلا" لسانك هو أنت"***Your tongue Is you***" الأمر نفسه بالنسبة للثقافة حيث يؤثر المستوى الثقافي للمتكلم على إنتاجه اللغوي وحتى اللهجي.

---

[1] – علم اللغة الاجتماعي. د. كمال بشير، دار غريب للطباعة والنشر، القاهر، ط3، 1997، ص 238.

2.نفسه

وعلى الرغم من الارتباط القائم بين كل من اللغة والثقافة والذي يتوقف على درجات الاختلاف اللغوي والثقافي معا لكما هو جلي في المجتمع العربي والإنجليزي، فتعدد واختلاف اللهجات في المجتمعات بصفة عامة والمجتمع العربي بصفة خاصة، لخير دليل على تنوع ثقافتنا.

هل لهجة الفرد تتحدد بمستواه الثقافي؟

إن الطرح اللساني والهدف الذي نحن بصدد البحث والوصول إليه هو كيف أن لغة الفرد أو لهجته تتحدد بمستواه الثقافي؟ سؤال من هذا النوع كان ولا يزال مصب اهتمام الباحثين القدامى والمحدثين على حد سواء، ولذلك السبب يجب علينا الانطلاق من فكرة أن اللغة ليست إلا أثرا من آثار عقلية المجتمع أو إشعاع من بين الإشعاعات الثقافية الموجودة داخل المجتمع، فهي مرآة عاكسة لثقافة مجتمع ما.

إذا هذا السؤال وفي هذا المستوى من الطرح يحتاج لآراء، وجهود، وأبحاث اللغويين وعلماء الاجتماع اللغويين، والأنثروبولوجيون، وعلماء الثقافة معا، وذلك للخروج بإجابة علمية دقيقة لهذا التساؤل.

إنّ الدراسات اللغوية التي أقيمت في هذا الحقل تشير إلى أن العالم العربي يحتوي خمسة مستويات رئيسية، فهناك الفصحى الأصلية والمتمثلة في التراث الفكري والحضاري، والثقافي، والأدبي، وهناك ما يطلق عليه بالعربية المعاصرة وهي لغة المثقفين ورجال العلم، وهناك لغة الإعلام – كانت منطوقة أم مكتوبة– وهناك عامية عامة المثقفين في حياتهم اليومية، وهناك اللسان الدارج العام وما يتشعب عن هذا الأخير من لهجات وأشكال محلية خاصة بالمجتمع أو بالمهنة.

هذا التباين"والتعدد اللغوي ينجر عنه التفرق في الهوية القومية وما يرتبط بها من فكرة وثقافة من جهة، "والتلوث الثقافي" الذي أصيب به المجتمع العربي في السنوات الأخيرة من جهة أخرى، كان له أثر واضح في التلوث اللغوي، وهذا ما نلمسه عند أصحاب الفن من مسرحيات، وأفلام، وأغاني جاءت في مجملها بلهجة دنيئة مبنى ومعنى، والاختلاط الثقافي

الذي جاءت به الوفود أو الجاليات الأجنبية التي كان لها أن تشتغل في حقول شتى داخل المجتمع العربي وما تحمل هذه الجاليات من خلط في الأفكار والتوجهات والرؤى.

ومهما يكن من الأمر فالثابت هو أنّ بناءنا اللغوي والثقافي ينعت بالبناء النسبي الناقص الانسجام والتكامل، لكن هذا الرأي لا يعني أن لغة الرجل العربي بصفة عامة والجزائري على وجه الخصوص لا تعكس مستواه الثقافي.

لقد أجاب "**إدوارد سابير**" "***Edward Sapir***" حين سئل عن علاقة اللغة أو أي شكل لغوي بثقافة المتكلم قائلا: "ربما يسلم معظمنا – فيما أعتقد– بأن لغة المجتمع البريطاني والأمريكي لا يمكن الادعاء بأنها تمثل مجتمعا ثقافيا واحدا ثم يشير إلى العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية التي تحول دون ذلك"[1].

أما عن العلاقة القائمة بين اللغة والثقافة العربيتين "فيرى البعض أن لهم ثقافة مشتركة شديدة الارتباط بعوامل جغرافية، وسياسية، واقتصادية، وكذا تاريخ مشترك" [2]. أما البعض الآخر فيرى أن العرب يتكلمون اللغة والعربية الفصحى، ولكن بلهجات محلية مختلفة من قطر لأخر، تعكس الثقافة المحلية القائمة في منطقة ما، مما يفسر وجود ثقافات مختلفة تبعا لتعدد الأقطار[3]، فتربية الأبناء، أو حفل الزفاف في لبنان يختلفان كل الاختلاف عن مثليهما في مصر أو الجزائر مثلا.

لكن هذا التوجه الثاني قد ووجه بكثير من الانتقادات الحادة، ويرى أصحاب هذا التوجه أن للمجتمع العربي والأمريكي ثقافتين ولغتين مختلفتين ومن ثمة يجوز لنا أن نتمثل بالعلاقة الوثيقة بن الثقافة واللغة، إلا أن التباين القائم بين الثقافات داخل كل من المجتمع الإنجليزي والأمريكي والاسترالي الذي تربطهم لغة واحدة دفع بالعديد إلى اعتبار عدم تناسق وتلازم الثقافة باللغة.

---

[1] – مدخل إلى اللغة .د. محمد حسين عبد العزيز، دار الفكر العربي، 1988، ص 185.

[2] – نفسه، ص 186

[3] – علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، .د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1995، ص 136.

ولقد سبق لـ" **سابير**" "***Sapir***" أن أوضح هذه العادة التي يرى البعض أنها غير متلازمة فقال: "إن اللغات، والجنس والثقافة ليست بالضرورة متلازمة، غير أن هذا لا يعني أنها لا تتلازم أبدا "[1].

وهناك نقطة أخرى في غاية الأهمية تدفع الباحث في هذا الميدان للإشارة إليها، هي أن التعبير الثقافي يستغرق وقتا محدودا حتى يتجلى ويظهر أثره، أما التباين اللغوي فقد يستغرق حقبة زمنية كبيرة قد تصل إلى قرون ومع ذلك يصعب ملاحظة ذلك التباين، والغالب هو أن سبب هذا بالضبط هو الذي دفع البعض إلى اعتبار أن المجتمع الإنجليزي والأمريكي، والأسترالي مجتمعات مختلفة ثقافيا ولكنها موحدة لغويا، على الرغم من كل ذلك فالآن ترانا نسمع باللغة الإنجليزية والبريطانية، والأمريكية، والإنجليزية الأسترالية..الخ، ومن ثمة تخرج نتيجة مفادها أنه حتى اللغة ليست موحدة بين هذه الأمم، واختيارنا لكلمة"**أمم**" كان عن قصد لأنهم مختلفون ثقافيا من جهة، وردا على أولئك الذين يرون أن الإنجليز والأمريكيين أمتان مشتركتان في لغة واحدة من جهة أخرى.

فالنتيجة الناجمة من تباين هذه الآراء هي أن هناك ارتباط بصفة أو بأخرى بين اللغة والثقافة حتى ولو لم يكن ارتباطا وثيقا وطيدا، إلا أن الأشكال اللغوية من لهجات، ورطانات، وتنوع أو تعدد في المنطوق تتفاعل فعلا من الثقافة والعكس كذلك.

سوف نملي مثالين بسيطين أين نثبت في الأول علاقة اللغة بالثقافة ثم في الثاني تظهر تلازم الثقافة باللغة.

حين يسمع شخص بريطاني عبارة "***Last orders Please***" آخر الخدمات من فلكم" يفهم مباشرة بأن الأمر يتعلق "بحانة" وليس بمدرسة أو مستشفى، وفي بلد اسمه "انجلترا" بمفهوماته الثقافية، وأن صاحب "الخانة يريد أن يغلق المتجر، ومن هنا تثبت اللغة علاقتها بالثقافة أما المثال الثاني فسوف يكون من المجتمع العربي، حين مشاهدة التلفاز ترى في أخبار ذلك اليوم مثلا جماعة من الوزراء رفيعي المستوى يقبلون يد شخص يعتبر ملكا فمباشرة ودون كونك عربي أو قاطن بجانب ذلك البلد سوف تتعرف على تلك المنطقة

[1] – نفسه . ص :137.

مدعوما في ذلك بعلمها الذي يظهر أولا ثم لاحقا سوف تتعرف عن اللغة السائدة في تلك المنطقة ومن ثمة يتجلى كيف أن لثقافة أمة ما أن تظهر وتعكس لغة شعبها.

آراء من هذا القبيل تذهب بنا إلى التخمين وطرح تساؤلات لعلّ أبرزها هو هل تتحدد ثقافة الإنسان بلغته؟ أم أن اللغة هي التي تحدد ثقافته؟ فعلا سؤال وجيه ذو جودة عالية من حيث الطرح، لكن القارئ سوف لن يجد جوابا مباشر شافيا جامعا عن هذا السؤال لأنه ربما قد نحيدعن اتجاهنا "تلمسان" وتأثرها بالمستوى الثقافي للمتكلم الذي يعيش داخل تلك الجماعة اللغوية، وليس الحديث عن اللغة وتأثرها في الثقافة؟ وإذا كان ذلك كذلك فسوف نجيب بعبارة بسيطة هي أن المنطوق أو اللهجة كانت تلمسانية، أو فاسية، أو يمنية، أو سودانية، ما هي إلا "المنطوق الجهوي المنحدر من اللغة المسيطرة" أو هو شكل من اللغة الأم يتميز بخصائص صوتية وصرفية خاصة وبعض الاختلافات التركيبية أو المعجمية. وبناء على ذلك فالحديث في اللهجة يعني الحديث عن اللغة وتلك العلاقة المتلازمة.

فمن خلال المساءلات التي قمنا بها مع كل من النخبة المثقفة وعامة الناس في منطقة تلمسان ظهر جليا أنّ للمستوى الثقافي أثر في تنوع منطوق المتكلم، وسوف نعرض لذلك بالدرس والتحليل والتعليل في الجانب التطبيقي.

المبحث الثاني: الاختلاف الطبقي وانعكاساته في تنوع المنطوق:

تواجه دراسات علم اللهجات الاجتماعي كثير من المسائل الصعبة وخاصة عندما يقوم الباحثون بأبحاثهم في المدن، لأن وصف المدن لغويا أكثر صعوبة من وصف القرى الريفية الصغيرة ، فالاختلاف في اللغة ونماذج التغيير يتضح أكثر في المدن. ولا تكاد تفرق في العادة اللهجات الاجتماعية بعضها عن البعض تمييزا واضحا إلاّ في المدن الكبرى؛ حيث يتكاثف السكان، وتنشط الحركة الاقتصادية، وتتنوع المهن والوظائف؛ فتعدد الطبقات الاجتماعية. ومن غير الصحيح أن تضل اللهجات الاجتماعية جامدة على حالة واحدة، بل يتسع نطاقها بإتساع شؤون الناطقين بها ومبلغ نشاطهم، واحتكاكهم بالطبقات الأخرى، وما يخترعون من مصطلحات وبالأخص ما يقترضونه من اللغات الأجنبية من مفردات وأفكار. ولكلّ هذا أثر بالغ في لغة المحادثة العادية، فتستعير هذه اللغة من تلك اللهجات كما من التراكيب والمفردات.

2 :اللهجات الاجتماعية:

المجتمع الإنساني بطاقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات وحتى في اختلاف منطوقا مختلف الطبقات الاجتماعية المكوّنة لهذا المجتمع، فالطبقة الارستقراطية أو الرقابية بممثل تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الدنيا من المجتمع وتلحق عن ذلك أيضا اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية داخل الطبقة العاملة إذ تنشأ لهجات تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية وهذا ما يعرف في علم اللغة الحديث "باللغة الوظيفية" "***Occupational language***" ذلك أن لغة أو لهجة ما داخل مجتمع ما تتحدد طبعا للوظيفة التي يمتهنها المتكلم. فالعام والخاص مثلا سوف لن يخفق في التعرف على المستوى الاجتماعي، والثقافي لمتكلم ما من خلال لهجته أو نطقه لبعض المفردات وهذا ما سنتعرض له بالتدقيق والتفصيل التطبيقي، ومن العلماء من يرى بأن هذه الأسباب تؤدي إلى نشأة ما يسميه "**فندريس**" بالعاميات الخاصة "***Les argots***" ويقرّ " أنه يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحدوا وفي تغيير دائم تبعا للظروف والأمكنة، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها

الخاصة [1] إلى جانب ذلك توجد عوامل اجتماعية محضة تظهر جليا فيما بين سكان المناطق المختلفة دخل المجتمع الواحد من فروق النظم الاجتماعية والتقاليد والعادات ودرجة العلم، فمن الجلي أن هذه العوامل تؤثر في منطوق سكان المناطق وذلك تبعا لاختلاف الطبقات الاجتماعية التي ينسبون إليها.

فالعبارة أن بريطانيا "مجتمع طبقي" تعني أنه بالمقارنة مع دول أخرى فالبريطانيون يهتمون أكثر بالفوارق الاجتماعية ولهذا السبب بالذات أعطينا كمثال لذلك بريطانيا .

"**فريدريك أنجلز**" "***Frederick Angels***" وصف بريطانيا على أنها "برجوازية كل الأمم"[2] بيد أن "**جورج أورويل**" "***George Aurwell***" "قال:

George Aurwell [3]"most class ridden country under the sun "

بمعنى: ""أنها الدولة الأكثر طبقية تحت الشمس"

فالنظام البريطاني فريد من نوعه، فالترتيب الطبقي يقترح عدد من المعاني المختلفة وبعض المعايير تستعمل لتقنين هذه الاختلافات التي نلخصها كالتالي: "الميلاد والتركة، الدخل (المصدر والقيمة)، والمستوى الثقافي والمؤهلات، الوظيفة، أو نوع المهنة".

وهذه المعايير مجتمعة تمثل لباس الخصائص، نموذج التصرف، والتقاليد، والوضع أو الموقف، والمعتقدات، وتكوّن مفهوم الناس للطبقة، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو ما مصدر هذه الطبقات؟ وما علاقة هذه الأخيرة مع الاختلاف اللغوي وبدرجة أكثر الاختلاف اللغوي وأكثر من ذلك الاختلاف اللهجي؟

"The word <class> entered the English language during the time of Cromwell's protectorate in a dictionary compiled by Blount: class(classes). A ship or navy, an order or distribution of people according to their several degrees") [4].

---

[1] – اللغة فندريس، ترجمة الدواخلي القصاص، مكتبة مصرية ومطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 190، ص 315.

[2] – J Gumperz.Language in social groups.Stanfoid University press.1971.p47

[3] – G-Aurwell.The .Languange and Categorisatisation of Class Penguin Press.1963.p45

[4] - Booth .C.Life and labour of people in London.Penguin Press.1903.P58

بمعنى :" إن لفظة "الطبقة" دخلت اللغة الإنجليزية في وقت حماية "كروميل" في معجم مكتوب من قبل "بلونت": "الطبقة (كلاسيس)" باخرة أو "رام بحري" أو ترتيب أو توزيع للناس تبعا لدرجاتهم المختلفة".

والاستعمال الحالي للمصطلح والشركة مع القيمة الاجتماعية بدأ حوالي 1790.

"The phrase <middle class> first appeared officially in the monthly magazine in 1797, While the phrase <working class> can be found in the writings of the socialist Robert Owen from adout1813 onwards[1].

بمعنى: "عبارة "الطبقة المتوسطة" ظهرت رسميا أوّلا في المجلة الأسبوعية عام 1797 بيد أن عبارة "الطبقة" يمكن أن نجدها في كتابات الاشتراكي "**روبرت أوين**" ***Robert Owen*** منذ 1813 فما فوق".

"A. Marwick << in his class, Image and reality>> maintains that << class is a product of history and a historical perspective is vital to a fuller understanding of the nature of class in Britain today >>[2].

بمعنى: ""فأما مصدر مصطلح "الطبقة فقد ظهر كما يبين ذلك "مارويك" كنتيجة حتمية للتاريخ، والأبعاد التاريخية مفيدة لفهم كامل لطبيعة الطبقات في بريطانيا" .

لقد نظرنا إلى التقسيم الطبقي في بريطانيا الذي تشكل بتاريخه الخاص، والأمر نفسه ينتطبق على مجتمعاتنا العربية على وجه العموم والمجتمع"التلمساني"على وجه الخصوص، "فتلمسان" منطقة تشبه إلى حد بعيد المجتمع البريطاني أين نجد كل الخصائص والمقومات والأبعاد الاجتماعية موسومة كذلك في المجتمع "تلمساني"، حيث منذ زمن بعيد نلحظ أن ليس كل شرائح المجتمع التلمساني قادرة على الذهاب إلى المدرسة كما نميز كذلك تعدد المهن وما ينجر عن ذلك من فهرس المفردات الخاصة بتلك الوظائف وعامل الزرابي وعامل الأحذية ومصلح الساعات وما إلى ذلك من مهن، هذا من جهة، فالميلاد والتركة لهما أثر بالغ في الترتيب والتقسيم الاجتماعيين من جهة أخرى، ومن ثمة نوعية اللهجة والمنطوق، حتى إننا نحسن في بعض الأحيان أننا نعيش داخل مجتمع برجوازي يقدّس هذه المعايير

[1] - Booh . C L ife and Labour of People in London 1903.p61

[2] – Marwick.A.Class:image an d Reality .London.1980.P99

ونلحظ ذلك أساسا حينما يتقدم العروس لخطبة عروس، فأول الأسئلةهي:" **ولد من نتسينا؟**" بمعنى "ابن من أنت؟" فهذه العبارة إن تدل على أمر إنما على أن المجتمع التلمساني مجتمع برجوازي بكل ما تحمله العبارة من معاني، فعبارة "**ولد من نتسينا**" تدل على الميلاد، ولأصل، والتركة، والدخل، والمستوى الثقافي، والطبقة الاجتماعية، فالخصائص أو المعايير هذه مجتمعة تحدد نوع اللهجة وطريقة نطق المتكلم.

وتوجد عوامل سياسية تتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن البعض فضلا عن ضعف السلطان المركزي، والرباط الذي كان يجمعنا ويؤثر ما بينها من علاقات حيث أن اتساع الدولة وضعف سلطاتها المركزي وتفككها من الناحية السياسية ينتج عنها انهيار الوحدة الاجتماعية ومن ثمة انفصام وتعدد الوحدة الفكرية واللغوية .

هناك أمر آخر يستحق الإشارة هو أن "العوامل الاجتماعية النفسية التي تحدثنا عنها سابقا تمثل حقبا ميزة اجتماعية ومن ثمة ميزة لغوية، فالفروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير" [1].

والفرد بصفاته الاجتماعية يؤثر في اللغة التي يتكلمها أفراد المجتمعات الصغيرة أو الكبيرة التي ينتمي إليها، كما تؤثر اللغة السائدة في تلك المجتمعات في لغته أو لهجته الخاصة، فأفراد المجتمع جميعهم مقيدون إلى حدّ كبير باللغة المشتركة بين أفراد كل من تلك المجموعات، وينتج عن هذا التفاعل بين أفراد والمجتمعات المختلفة أن يصبح هناك عدد لا يحصى من اللغات أو اللهجات التي تميز كل منها أحد تلك المجتمعات الصغيرة والتي تختلف اختلافا طفيفا عن لهجة المجتمع الصغير الآخر المجاور له وعن لهجة المجتمع الأكبر الذي يضمه" [2].

وهذا ما يتضح جليا في وضع مجموعة من سكان بلد معين هاجرت إلى بلد آخر أين تكون هذه المجموعة المهاجرة أقلية فقيرة، وبائسة وغير متمدرسة في البلد الذي هاجرت إليه،

---

[1] – اللهجات وأسلوب دراستها. د . أنيس فريحة. ص 112.

[2] – اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، د. ت، ص 131–132.

فمع مرور الأيام تصبح هذه الأقلية تتكلم لهجة تربط بوضع متكلميها الاجتماعي بالتدني، وبالنسبة إلى السكان الأصليين تعتبر هذه اللهجة الجديدة لهجة عامية وشعبية فإذا حافظت هذه المجموعة على عادتها وطقوسها وبقي التزاوج يقتصر على أفرادها فيما بينهم كوّنت هذه المجموعة بنية إثنية مخالفة لمجتمعها; بيئة يلفّها الفقر والتخلف[1] وهذا ما يقره "**شيرير**" "***Scherer***" الذي يقول:

''There are two main sources of extra complexity. Firstly, there is geographical mobility people move from one place to another, taking their dialects with them even if they modify them in the course of time to fit their new surrounding ; the second being social; age, social class and sex''[2].

بمعنى "أنه يوجد عنصرين لعلاوة التعقيد، أولا"التنقل الجغرافي" فالناس ينتقلون من منطقة لأخرى آخذين معهم لهجاتهم على الرغم من أنهم يضطرون في بعض الأحيان لتعديل هذه اللهجات لتتماشى مع متطلبات الوقت ومحيطهم الجديد، ثانيا هي اجتماعية، السّن، والطبقة الاجتماعية، والجنس".

ومن اللغويين المحدثين من يركّز بالأساس على الاختلافات الاجتماعية وأثرها على الاستعمال اللغوي وحتى اللهجي، وهذا ما يفهم من مصطلحين مهمّين في علم الاجتماع اللغوي الحديث وهما "***Sociolect***" و"***Idiolect***" مما أعطي ميلاد مصطلح "***Social dialect***" الذي دعا إليه كل من "**فرقيسون**" و"**قامبيرز**" "***Ferguson et Gumperz***"

''The assumption with regards to inter- speaker attitudes may be stated in terms of two processes, first: any group of speakers of language X which regards itself a close social unit will tend to express its group solidarity by favoring those linguistic innovations which set it apart from other speakers of X who are not part of the group….On the other hand. Other things being equal, if two speakers A and B of language X communicate in language X and if A regards B as having more prestige than himself and aspires to equal B' s status, then the variety of X spoken by A will tend towards identity with that spoken by B….As Leach puts it in describing a somewhat different multilingual situation:<<For a man to speak one language rather than another is a ritual act, it is a statement about one's personal status; to speak the same language as one's neighbor expresses solidarity with those neighbors, to speak different language from one's neighbors expresses social distance or even hostility''[3].

_ [1]

[2] Ferguson and Gumpers, dialect reality and language, 1978, P: 96.
[3] Ferguson and Gumpers, dialect reality and language, 1978, P: 96.

بمعنى" الافتراض بالنظر إلى المواقف الداخلية للمتكلم يمكن أن تتجلى في سيرين: أولا أي مجموعة من المتكلمين للغة "س" التي تعتبر نفسها قريبة من الوحدة الاجتماعية سوف تميل للتعبير عن التضامن الطبقي بتفضيل تلك التجديدات اللغوية والتي تتمركز بعيدا عن متكلمين آخرين لـ "س"الذين ليسوا أفرادا من الجماعة، بالمقابل أشياء أخرى كونها عادلة إذا ما متكلمين " أ" و"ب" للغة "س" يتصلان باللغة "س" وإذا " أ" يعتبر "ب" أن له امتياز أكثر من نفسه وتطمح إلى منصب معادل للمتكلم " ب" ثم الشكل اللغوي لـ: س متكلما من قبل "أ" سوف يميل إلى نفس الهوية للمتكلم "ب"... وكما أقر "ليتش" "***Leach***" في وصفه لبعض المجتمعات أو الأماكن المتعددة اللغات يقول: "بالنسبة للإنسان أن يتكلم اللغة "أ" عوض اللغة "ب" فهو فعل طقسي، أنها عبارة تخص المنصب الشخصي أن تتكلم اللغة نفسها كالجار فهذا يعني التضامن مع الجيران وأن تتكلم لغة مغايرة للغة الجار فهذا يعبر عن البعد، والتباين الاجتماعي، وربما حتى العداوة".

فمما سبق حاولنا أن نبين أن للعوامل الاجتماعية دور أساسي في الاختلاف اللغوي واللهجي وأعطينا أمثلة عن المجتمع البريطاني الذي من جهة يمثل نموذج المجتمعات الطبقية، ومن جهة أخرى لتماثله وتشابهه مع المجتمع التلمساني. تفصيلات أدق خاصة بالفروق الاجتماعية وعلاقتها باللهجة ستكون موضوع حديثنا حين الحديث عن الاختلاف الاجتماعي وأثره في تنوع المنطوق، وهذا في الجانب التطبيقي.

لكن ما هو أكيد ويجب التأكيد أكثر عليه هو أنه عندما يتكلم أحد عن لهجة بيئية ما لا يتكلم عن لهجة عائدة إلى منطقة سكنية أو إلى إقليم جغرافي فحسب؛ بل يتكلم في الواقع وبدرجة أكبر عن لهجة اجتماعية مميزة.

"...du fort que le langage est une institution sociale, il résulte que la .linguistique est une science sociale. et le seul élément variable auquel on puisse recourir pour rendre compte du changement linguistique est le changement sociale dont les variation du langage ne sont que les conséquences"[1]

[1] Université d Oran - Gella . N. Sur la Notion de possédée/Possédons en Arabe. In Cahier de dialéctogie (Vo12)

بمعنى: ""اعتبارا أن اللغة هي أداة اجتماعية، يفرز أن اللسانيات هي علم اجتماعي، و العامل المتغير الوحيد الذي يمكن عده بالنسبة للتغيير اللغوي هو التغيير الاجتماعي؛ إذ أن التغييرات اللغوية ما هي إلا نتائج"".

وختاما وفي علم اللغة الاجتماعي ما يسمّى بالبدائل اللغوية وهي وتعني مجموعات من الكلمات والعبارات التي تشترك في المعنى وتختلف في آن واحد منها أو أكثر تحمل دلالة اجتماعية هذه الدلالة توفر معلومات عن المكانة الاجتماعية. [1].

1.2 : الانتماء الاجتماعي والتعدد اللهجي:

يقال بأنه يوجد من الأشكال اللغوية بقدر ما يوجد من الأفراد، ومن ثم كيف للمجتمع واللهجة باعتبارهما شكلان من الأشكال اللغوية– أن يتفاعلان؟ وتصل بهما الدرجة إلى حد التأثير والتأثر؟

كل ما هو كائن فهو قابل – لا بل ملزم– بالتغيير، فالمجتمع واللغة في تغيير دائم، وإذا كان لنا أن نتفحص أو نتأمل العلاقات القائمة بين التغيير الاجتماعي، والتغيير اللغوي سوف يتجلى لنا تغيير اجتماعي يقتضى بالضرورة تغييرا لغويا كليا– رغم أنه من المحتمل أن يكون هناك تغيير اجتماعي مستقل عن التغيير اللغوي– الأمر الذي لا يحدث عادة– ذلك لأن اللغة موثوقة بالمجتمع– وهي مرآة ينعكس عليها حال المجتمع– إمّا من تحضر وتقدم أو تخلف وانحطاط، " فكل تطور يحدث بتردد في أداة التعبير"[2] .

فاختلاف الطبقات داخل المجتمع وما يفصلها من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية عامل يؤدي إلى التمييز بينهما في المفردات التي تطلق على شؤون كل طبقة منها، الأمر الذي نلمحه داخل المجتمع "التلمساني" حيث يعكس المستوى اللهجي تبعا للطبقة الاجتماعية، أو النشاط الاقتصادي الذي يمارسه الفرد. ومن ثم تتضح منزلة كل واحد في سلّم الطبقات مما يعني أنه داخل أي جماعة لغوية توجد كلمات تعكس الخصائص

[1] E. Chaika . Language.the social mirror .USA. 1982.p30

[2] – اللغة والحضارة ، د. مصطفى مندور. بيروت دار العلم للملايين، 1970، ص: 145.

الاجتماعية للمتكلم أو المخاطب ومن ثم تنعكس العلاقة بينهما وهذا ما يظهر في الجانب المعجمي، وانتقاء المفردات، أو بعبارة أصح بـ " اللغوية" الخاصة لكل متكلم.

ومصطلح "اللهجة" هو الآخر– أو طريقة نطق بعض المفردات داخل جماعة لغوية ما– يمكن أن يستعمل أيضا كمعيار في وصف فروق الكلام التي تربط بجماعات أو طبقات اجتماعية عديدة وهذا ما يدعى باللهجات الاجتماعية.

ربما يكون ضروريا من الناحية المنهجية العلمية الحديثة أن نعرف بالمصطلحات الأساسية التي نقف عليها في هذا المبحث والتي تعتبر أعمدة هذا التساؤل، فبعد أن بينا كيفية تأثر اللغة– أو طريقة النطق– بالمستوى الاجتماعي، كان لزاما أن نتحدث عن مختلف العوامل التي تحدد الوضع الاجتماعي،فالمهنة، ومكان الإقامة، والدخل، والتعليم، والأصل العرقي، والخلفية الثقافية، والطبقة الاجتماعية والنوع والعمر، هذه العوامل مشتركة تحدد وترتبط ارتباطا مباشرا بالطريقة التي يتكلم بها الناس وكيفية نطق بعض المفردات.

وتتفرع لغة المحادثة أو تنوع المنطوق في البلد الواحد مثل ما يحدث في الجزائر وبصفة أخص في منطقة "تلمسان" إلى لهجات مختلفة تبعا لاختلاف طبقات الناس. وفئاتهم؛ ومن ثم نسمع باللهجة الأرستقراطية، وأخرى للعامة، ثالثة لتجار ورابعة للبحارين، تبعا للمهنة المحترفة والطبقة الاجتماعية المنسب إليها، وباختلاف الطبقات في بعض الأمم، وما يفصلها من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، يؤدي إلى التمييز بينها في المفردات التي تطلق على شؤون كل طبقة منها، فمثلا قدر الاختلاف في المفردات التي تطلق على أنواع الدخل والأجور في أمة ما يسجل مبلغ الاختلاف بين طبقات هذه الأمة في مستوى الحياة، والأصل اللغوي الذي يرجع إليه كل فرد منها يشير في صورة ما إلى عمل الطبقة التي يطلق على دخلها، وإلى نشاطها الاقتصادي، ومنزلها في سلم الطبقات"[1].

[1] – علم اللغة، د عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957، ص 261 .

المبحث الثالث: اختلاف النوع وأثره في تنوع المنطوق:

يقال أنّ هناك قبائل يتكلم فيها كلّ من الرجال والنساء لغة مختلفة كلّ الإختلاف، أو على الأقل لكلّ لهجة مميزة، وجدير بنا أن نلقي نظرة على المثال التقليدي لهذه الحالة وهو القبائل الكاريبية في جزر الأنتيل الصغرى، وقد وردت هذه الحالة في كثير من المؤلفات اللغوية والإثنولوجية، وأوّل من أشار إلى اختلاف لهجتي الجنسين في هذه القبائل **دومتيكان بريتون** الذي يقول في المعجم "الكاربي الرنسي" إن الرئيس الكاريبي قد أفنى كل المواطنين ما عد النساء اللواتي احتفظن بنصيب من لغتهن الأصلية.

يقول **روشفور**:" إن الرجال لهم تعابير كثيرة جدا خاصة بهم تفهمهم النساء ولا تتلفظ بها أبدا، ومن جهة أخرى للنساء كلمات وعبارات لا يستعملها الرجال أبدا وإلا عرضوا أنفسهم للهزء والاحتقار. وهكذا يظهر من محادثتهم أن للنساء لغة أخرى غير لغة الرجال.

وينبغي أن نلاحظ أن "**روشفور**" لا يتحدث عن كلام النساء والرجال كلغة أو لهجة مستقلة تماما، بل يشير إلى فروق معينة ضمن اللغة نفسها خلافا لما زعم غالبا من وجود لغتين مستقلتين.

ويمكن أن نلقي بعض الضوء على مسألة لغة النساء حيث يقول"**روشفور**" إن النساء لا يأكلن إلا بعد أن يفرغ الرجال من الأكل!

خصائص عامة:

إنّ سرعة تفكير المرآة يستدل عليه لغويا من بين استدلالات أخرى كثيرة بسرعة تكرار المرأة للضميرين" **هي** و**هو**" لا للدلالة على الشخص المذكور سابقا، بل لتدلّ على شخص آخر قفزت إليه أفكارها، في حين أنّ الرجل بتفكيره البطيء يظن أنها ما زالت في السياق نفسه.

وقد اختبر **رومانس** سرعة الإدراك عند الجنسن: فقد قدمت فقرة معينة لعدد من المثقفين وطلب إليهم أن يقرؤها بأقصى ما يستطيعون وأعطيت لهم عشرون سطرا، وحالما انتهى الوقت أخذت الفقرة وتبين أن النساء عادة أنجح من الرجال في هذا الاختيار. ولم

يكنّ أقدر من الرجال على القراءة السريعة فحسب. بل كنّ أقدر على إعطاء فكرة عامة عن موضوع الفقرة، ولكن اكتشف أنّ هذه السرعة ليست دليلا على التفوق العقلي. ولقد كانت طلاقة المرأة في الكلام موضع تفكه دائم وتسببت في انتشار عدد من الأمثلة الشعبية في أقطار مختلفة، فعند **أرو رالي** "وظيفة المرأة هي أن تتكلم" وعند "**أوسكار وايلد**" "النساء جنس للزينة، فليس لديهنّ أبدا ما يقلنه ومع ذلك يقلنه بطريقة فاتنة"، وفكرة المرأة لا تكاد تتكون في دماغهن حتى تنبت على لسانها.

وفي اللغة يبدو هذا الأمر واضحا جدا: فالعبقرية اللغوية في أرفع درجاتها والعجز اللغوي في أحط درجة ، فبقدر وجودهما بين النساء، وأعظم الخطباء وأشهر الأدباء كانوا من الرجال، ولكن قد يكون من الغراء للجنس الآخران نقرر أنه يوجد الرجال– دون النساء– كثيرون ممن لا يستطيعون وصف كلمتين معا، وهم يتلعثمون ويترددون ويعجزون عن تركيب العبارة المناسبة لأبسط الأفكار.

ولعل البعض يرى أن الأسباب التي أدّت إلى تطور هذه الفروق ليست بعيدة المنال. وهي تعود بصورة رئيسية إلى تقسيم الأعمال في القبائل البدائية وإلى حدّ بعيد في الشعوب المتحضرة، فمنذ آلاف السنين كان العمال الذين يحتاجون إلى استعراض قوي للطاقة خلال فترة قصيرة نسبيا لاسيما في الحرب وفي الصيد، وفي مثل هذه الظروف كانت فرص الكلام معدومة بل ربما كان الكلام مصدر خطر عظيم، وحين ينتهي الرجل من عمله القاسي كان يستسلم إلى النوم أو يبدد وقته بطريقة ما، أما المرأة فقد أنبطت بها سلسلة من الواجبات المنزلية لم تتطلب تلك الطاقة العضلية الهائلة. ولم توكّل بها الزراعة والأعمال الأخرى الكثيرة التي يتولاها الرجال في أوقات السلم العادية؛ بل كلّفت أيضا بتلك المجموعة من الأعمال التي ظلت حتى وقت قريب جدا مهمتها الرئيسية: تعدّ الأطفال والطبخ والخبز والخياطة والغسيل...وهي أشياء لا تتطلب فكرا عميقا وكانت تؤدي في وسط مجموعة من النسوة وما أسهل أن ترافقها ثرثرة مستظرفة. وما زالت آثار هذه الأوضاع قائمة في هذا العصر بالرغم ممّا يحدث في أيامنا هذه من تطورات اجتماعية هائلة قد تكون سببا قويا في تعديل العلاقات اللغوية عند الجنسين.

"Gender must be taken seriously in every kind and at every level of research, from

practical choices to methodological questions, as well as at every stage the research process.'' [1]

بمعنى: ""يجب أن يؤخذ النوع بعين الاعتبار في كل مستويات البحث اللغوي، من الاختيارات التطبيقية الى المسائل المنهجية و كذا على مستوى أي منهج في البحث"".

3 :هل يختلف الرجال والنساء في طريقة الكلام؟

بعض العلماء يرون أن الرجال والنساء في الغالب يتكلمون بطريقة مختلفة. دعنا نسلم ببعض الحقائق التي يقرّها بعض اللسانيين.

1- الرجال يعقّبون النساء أكثر من مرة.

2- الرجال يتجاهلون المواضيع التي يخوضها النساء في مختلف المناقشات.

3- الرجال لا يعطون أهمية فعلية لمشاركة النساء في المناقشة.

4- الرجال يستعملون طرقا حادة ومباشرة في الحديث، بالمقابل فإن النساء يستعملون طرقا غير مباشرة وأساليب التسامح في مختلف صيغتهم مثل (لست خبيرا، لكن...) [2]

5- الرجال يستعملون صيغا غير رسمية مقارنة بالنساء.

6- الرجال أكثر إبداعا، يقبلون التغير اللغوي بسرعة مقارنة بالنساء.

7- في سنة 2006، على سبيل المثال، في كتاب "**عقل النساء**"، أقرّ بعض العلماء أن معدل الكلمات التي تنطقها النساء هو20000 كلمة في اليوم، بالمقابل ينطق الرجال حوالي 7000 كلمة. ممّا يؤكّد أنّ النساء لا يتكلمون أكثر من الرجال فحسب وإنما حوالي 3 مرات أكثر.

1.3 :هل عامل النوع يؤثر على كيفية النطق؟

هذا السؤال وأسئلة أخرى سوف تكون مصب اهتمامنا في هذا المبحث، وسنعرض لهذه القضية من وجهة نظر أنثروبولوجية، ديالكتولوجية، سوسيولسانية. أوّلا لإظهار أن لغة

[1] Jarbiluoma, language and sex, harvard, USA, 2003, P : 29.
[2] language Matters. Donna jo Napoli and veva lee – Schoenfld.P142.2010

النساء والرجال تختلف فعلا، ثم لإبراز كيفية الاختلاف، سوف نحاول كذلك الإجابة عن السؤال الذي أرى أنه عصب هذا التساؤل، لماذا يختلف الرجال والنساء في طريق النطق داخل المجتمع "التلمساني"؟

في الوقت الراهن انصب اهتمام السوسيولسانيين على المتغيرات السوسيولسانية مقترنة بنوع المتكلم، وفي السنوات القليلة الماضية لمحنا انفجار في مجال البحث في هذا الموضوع، لذلك مقالات عدة طبعت في المتغيرات السوسيولولسانية وعلاقتها بنوع المتكلم.

والمصطلح نفسه شهد اختلافا بين العلماء الأوربيين والعرب، فالأوائل يفضلون مصطلح "النوع" "***Gender***" ويرون أنه أفضل من مصطلح "الجنس" "***Sex***"[1]، الذي يرجع بالأساس إلى التفرقة البيولوجية، بيد أنّ "***Gender***" هو المصطلح الذي يصف الفئات الاجتماعية بناءا على الجنس.

أمّا العلماء العرب فيقتصدون بمصطلح "الجنس" الأصل أو القومية التي ينحدر منها المتكلم، فيقال هذا من **جنس عربي** وهذا من **جنس قوقازي** والآخر من **جنس أوربي**، إلا أنّ المتعارف عليه في اللغة العربية هو أنّ التفرقة بين الجنسين في الاستعمال اللغوي هو مصطلح "**النوع**" ولذلك سوف نعتمد هذا المصطلح.

تجدر الإشارة إلى أننا سوف نسلّط اهتمامنا بالأساس على الفروق الكائنة بين المتكلمين الرجال والمتكلمين النساء أكثر ممّا بين كل مجموعة كالفرق بين النساء كمتكلمات، ذلك أنّ معظم الدراسات السوسيولسانية القديمة كانت مركز أساسا على الاختلاف الطبقي الاجتماعي، وعلى العكس من ذلك ظهرت تغيرات لسانية من نوع آخر كالمجموعة الإثنية، السّن، النوع، واللذين أصبحوا مطلوبين في المتغيرات اللسانية البنيوية. فمعظم الدراسات الكمّية أصبحت تعني بالمتكلمين الذكور والإناث وضمّوا جنسهم بين العوامل الاجتماعية كركيزة للتقسيم الاجتماعي.

[1] jennifer coates.wonen.Men and language. Longman Press.Second editon.1993.p03

وهناك نموذج يدعو إلى التساؤل قد ظهر بين هذه الدراسات هو أنّ الإناث (من كل مستويات الأعمار) يستعملون شكل لغوي أو لهجي راقي أكثر من الرجال، وسوف نرجع إلى هذا الموضوع بأكثر تحليل وتفصيل حين الحديث عن خصائص لغة النوعين.

فلقد نظرنا إلى طبيعة الطبقات الاجتماعية، إلى طبيعة الأقلية الخاضعة على وجه الخصوص وإلى الطريقة أو المنهج الذي يتخذونه للبحث عن تغيير منصبهم الاجتماعي [وهذا ما رأيناه حين الحديث عن الطبقات الاجتماعية والاستعمال اللغوي] والذي لا يظهر جليّا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية على وجه الخصوص. لقد ركزنا بالأخص على المرأة كجماعة اجتماعية لما لها من مكانة في المجتمع والدور الذي أصبحت تلعبه وفي كل القطاعات بدون استثناء، هذه الحقيقة أخذت بعين الاعتبار في تقدير مكانة كل من الرجال والنساء في المجتمع وكذا لإظهار العلاقة المتداخلة بين المجتمع وطريقة النطق من جهة والرجال والنساء والمجتمع من جهة أخرى.

والدراسات السوسيوليسانية كشفت على أن التغيير اللغوي والفروق في طريقة الكلام ليست عشوائية ولم تأت من العدم بل إنه منظم ومبني ومحكوم ببعض المعايير.

التغيير البنيوي الاجتماعي الموجود داخل الجماعة الكلامية يمكن ترجمته بأكثر من طريقة.

''Women as a social group are clearly different from men as a minority group they can also be seen as oppressed and marginalized'' (Breakwell.1979.Delphy 1984) [(1)].

بمعنى: ""فالإناث كجماعة اجتماعية هم يختلفون بالطبع عن الرجال ذلك لأن النساء يمكن أن ننظر إليهم كفئة مهمّشة ومضطهدة من قبل الرجال"".

الطريقتان الأساسيتان لإختلاف الجنس اللغوي تعكس نظريتين لوضعية ومكانة المرأة كمجموعة؛ الأولى: طريقة «التسلط أو السيادة" التي تنظر للمرأة كفئة مسلوبة من حقوقها وتترجم الاختلافات اللغوية بين الرجال والنساء تبعا لتسلّط وسيادة الرجال وتبعية النساء.

---

[1] - Peter Trudguill S ex.covert Prestige and linguistic change in the urban urban British English of Norwijch Languag in Society.1 Edition.p179

وتجدر الإشارة ههنا إلى أنّ الباحثين اتبعوا هذا المناهج يجنحون إلى إظهار وإبراز كيف لسلطة الرجال أن تلعب دورا في الاستعمال اللغوي.

"***Doing Power is often a way of doing gender too*** "[1].

بمعنى: "أن تتسلط عادة هي طريقة التفريق بين الجنسين"

إضافة إلى ذلك فإنّ كل المشاركين في الخطاب أو الحديث –الرجل والنساء على حد سواء – يتآمرون على دعم وديمومة السيادة للرجال، والظلم والجور للنساء، وسوف نرجع لاحقا إلى ذلك حين الحديث عن سمات لهجة أو لغة الإناث.

أما الطريقة الثانية فهي عبارة عن منهج مرسوم بمنهج الاختلاف ويركز على فكرة أن النساء والرجال ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين، وهذا منهج حديث العهد، بحيث أن **خلق** ثقافتين مختلفتين في السنوات الأخيرة يعتبر كنتيجة مباشرة وحتمية لتطور المقاومة التي تظهرها المرأة ورفضها لفكرة أنها فئة أقلية ومضطهدة.

عدم اعتبار النساء في الماضي نبع من مزج لثقافة الرجال، لكن النساء يكدون عكس ذلك في الوقت الحالي.

''But women are now asserting that they have a different voice, a different psychology and a different experience of love, work completely different of that of man[2] (Humm1989.p51)

بمعنى: ""النساء يزعمون أنّ لهم صوتا مختلفا، وعقلية أخرى، وتجربة أخرى في الحب، وفي العمل مختلفة كلّ الاختلاف عن تلك التي يعتمدها الرجال "".

وبمفهوم لساني، فالفرق بين كلام النساء والرجال يفسّر على أنه يعكس ويحفظ الثقافة الخاصة للنوعين.

وكل من المنهجين يظهر على أنه ينتج لمحات قيمة حول طبيعة الاختلافات الجنسية في اللغة، لذلك ولأسباب أخرى تبنّى العديد من علماء اللغة الاجتماعية طريقة لتسوية الوضعية ومن ثمة حاولوا الجمع بين المنهاجين.

---

[1] – jennifer coates .women.Men and language.Longman Press.Second edition.1993.p13

[2] - jennifer coates. Women Men and language . Longman Press. Second édition 1993.p13

لقد اعتبر هذا المنهج كرد فعل على الحالة التي كانت تعيشها المرأة، فالحركة النسائية تهدف إلى تغيير جذري في باب الثقافة منذ الأيام القديمة حيث كانت المرأة ضعيفة، وعامة مرتبطة بالرجل إلى وقت وأيام أخرى جديدة حيث لها منصب إجتماعي نفسه، والحقوق نفسها. سؤال لطالما طرح في هذا المقام، هل الطريقة التي تسمح لنا اللغة من خلالها بالعودة والتمييز والتفرقة بين الجنسين هي نفسها عند الرجال؟.

توجد أمثلة واضحة عن ذلك التمييز، ففي المجتمع الإنجليزي الذي يعد مهد التمييز العنصري، الاختلاف بين "**السيدة**" و"**الآنسة**" والذي ليس متوازيا مع مسميات الرجال يبين ما إذا كانت المتكلمة متزوجة أم لا[1]، وهو حال المجتمعات العربية والإسلامية عامة، لكن هذا يعطي نظرة خاطئة، ذلك أنه مهمّ جدا لكل من المرأة والرجل أن يظهر أنه متزوج أم لا.

لكن ما يشغل الفكر أكثر في ضوء فرضية "**سابير** و **وورف**" ***Sapir et Whorf*** هو وجود ميولات تجري نحو الاهتمام باللغة أكثر من تصنيف الدراسة حول البحوث المعجمية فقط والتي يكون لها عادة أثر على تفكير المتكلم. لأنها تتمركز على مستوى اللاشعور، ولذلك الأمر، يوجد نوعان من الدراسات يعتمد عليهما في الدرس الحديث.

* **النوع الأول** يتطلب الكلمات التي ترجع فقط لجنس أو لآخر مع كلمات أنثوية تميل لكونها أقل ملاءمة في المعنى.

"A classic pair is a master and mistress, where the male meaning is "good" and the female is "bad"; specifically, a mistress but not a master is a partner for extramarital sex. This sexual use of The female word is typical'' (Graddol and Swann)1989, P 110."[2]

بمعنى: "زوج كلاسيكي هو "ماستر"و"ميستر" أين نجد أن المعنى المرتبط بالذكر "جيد" والمعنى المرتبط بالأنثى "سيء" بالأخص أن "ميسترس" وليس "ماستر" هو شريك جنسي غير شرعي، هذا الاستعمال الجنسي لكلمة الأنثى هو خاص بها".

* أما **النوع الثاني** من الدراسات والذي يظهر أنه غير عادل يتطلب مبدأ النموذج الأولي، فالمصطلح الذي نستعمله كمعنى للكلمة يميل إلى التمركز حول الحالات الواضحة.

---

1 Key Mary Ritchie, Male/ Female language, The Scarecrown Press, 1975, P 89.

2 R.A. Hudson, "Language and Sexism" Sociolinguistics, Cambridge University Press, second edition, 1996, P: 102.

لنضرب مثالا نوضح من خلاله هذه العلاقة التي تبدو نوعا ما غامضة، مثلا طائر يشبه كثيرا الطائر الدوري أو أبو الحناء، والذي يترك النعام أو البجع كعصافير غير نموذجية.

والمشكل المطروح هو كيف لنا أن ينطبق ذاك على كلمة "**دكتور**" والتي يظهر أنها جنسيا حيادية [1].

* وإن الإناث يستعملن الأساليب غير المحدّدة والمترددة من الكلام، مثل أسلوب الأسئلة المختصرة التي تضاف إلى الجمل الإخبارية، ما يعرف بالإنجليزية "***tag question***" مثل: **إنه فوق الطاولة، أليس كذلك؟** وقد لا يكون هذا بسبب نقص في معلوماتهن، وإنما يفعلن هذا ليعززن الصورة الأنثوية التي تعكس التبعية للذكور، والرغبة في عدم إظهار صورة عدوانية أو وقحة [2].

أفكار قلائل تظهر أن النموذج الأولي لكلمة "**دكتور**" يجب أن تكون ملتصقة بالمذكر، وعندما أردنا أن "**تجنّس**" الدكتور فهذا لا يتماشى مع الكلمة، فثمة علينا أن نخصص الكلمة للمؤنث وليس المذكر [3].

ربما كان حديثنا وتحليلنا أكثر ممّا يوحي به عنوان هذا المبحث الذي يوحي بضرب أمثلة من منطوق النوعين ثم الاختلاف الصوتي، والصرفي، أو حتى المعجمي، لكن قمنا بذلك عن قصد أين مهدنا وصحّحنا بعض المبادئ وأجبنا من خلال ذلك عن بعض التساؤلات التي لطالما شغلت بال العام قبل الخاص في التفريق وأسباب ذلك بين منطوق وكلام النوعين وعلى الرغم من ذلك سوف نعطي أمثلة حية من منطوق "تلمسان". لكن قبل ذلك لا تزال بعض الأسئلة ومن تلك التساؤلات؛ هل يوجد– وعلى الرغم من كل ذلك التفريق والتمييز بين لهجة أو منطوق النوعين– تواصل لغوي؟

---

[1] علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه،د. صبري إبراهيم السيد، ص 221.

[2] نفسه. ص 224– 225.

[3] نفسه. ص 221.

قبل الإجابة على سؤال من هذا الحجم كان لزاما علينا أن نمهّد ونعرّف ببعض المصطلحات.

في مجتمع أين يمثل النوع- بجنسه- فئة لا بأس بها.فاللغة لها دور أساسي تلعبه في مساهمة هذه الفئة كمناقشة موضوع اللاتواصل بين متكلمين راشدين مثلا في حديث مختلط يوحي بأن الرجال والنساء يتكلمون لغة أو لهجة مختلفة، وأن لهم أنظمة مختلفة في الحديث لأنهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة، ومثال ذلك هو حديث فتلقى في المدرسة والفرق بين لغتها ولغة من المستوى نفسه يوحي بأن هذا التمييز أو الاختلاف متعلق بالأساس باضطهاد أو ظلم- بالمعنى الضيق للمصطلحين- الفتيات أو سيطرة وسيادة الذكور. الطريقة الأولى تركز بالأساس على **الفرق** بين دور الجنسين وهوية النساء والرجال، أمّا الطريقة الثانية تركز على طبيعة مراتب النوعين وسلطة الذكور، لكن ما هي النتائج التي تترتب على هذا الاختلاف يا ترى؟.

- **أولا:** مشكل عدم التواصل بين الرجال والنساء والذي سوف يتجلى في ضوء طبيعة التفاعل.

- **ثانيا:** مشكل السلبيات الذي سوف يتنامى في سياق التصرف اللغوي أو اللهجي المختلف بين نوعين داخل القسم.

العمل في مشكل اللاّتواصل في حديث الراشد يتجه إلى الاختلافات النوعية اللهجية كمعطى، ويهتم أكثر بوجه دقيق في الحديث عن مدى انعدم التواصل بين الرّجل والمرأة.

والدراسات التي تهتم بالتفاعل داخل القسم، هي على النقيض من دلك، يمكن أن تنتقد الضغط الاجتماعي للطبقتين من منظور لغوي، والعديد من الباحثين يعتقدون أن الإناث يخفقن عادة في تحقيق رغباتهن في المدرسة وأن اللغة هي أحد العوامل التي تمنع ذلك الهدف.

"some commentators (Maltz and borker 1982, Tannen 1991) have even gone so far as to describe conversation between women and men as "cross- cultural communication"[(1)].

[1] Jennifer coates; women, Men and language, Longman Press, Second edition, 1993, P 187.

بمعنى: ""فبعض المهتمين كـ (**مالتز** Maltz و**بوركر**1982 **وتانين** ***1991Tannen***) ذهبوا إلى وصف الحديث بين الإناث والذكور على أنه تواصل مفترق الثقافات"".

لذلك سوف نبدأ أولا بتلخيص أهمّ الخصائص المتعلقة بحديث أو كلام النساء مقارنة بنظيره عند الرجال.

1.1.3 :أهم الخصائص التي تتسم بها طريقة الاستعمال اللغوي عند الإناث مقابل الذكور:

* الإناث محافظات في استعمال اللغة أكثر من الذكور [1].

* لغة الأطفال أسلوب للكلام تستعمله الإناث أكثر ممّا يستعمله الذكور، والأمهات قد يستعملن هذه اللغة مع أبنائهن أكثر مما يستعملنها مع بناتهن [2].

* الذكور يستعملون "لغة الشرح" في مخاطبة الإناث، فهم دائما يشرحون أشياء للإناث ومن النادر أن نجد ذكرا عنده صبر أو رغبة في الاستماع إلى شروح من أنثى، فالذكور هم الذين يعطون المعلومات، وهم لا يهتمون بإكساب الإناث معرفة أكثر، وإنما يهتمون بإظهار تفوقهم [3].

* لغة الاعتذار تخص الإناث إلى حدّ كبير، فالإناث دائما يأسفن أو يسألن الغفران سواء كنّ يلمن على شيء أو لا، فهي طريقة حياة بالنسبة للإناث [4].

* الثرثرة عادة أنثوية أصيلة.

* الإناث في بعض المجتمعات لا يستعملن اللغة التي يستعملها الذكور، وهذا ما نجده في المغرب العربي حيث يستعمل الرجال اللغة العربية فضلا عن اللغة الأمازيغية.

* الإناث يلتزمن الصمت في المواقف التي يتكلم فيها الذكور، والزوجة المثالية في بعض المجتمعات تصمت في حضور زوجها، وعندما يجتمعان ينبغي عليها أن تتحدث هامسة [1].

---

[1] Key May Ritchie, Women, Men and language. Longman Press. Second Edition.1993. p: 187

[2] علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه. د. صبري ابراهيم السيد ص 219.

[3] نفسه. ص 220.

[4] Key Mary Ritchie. Male/ Female Language. P 36/ 37.

* كلمات الحب تصدر عن الذكور، والذكور هم الذين يبدأون بها لا الإناث [2].

* في كثير من اللغات ما يعتقد بأنه تحيز للرجل ضد المرأة، ومن ذلك قاعدة التغليب التي نعرفها في اللغة العربية، والتي تقضي باستعمال ضمير المذكر للإشارة إلى الأسماء التي قد تشمل المذكر والمؤنث معا، وفي الإنجليزية مثلا مفردات وعبارات تشير إلى ذلك التحيز فحين تقول "***He is a professional***" تقصد أن الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحترمة كالطب والمحاماة وأمثالها. أمّا إذا غيرت الضمير إلى "***She***" صار المعنى أن المرأة تحترف الدعارة، ومثل ذلك كلمة "***mister***" التي تعني "السيد" في حين أن مؤنثها "***mistress***" يعني العشيقة [3].

* ونختم هذه الفروق بأنّ "الشخص الذي يكون ثرثارا، يتكلم كثيرا، وسليطا عند النقد ومخادعا عند الشكوى، ومزعجا أشد الإزعاج عند طلب شيء، ودائما ينهمك في القيل والقال لابد أن يكون امرأة.[4]

2.1.3 :الفروق اللغوية بين الذكور والإناث:

تتضمن الفروق اللغوية بوجه عام: السمات الصوتية، والسمات الصرفية، والسمات النحوية، والسمات الدلالية.

1.2.1.3 :الفروق الصوتية:

يتضمن المكون الصوتي ما تتضمنه طريقة نطق الأصوات وتعتمد طريقة النطق على التنغيم "***Intonation***"، والطبقة الصوتية "***Pitch***"، وطول الصوت، والنبر "***Stress***"، وصوت الإناث له خصائص تختلف عن صوت الذكور نوضّحها من خلال النقاط الآتية:

أ* الإناث يستعملن أنماط من تنغيم الجملة تزيد في العدد عما يستعمله الذكور [5].

---

[1] أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف حزما، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 245.

[2] علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياه. د. صبري ابراهيم السيد. ص 22.

[3] أضواء الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف حرما، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 235.

[4] Chaika E, language, The social mirror, USA, 1982, P 204.

[5] Chaika E, language, Thesocial mirror, USA, 1982, P 205.

ب* التنغيم عند إناث يتميز بأنه أكثر عاطفية [1].

ج* الإناث يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة، تتشابه بالطبقة الصوتية عند الأطفال وتكون أكثر حدة من أصوات الذكور، وهنّ يستعملن هذه الطبقة الصوتية التي هي أعلى من المعتاد كي يوحين بالبراءة والأنوثة والضعف والانكسار، أما الذكور فيستعملون طبقة صوتية خفيضة مبالغ فيها، للدلالة على الذكورة [2].

د* على مستوى الأصوات الشفوية ***oral***، والأصوات الأنفية، نلاحظ أن النطق من الأنف هو خصيصة لكلام الذكور المراهقين، والذكور والذين يحاولون أن يبدوا حازمين [3].

هـ* في لغة التودّد والغزل نلاحظ أنّ الأصوات الخفيضة والأنفية تبرز عند الذكور، وأن الأصوات الشفوية تبرز عند الإناث.

و* تتميز أصوات الإناث عن أصوات الذكور عند ممارسة التقليد الإزدرائي [4].

ز* الإناث ينطقن الأصوات بوجه عام في صورة مرققة [5].

2.2.1.3 :الفروق الصرفية:

وهناك فروق في اختيار الكلمات:

أ* الإناث يملن إلى استعمال كلمات تؤكد على أنوثتهن مثل: "**فاين، جذاب، رائع، يحمّأ، حلو، لطيف**"، كما تزخر لغتهن بالصفات التي تعبّر عن قوة العاطفة سواء كانت حقيقية، أو تستعمل من باب المجاملة فقط مثل: **يجنن، مش ممكن** [6].

ب* الإناث يستفدن كثيرا من أساليب التقوية "***Intensifier***" وكلمات التوكيد الغالبة مثل: **جدّا، ضخم، هائل، تماماً** [1].

---

[1] علم اللغة الاجتماعي، مفهومه قضاياه. د. صبري إبراهيم السيد. ص 221.

[2] نفسه. ص: 222.

[3] نفسه، ص: 222.

[4] أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف حزما، عالم المعرفية، الكويت، 1978، ص: 23.

[5] نفسه. ص :24.

[6] علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه،د. صبري ابراهيم السيد. ص: 223.

ج* الإناث تحرصن على استعمال أفعال معينة، وصفات معينة، بل إن اللغة العربية تخصّص وزن **فعال** لسب الأنثى مثل: يا **فساق** أي "يا فاسقة" [2].

د* الإناث اللاتي يتحدثن الإنجليزية يملن إلى استعمال الصيغ المصوغة بتضعيف حرف أو مقطع مثل: ***itsy/ bitsy- teeny/ tiny*** [3].

هـ* الإناث يستعملن بعض المفردات التي لا يستعملها الرجال عادة، ويستعملن بعضا منها استعمالا تختلف عما يفعل الرجال، ومن أمثلة ذلك استعمالهن لعدد أكبر من الألوان. كما هو الشأن في تلمسان **زنجاري، تركواز، البمبي**...الخ .

أمّا الألوان التي تدور حولها اهتمامات الذكور فهي **البني، الأحمر، الرمادي، الأخضر، الأزرق.**

3.2.1.3 :الفروق النحوية:

أما فيما يتعلق بالفروق النحوية فهي كالآتي:

أ* إن الإناث يستعملن نماذج التنغيم ترتبط بالدهشة والأدب، أكثر مما يفعل الذكور [4].

ب* إن الإناث قد يجبن عن السؤال بعبارة تستخدم نموذج النغمة الصاعدة الذي ترتبط عادة بسؤال أكثر من نموذج النغمة الهابطة الذي يرتبط بالكلام الخبري [5].

ج-* إن الإناث غالبا ما يضفن أسئلة ختامية "أليس كذلك؟" **ولا مش بصح؟**

د-* إن لغة الإناث يظهر فيها الميل إلى **الغلو**، حيث تصاحبهن نماذج قوية مثل "سوف لن يسامحني أبدا" أو كما هو شائع في تلمسان **تحمأ بزاف** أو **تسغوي متسعرفش كيفاش.**

---

[1] علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، د. صبري إبراهيم السيد، ص: 222.

[2] نفسه، ص: 223.

[3] Key :Mary Ritchie, Male/ Femal language, The scarecron Press, Inc, Metuchen, 1975, P 75.

[4] علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، د. صبري إبراهيم السيد، ص :222.

[5] نفسه، ص: 223.

هـ-* إن الإناث لا يستعملن التراكيب الدالة على **الأمر** التي هي طريقة بسيطة ومباشرة لطلب فعل مثل "أحضر هذا" أو "اذهب هناك" يستعملن التراكيب الدالة على الاستفهام مثل "هل بإمكانك أن تحضر هذا؟" أو "هل تستطيع الذهاب إلى هناك؟" [1].

ز* إن لغة الإناث تكثر فيها التراكيب الشكلية ***Modal*** التي تشير إلى أنواع الحدث والإمكانات والاحتمالات والشك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيستعملن كلمات مثل: **أظن، يظهر لي،** وفي لهجة تلمسان "**يبالي بدّ**" وفي الإنجليزية يستعملن كلمات مثل: ***Shall, should, may, might, can, could*** وهنّ يستعملن هذه الكلمات كثيرا لإظهار الغموض وعدم الجزم أو التأكيد، أما الذكور فيستعملونها قليلا ويميل كلامهم إلى أن يكون أكثر تحديدا وجزما، حتى وإن لم يكن صحيحا [2].

4.2.1.3 :الفروق الدلالية:

أما فيما يخص الفروق الدلالية فنشير إلى ما يلي:

ح* إن لغة الإناث تقل فيها الكلمات التي تنتهك الحرمات وتدل على الفحش [3].

ط* إن أنواع الإسم قد يتعارض مع نوع الشخص ففي اللغة الفرنسية مثلا الكلمتان طبيب "***médecin***" وأستاذ "***Professeur***" لا مؤنث لهما، ويضطر الفرنسي المهذب إلى أن يقول: المرأة الطبيب "***la femme médecin***" والمرأة الأستاذ "***la femme Professeur***" معتبر أن كلمة ***femme*** دالة نسبة تشير إلى الجنس [4].

ويصرّ بعض الناس على وصف المرأة التي تشغل وظيفة معينة بأنها دكتور أو أستاذ أو مدير أو عضو أو أمين عام باستخدام صيغة المذكر، وتصور أنت الحرج الذي يمكن أن تواجهه حين تقول "المدير حامل" على سبيل المثال !

---

[1] نفسه، ص :223.

[2] Key Mary Richie, Male/ Female language, The scarecron Press, Inc, Metuchen, NJ, 1975, P 75.

[3] نفسه. ص 77.

[4] اللغة ل فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، د. محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1985، ص 128.

وقد تصدى مجمع اللغة العربية لهذه المشكلة وأصدر قرار بعدم جواز وصف المرأة بدون علامة التأنيث في ألقاب المناصب والأعمال.

والملاحظ أن مجالات الإناث التقليدية هي **الألوان، الموضة، المكياج، التسريحات، الخياطة، والطبخ** فضلا عن الدورين الأساسين الولادة والتربية، بالمقابل فمجالات الرجال التقليدية هي **الآلات، والحرب، والسياسة، والعمل، وخارج المنزل، والسيارات** لكن هذه المجالات تغيرت في أيامنا هذه وصار الخبير في **الموضة وتسريحات الشعر والعطور وطب النساء** من جنس الرجال، وصرنا نسمع بالمقابل عن إناث يشتغلن بالسياسة والإدارة والحكم، وقد تعبّر الواحدة منهن عن نفسها بصيغة الذكور فتقول مثلا: "الواحد يبحث عن" وهي تعني نفسها أي جنس الإناث.

وفي الآونة الأخيرة تحدثت وسائل الإعلام عن بحث طريف قام به العلماء حيث أدخلوا عددا كبيرا من أصوات النساء وأصوات الرجال إلى الكمبيوتر وخرجوا بنتيجة تبيّن لاحقا أنها أزعجت النساء وهي أن أصواتهن تقترب هذه الأيام من أصوات الرجال، ولعلنا نلحظ هذا بين النساء اللائي ينتمين إلى الطبقات الشعبية أو المستويات الدنيا [1].

تحدثنا مطولا عن أبرز الخصائص التي تميز لغو ولهجة الإناث عن الذكور، وقبل الخوض في التحليل بتلمسان ارتأينا إلا أن نوسع دائرة هذا المبحث وذلك بالحديث عن الحركات الجسمية- والتي في مطلق الأحوال تعد لغة أو على الأقل طريقة التواصل- وطريقة التعبير عن الوجدان والعواطف وما إلى ذلك من أحاسيس عبر حركات جسمية، ومردّ ذلك هو إمّا أن المتكلم لا يجد العبارات للتعبير عما يشعر به، وهذا ما هو شائع حيث أن أعظم اللحظات وأهمّها لا نجد لها مفردات هذا من جهة، ومن جهة أخرى لتعذر التعبير بسبب "الحضر اللغوي" أو الكلام المحظور اجتماعيا "***taboo***" إليك أهم تلك الحركات.

[1] Middle sex, Berger and Luckman, Penguin Press, 1971, P 15.

4 :الحركات والنوع:

تقتصر بعض الحركات الجسمية على الذكور، وبعضها الآخر على الإناث، فنوصف هذه الأخيرة بأنها حركات "حريمي"، ومنها الحركة التي تتركب من وضع السبابة أفقيا فوق الحاجب وتتميز بها "بنت البلد" وتتفق مع اللهجة الاجتماعية التي تتكلم بها، وتصاحب كلمة **يادلعي أوياختي** [1].

ومن الفروق الحركية بين الذكور والإناث ما يلي[2]:

* الإناث يملن رؤوسهن للتعبير عن الحياء والخضوع.

* الإناث يستعملن عيونهن بطريقة مختلفة عما يفعل الذكور، وفي ذلك عدة معاني.

* الإناث ينظرن الواحدة إلى الأخرى أكثر مما يفعل الذكور، وعندما نلاحظ سلوك زوجين في حفل عام، نجد المرأة تنظر إلى زوجها أكثر مما ينظر هو إليها.

* الإناث يبتسمن أكثر من الذكور بصفة عامة، وهن لا يفتحن أفواههن بالصورة التي يفعلها الذكور، وقد يضعن أصابعهن على شفاههن من حياء، ويضحكن دون قهقهة، وإن فعلت واحدة منهن ذلك نظر إليها نظرة إزدراء.

* الإناث في الأحياء الشعبية يعبّرن عن عدم الرضى بتحريك الفم يمينا وشمالا، وقد تصحبها صمصمة.

* الإناث يعبرن عن الشعور بالتوتر أو الارتباك أو الحيرة بوضع أصبع على أسنانهن الأمامية السفلى مع إبقاء أفواههن مفتوحة قليلة، أو وضع أصبع تحت ذقونهن أمّا الذكور فيعبرون عن ذلك بحك الرأس أو حك الذقن أو الضغط عليها باليد، أو شد شحمة الأذن، أو حك الجبهة، أو الخد، أو حك الأنف، أو وضع الأصابع مع ثنيهما فوق الفم، أو حك جانب

[1] – دراسات علم اللغة، د. فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص: 182.

[2] – علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، د. صبري إبراهيم السيد، ص: 189.

من جانبي الرقبة أو حك الجزء الواقع تحت محجز العين وهي مغلقة أو حك ظهر اليد أو الفخذ أو تغضن الشفتين [1].

1.4 :خصائص الشكل اللغوي للنوعين:

إضافة إلى كل تلك الفروق والخصائص التي تميز كل شكل، توجد بعض الحركات وميزات أخرى يتميز بها نوع آخر، نلخّص مجملها وأهمها في الموضوع التالي:

فالفتيات يميلون إلى الأمام ويدرن رؤوسهن باتجاه بعضهن، وينظرن إلى بعضهن مباشرة، الرجال على العكس من ذلك ينحون إلى الخلف ويتحاشون النظر إلى بعضهم البعض. خاصية أخرى تميز النساء عن الرجال هي أنهن مثلا يناقشن موضوع واحد في نصف ساعة أو أكثر، يتقاسمن معلومات كبيرة تخص كل واحدة منهن ويتحدثن عن عواطفهن وعلاقتهن. والرجال بالمقابل، ينتقلون من موضوع لآخر في فترة زمنية قصيرة، ويتنافسون في رواية النوادر والقصص التي تتعلق "بالتفوق والعدوان" ويتكلمون نادرا عن أحوالهم الشخصية ويفضلون البحث عن فرض أنفسهم على أنهم أكثر علما وأخبار حول القضايا الراهنة، يتحدثون كذلك عن السفر والرياضة والمغامرات.

كما أن إدارة الحديث تختلف قلبا وقالبا بين فئات النساء والرجال، النساء تكن أكثر حذرا لاحترام دور كل واحدة منهن ويطلبن المعذرة إذا ما تكلّمن كثيرا، فكل النساء يفضلن أن تشارك كل واحدة في الحديث ويتذمرن إذا ما سيطرت واحدة على الحديث، على عكس من ذلك الرجال يتنافسون عن السيطرة في الحديث ويبحثون كل وقت عن السلطة في الحديث.

ميزة أخرى تفرّق أسلوب النساء والرجال في الكلام هو أن الرجال يخاطبون كل الجماعة بنسب مختلفة، إلاّ أن النساء عادة ما يفضلن حديث الواحدة للواحدة، ويعزى ذلك بالأساس للأسباب السابقة الذكر ومن أهمها عدم السيطرة في الحديث والإفشاء لبعضهن بأسرار عواطفهن، وهذا ما يقره "**آريس**" "***Aries***" 1976.

[1] – المرجع السابق. ص:190.

"***Individual man frequently address the whole group (33% of the time on average, in Aries' s (1976) experimental group), preferring an interpersonal style involving one- to- one interaction"*** [1].

بمعنى: ""عادة ما يخاطب الرجال الجماعة بنسبة 33/ حسب دراسة آريس، مفضلين أسلوب شخصي للحديث فيما بينهم"".

وعملية أخذ الدور في حديث للرجال يظهر أنها تتماشى مع تلك التي تنبأ لها النموذج المطوّل لـ:"**ساكس**" "***sacks***" والحديث مبني على مبدئين:

المبدأ الأول هو أن المتكلم يتكلم في وقت معين، و**المبدأ الثاني** هو من يتكلم لاحقا.

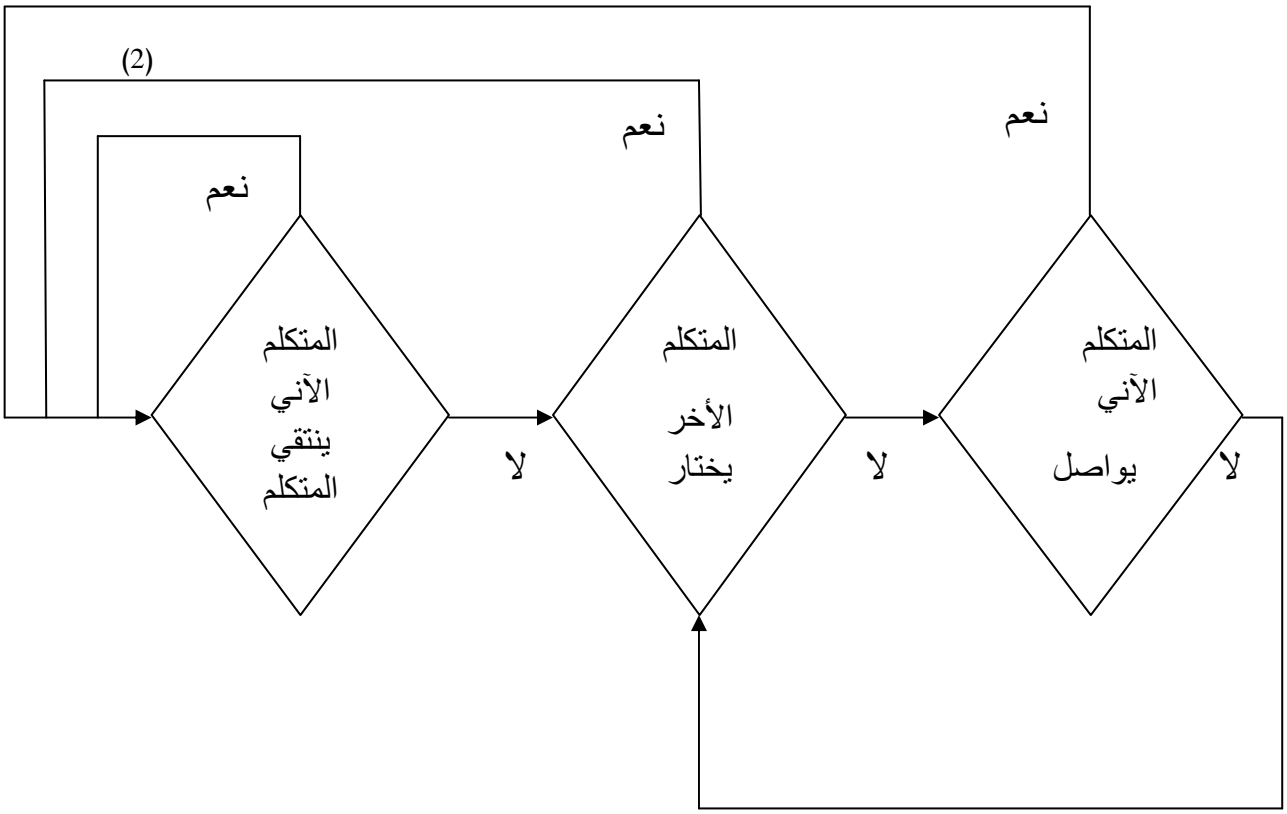

الرسم يبين أخذ الدور حين الحديث

[1] Jennifer coates, women, Men and language, Longman Press, second edition, 1995; p 187
[2] Jennifer coates. Women, men and langage . longmen .2nd Edition .1995. p 108.

لكن الطرح الذي لا يزال قائما هو هل– وعلى الرغم، وفي ضوء المعطيات السابقة– يوجد تفاعل بين المتحدثين؟

الصورة السابقة تبين أن المتحدث يمكن أن يعيّن من سيكون المتكلم الذي يأتي بعده وذلك إمّا بطرح سؤال أو بتعينه بإسمه مباشرة، وفي هذه الحالة على الشخص المعين أن يتكلم. وإن لم يعين الشخص المتكلم من سيتكلم في هذه الحالة واحد من المشاركين في الحديث سوف يختار لنفسه أن يتكلم، وإذا لم يفعل أحدهم فهنا على المتكلم الأول أن يواصل حديثه.

"West (1975), Zimmer(1977) "taped thirty- one conversations involving two participants in coffee shops, drugstores and other public places on the campus of the university of California, ten conversation took place between two women, ten between two men, and eleven between one men and one women. They analyzed these conversations in terms of the model... because they were particularly interested in the mechanisms of turn- taking, how do speakers know when it is their turn to speak? It seems that participants in conversation anticipate the end of the current turn by using syntactic and semantic clues" (1).

بمعنى: ""لذلك الشأن أقام كل من "ويست و زيمرمان" West & Zimmerman ما بين 1975 و 1977 تجربة حيث أقام إحدى وثلاثين (31) محادثة بمشاركة متكلمين في مقهى ثم في صيدلية وفي أماكن عمومية أخرى. في الإقامة الجامعية لكاليفورنيا عشرة محادثات سجّلت بين امرأتين وعشرة أخرى بين رجلين، وإحدى عشرة امرأة ورجل، وأخلصوا إلى أن محادثة من ذلك الطراز – كالظاهرة في الصورة– تتركز على الميكنزمات التي تحكم من يتكلم لاحقا؟ وكيف يعرف المتكلمين أنه حان دوره ليتكلم؟ لكن يظهر أن المتكلمين يستبقون نهاية الحديث بدلالة أو إشارة نحوية وحتى دلالية"".

إذا في هذا المبحث ركّزنا على بعض المبادئ السوسيولسانية التي تظهر الاختلاف النّوعي أو الجنسي وناقشنا كذلك بعض الأسباب التي تفسّر هذه الظاهرة، والمعروف أن في أي مجتمع، فإن كل الرجال والنساء يمثلان الفئة الأكثر أهمية، بمعنى أن عناصر الجماعة

[1] Jennifer coates, women, :en and language, Longman Press, second edition, 1995, P 111.

يختلفون عن بعضهم البعض وليس فقط في النوع وإنما حتى في بعض المعايير الثقافية والنفسية وما إلى ذلك.

ليس من المفاجئ، أن "النوع " أصبح هو الآخر متغيرا مهمّا في الأبحاث السوسيولسانية، ولقد أثبت علم اللغة الاجتماعي أنه توجد بعض الاختلافات النوعية في اللغة والتي عادة ما تكون ضمن المتغيرات الطبقية الاجتماعية، ونساء الطبقة الوسطى أظهروا أنهن يستعملن أشكالا لغوية رسمية؛ أمّا الرجال الذين ينتسبون إلى الطبقة الدنيا أو العاملة فتبيّن أنهم يستعملون أشكالا غير رسمية.

لكن لماذا يا ترى يحب النساء استعمال أشكال أقرب إلى العامية؟ سؤال من هذا الطراز يتطلب بحوثا وتجارب كثيفة لا يسمح لنا المقام أن نغوص في تفاصيلها، إلاّ أن المؤكد هو أن النساء يفضلن أن يخرجن من تحت سيطرة الرجال من جهة، ويحببن أن يكن مختلفات عن الرجال من جهة أخرى وذلك لإظهار قوتهن ونفوذهن فيخترن اللغة كوسيلة لذلك.

لقد أصبح ظاهرا وجليا أن هذا النوع من الدراسات والكم الهائل من الإيجابيات التي يخدمنا بها علم اللغة الاجتماعي أصبح نوعا ما "ضيقا" إذا ما قارناه بدراسات أخرى ميدانية بحتة والتي تهتم أساسا بدور اللغة في المجتمع كأسباب الاختلاف اللغوي بين الرجال والنساء، ثم لماذا يتكلم النساء أكثر من الرجال؟ كيف لنا أن نفسر ظاهرة اللغة من منظور أنثربولساني ومنظور علم النفس اللغوي، وعلم اللغة العصبي، أو علم الدلالات؟ وفي ضوء المعطيات الآنية ونمو الوعي لدى الدارسين أصبح لزاما على دارس اللغة أن يتعدى هذه الدراسات المبتدلة القديمة ليهتم بتحليل "الحديث" البراغماتي كعلم المنهجية الاثنولوجي، ونظرية الفعل الكلامي والذين كان لهما تجارب لا بأس بها في هذا الميدان [1].

أمّا الظاهر في المجتمع "التلمساني" فهو ندرة الاتصال بين كل من الرجال والنساء إلاّ في مواطن قليلة ربما تفرضها الحاجة الملحة، ويعزى ذلك النقص في الاتصال بالأساس للتقليد، وأعراف المنطقة، ووضعية المرأة داخل المجتمع "التلمساني"، وكيفية الكلام وخاصة

[1] S. Carey. The Neurolinguistic theory and Psychological Reality. M. I. T Press Cambridge. 1999. P 158.

النطق الذي تتميز به هذه المنطقة وعلى وجه الخصوص النساء، فالرجال لا تكاد تلحظهم يتحدثون مع النساء أو يتبادلون أطراف الحديث إلاّ في مواطن نادرة تدفعهم إليها الحاجة، وحتى في تلك المواطن يكون الاتصال غير ناجح بنسبة مطلقة لأن "الأمر المفروض عادة ما يكون مرفوضا" " ***''Change imposed Is a change opposed '***

خلاصة عامة:

لكن وعلى الرغم من كل ذلك إلاّ أنه تبين من خلال الدراسة التي قام بها **جانيت هايد** ***(Janets hyde)*** سنة 2005 (وهو عالم نفس أمريكي) أنه لا يوجد فوارق شاسعة وواضحة بين الجنسين في مسألة من يتكلم أكثر من الآخر، عكس ما يظنه البعض، لكن الدراسة بينت أنه يوجد فوارق في إستعمال بعض الأساليب والكلمات عند النساء من جهة وحب السيطرة على المناقشة وذلك لإظهار قوة، منصب وصلابة الرجال تجاه النساء من جهة أخرى.

"***Janet S Hyde pointed out, on closer inspection, the results of these studies very often show more similarity than difference".***

بمعنى: ""و بتفحص دقيق، تظهر نتائج هذه الدراسات أن هناك تشابه أكثر منه اختلاف"".

المبحث الرابع: التدريج السني وأثره في تنوع المنطوق:

يلاحظ كل فرد داخل الجماعة أنّ هناك فروقا في الطريقة التي يتكلم بها الناس، على اختلاف أعمارهم" ونحن عادة ما نصف كلام الأطفال بأنه كلام"صبياني" ونصف كلام المراهقين بأنه كلام" متهوّر أو سوقي" ونصف كلام الكهول بأنه كلام" محافظ" ومثل هذه النعوت تعكس اتجاهات المنعوتين وترتبط بفروق لغوية واقعية" [1].

ومن ثمة عادة ما لاحظ علم الاجتماع اللغوي، ووضح ظاهرة التدرج السني، التي تعني الفرق بين المتغيرات اللسانية تبعا لعمر المتكلمين، نظرة من هذا النوع استعملت لإقامة نتائج حول التغيير عبر ممر السنين. المفترض هو أن المتكلمين الشيوخ يميلون الى عهد قديم للغة.هذه الصلاحية ترتكز على الافتراض الأول: والمفترض هو أن المتكلمين لايغيرون عاداتهم الكلامية طيلة حياتهم على الأقل منذ مرحلة الرشد وهذا ما أقره "**داونز**" "***Downes***" (190/4 :1984) بأن المتكلمين يغيرون كلامهم فقط في الحالات التي يجدون أنفسهم مجبرين على ذلك، أو نزولا عند ضرورة السياق [2].

أما الافتراض الثاني والذي يعرض لحالة المهاجرين فعلى العكس من ذلك، فالتدرج أو التغيير السّني لا يعكس التغيير اللغوي بالطريقة نفسها التي ينهجها العامة من المتكلمين، فمجيئهم إلى جماعة كلامية جديدة يدفعهم إلى تكييف كلامهم حسب المتطلبات الآنية الجديدة، فالتغيير المتعلق بالسّن يمكن أن يعكس تغييرا اجتماعيا، وقد أثبتت النتائج أن المهاجرين المتقدمين في السن يكيفون كلامهم أكثر من الفئات الصغرى وإذا كان الأمر كذلك فالأمر هذا يعكس التغيير في الضغط الاجتماعي المفروض على المهاجرين. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنه كلّما صغر عمر المتكلم كانت نسبة تأثره بالجماعة اللغوية أو اللهجية التي يعيش داخلها أكثر، ويعزى ذلك بالأساس إلى سببين رئيسين: الأول منهما يرجع إلى التعويض النفسي الاجتماعي للفرد، بمعنى آخر متكلمي جماعة لهجية معينة يصبحون على وعي بالتباين الاجتماعي للأشكال المتعددة للكلام في منتصف مرحلة

---

[1] penalos. F,introduvtion to the sociology of language, California state University, Long Beach, new bury house publishers,1981, P 124.

[2] نفسه. ص: 127.

المراهقة ما بين 17 و18 سنة وهذا ما أقره كل من "**كيرسويل**" و"**وليامز**" " ***Kerswill and williams*** (1992) و"**شيشاير**" "***Cheshire*** ***(1994)*** [1].

ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الوعي بالأشكال اللهجية ومعانيها الاجتماعية فضلا عن القدرة على التغيير في أسلوب الحديث حقا تبدأ مع مرحلة التمدرس. ثم أن درجة الوعي السوسيولساني عند الأطفال وخاصة أثناء مرحلة المراهقة هي قضية توجيه من قبل العائلة الصغيرة، والمجتمع الذي يمثل العائلة الكبرى، وفي غياب جماعة مهاجرة قوية وخاصة تثبت أنّ المراهق سوف يتأثر بدرجة كبيرة بزملائه في المجتمع المهاجر إليه [2].

وفي مجمل الحالات، فالمهاجر المراهق يكون له أقل ثقة بالنفس وأقل مركز أو مرتبة اجتماعية من نظيره الراشد وسوف يكون له أن يقبل أو على الأقل أن يتأثر بالقيم اللغوية الجديدة التي يتلقاها.

أما عن السبب الثاني فيرجع بالأساس إلى فكرة أن اكتساب اللغة يكون في مرحلة قبل الرشد التام، إذ يرى "**لينبرق**" "***Lenenberg***" أنّ الاكتساب العادي للغة يكون بين سن الثانية والثالثة عشر (2 و13) إلاّ أن هذا الرأي ووجه بكثير من الانتقادات حيث يرى "**موسيفغي**" "***Moshfeghi***" (1979) :

"Moshfeghi (1979) found that 15 to 22 year old acquired the phonological rules of an artificial language more quickly than 8 to 10 year old" [3].

بمعنى: ""أن الفترة ما بين 10 و22 سنة هي الفترة المثالية التي يكتسب خلالها الفرد القوانين الفونولوجية للغة عكس الفترة الممتدة ما بين سن الثامنة والعاشرة (8 و10)"".

والآن نعرض للحديث عن التغيير اللهجي إن كان على المستوى الصوتي، وأعني بذلك طريقة النطق أو على المستوى الصرفي وانتقاء المفردات وتعدّدها حسب التدرج العمري للمتكلم وذلك من خلال مناقشة أي موضوع كان حين حديثنا للطفل أو الشاب، الكهل أو

[1] Paul Kerswil, Dialect converging rural speech in urban Norway, clarendon Press. 1994. P 63.
[2] C. Kramsch language and culture. Oxford University Press. 2000. P 75..
[3] Paul Kerswil, Dialect converging rural speech in urban Norway, P 64.

حتى الشيخ العجوز والمجتمع "التلمساني" كغيره من المجتمعات- سواء كانت عربية أم غربية- تأثر بعامل السّن الذي عدّه أهل الاختصاص من ضمن أبرز الآليات المتحكمة- والتي لها أن تلعب دورا بارزا- في التغيير اللهجي أو اللغوي داخل المجتمع.

لقد رأينا فيما سبق أن الطبقة الاجتماعية، والمستوى الثقافي، والنوع عوامل من شأنها أن تلعب دورا هاما في التباين والاختلاف اللهجي، مما يؤثر على طريقة نطق المفردات والكلمات.

ويظهر أنّ عامل السّن هو الآخر يلعب الدور نفسه داخل المجتمع اللهجي لمدينة "تلمسان" والذي كما أسلفنا سابقا مثل بقية المجتمعات العربية منها والغربية شديد التأثر بهذا العامل لما له من آثار جلية يلحظها العام والخاص من خلال حديث، كلام أو حتى منطوق الشاب، الكهل أو العجوز.

لقد لمحنا فيما سبق أن جنس الرجال داخل الجماعة اللهجية "لتلمسان" وخاصة الشباب منهم عادة ما يغيرون ويفضلون اللهجة البدوية حين حديثهم لأشخاص خارجين عن الجماعة اللهجية "لتلمسان" ويعزى ذلك لسببين رئيسيين، إما من أجل تفاهم سهل، أو لتجنب المفردات العامية المميزة للهجة "تلمسان".

نقطة أخرى تستحق الوقوف عندها هي أن العديد من المتكلمين الشباب في تلمسان يرجعون إلى الحديث وبكل الخصائص التي تميز منطوق تلمسان وذلك حين الدخول إلى المنزل والحديث مع أفراد أسرتهم، ذلك لأن المنزل مجال حرّ من الإكراه أو الأضطرار، لأنه ربما نوع من الحرج إذا استعمل الشاب بعض الخصائص اللسانية غير "التلمسانية" داخل المنزل، وربما يصل به الأمر إلى حد السؤال مثلا، لماذا تتكلم بهذه الطريقة؟ الأمر يختلف كلّيا في الشارع؛ فالسلوك اللغوي لعدد لا بأس به من الشبان "التلمسانيين" الأصل يميلون إلى الاستعمال البدوي الذي هو محكوم "بقوانين الشارع" والتي بصفة أو بأخرى ترفض استعمال الخصائص اللسانية التي تميز منطوق لهجة "تلمسان"، والتي بالمقابل تشجع اقتناء أو تبني خصائص بدوية "خشنة" تمكّن المتكلم بها من التكيف داخل ثقافة الشارع من جهة، وتوازي "رجولته" أو ذكورته التي طالما أراد أن يثبتهامن جهة أخرى.

إذا مفاجئ ربما، وأمر طبيعي للبعض الآخر حين يستعمل شاب من أصل "تلمساني" بعض الخصائص اللسانية "لتلمسان" في الشارع، وقد يصل به الأمر إلى أن يهزأ به وخاصة إذا استعمل بعض الميزات كـ :[ʔ]، و[تنسينا]،و[آدجي] شأنه في ذلك شأن- كما قال- "**فرانز بواز**" "***Franz Boas***" الشخص الذي يستعمل اللغة الرسمية الإنجليزية ***[R.P]*** في الشارع مثله مثل الذي يرتدي بدلة رسمية على شاطئ البحر [1].

أمر آخر لمحناه من خلال هذه الدراسة، هو أنّ الفرق بين الشباب والشيوخ وفضلا على المستوى الصوتي يكون كذلك على المستوى الصرفي وانتقاء المفردات، فالأوّل تسمعه يتحدث عن الإبداعات والاختراعات ومشاكل الواقع المعاش وآثار العولمة من ثقافة ومثاقفة، أمّا الثاني فإمّا يرجع بك للحديث عن الماضي وأيام الاستعمار وكذا التفاخر ببعض الأشياء التقليدية، "كالقنديل" والذي كان يعمل "بالشيش" عوض "الكهرباء" الذي نستعمله حاليا أو تسمعه يتحدث عن تجارته وأرباحه كيف بدأت حين- **وقت الغفلة**- كما أخبرني أحد المخبرين- وكيف هي الآن- هذا فضلا عن عموميات معجم الشيوخ من حكمة، ووصايا، وأدعية، وما إلى ذلك.

خلاصة هذا المبحث هي أنّ فئة كبيرة من المتكلمين "التلمسانيين" يخلطون كلامهم تبعا للمستمع، أو لسياق الكلام. والحقيقة الأخرى التي خرجنا بها كنتيجة هي أنّ أعظم الشباب الذكور "التلمسانيين" يجنحون إلى تبنّي لهجة مختلطة أثناء خطابهم أو حديثهم بين الحضرية أو البدوية، والتي تعايشت داخل الجماعة.

مرة أخرى علينا أن نلحّ على حقيقة مفادها أن متكلمي الجيل "التلمساني" الشاب هم في مطلق الأحوال أمام نوع من "**الضغط اللهجي**" من قبل مجموعة كبيرة من الفئة التي تتحدث اللهجة البدوية، ذلك بحكم التعامل اليومي. وعلى الرغم من كل ذلك فما هو شائع بين المتكلمين- وخاصة الذكور منهم- حين حديثهم للفئة الأخرى أنهم يحافظون على بعض الميزات والخاصيات التي تخص منطوق "تلمسان" مع مزجها ببعض الخصائص التي تتميز

[1] A. Duranti. Linguistic Anthropology. Cambridge University Press. 1996. P 192.

بها لهجة المتكلم إليه أو المتلقي، وهذا ما أفرز ميلاد شكل جديد ألا وهو **خليط وسط** بين الشكلين اللهجيين.

المبحث الخامس: المنطقة الجغرافية وأثرها في تنوع المنطوق:

إذا ما اتسعت رقعة المتكلمين بلغة ما، فلا بد من أن تظهر فيها لهجات محلية، واختلاف اللهجات أمر طبيعي، «لا بين المناطق المتباينة، بل بين الأحياء في المدينة الواحدة أحيانا"[1]. فهناك صيغات لغوية محلية خاصة تميز منطقة عن أخرى، ويجب علينا كدارسين لعلم اللهجات "ألا نخلط بين اللهجة واللغة الخاصة" "**Patois**"، فاللهجة عادة لها توزيع جغرافي أرحب، فنحن نستطيع أنة نصف اللهجة بأنها إقليمية، ولغة القرية بأنها لغة خاصة، ولا يمكننا أن نقول عكس هذا.

فمصطلح اللغة الخاصة يستعمل عادة في وصف كلام في مجتمع"[2].

ضف إلى ذلك، فاللهجة واللكنة "***Accent***"، مفهومان مختلفان. "فالانجليزية الفصحى مثلا تنطق بعدد من اللكنات ذات ارتباطات إقليمية واجتماعية معينة، فهناك لكنات مرتبطة بشمال أمريكا، وسنغافورة، والهند، وليفربول، وبوسطن، ونيويورك وهلمّ جرا"[3]. "فاللكنة عادة تستعمل كمعيار لإظهار الفروق في طريقة المثل بين شكل لغوي وآخر، أما اللهجة فعادة ما تشير إلى جميع الفروق التي تتضمنها جميع تنوعات اللغة، بما في ذلك طريقة النطق، واستعمال الكلمات والنحو"[4]. فالبيئة الجغرافية لها أثر لا يستهان به في مميزات اللغة لذلك" نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة، والمعتدلة، والباردة، وبين سكان المنطقة الباردة، وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ونشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة، بل بين لهجات اللغة الواحدة"[5]. وممّا يظهر أثر البيئة الجغرافية في تنوع الأشكال اللغوية، هي مختلف الأدوات اللهجية المستعملة من قبل المتكلم، والتي عادة ما تكون مستمدة من مظاهر البيئة في بنيتها واستعدادها، ومنهج

---

[1] نحو وعي لغوي. د. مازن المبارك. مكتبة الفرابي. دمشق. 1970. ص: 40.

[2] علم اللغة الاجتماعي. مفهومه وقضاياه. د. صبري إبراهيم السيد. ص: 110.

[3] R. Wardaugh. An Introduction to Sociolinguistic. Blackwell. Oxford. U. K. 1992. P 41- 42.

[4] E. Chaika. Language, the Social Mirror. U. S. A. 1982. P 132.

[5] اللغة والمجتمع. د. علي عبد الواحد وافي. ص: 23.

تطوّرها تبعا لاختلاف الشعوب، وتنوع الخواص الطبيعية المزوّد بها كل شعب" من جهة أخرى، لخير دليل على أثر المنطقة الجغرافية في تنوع المنطوق[1].

ويحرص علم اللهجات "***Dialectology***"، وخاصة جغرافيا اللهجات "***Dialects Geography***" على رسم خرائط لغوية سموها بـ "الأطالس اللهجية"، والهدف منها، هو الكشف عن الحدود الجغرافية لتوزيع ميزات لغوية معينة، عادة ما ترمز إلى حدّ لهجي، وغالبا "ما يتوافق هذا الحدّ اللهجي مع عامل جغرافي، أو سياسي معين مثل سلسلة جبال، أو نهر، أو حدّ إمارة، أو ولاية"[2].

إن انتشار اللغة في مناطق واسعة تحت تأثير عامل أو أكثر وتكلم بها جماعات كثيرة وطوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا فيختلف عن منهج غيرها فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان.[3] سوف يؤدي هذا حتما إلى انقسام تلك اللغة إلى عدة لهجات، فقد يكون هذا الانقسام طفيفا وبطيئا لا يتجلى أثره في الوقت القريب، لكن من المؤكد أنّ هذا التشعب سوف يؤدي إلى ظهور فورقات لغوية أو لهجية، وهذا ما نلحظه عند المهاجرين عن أوطانهم إلى أوطان جديدة "يحتفظون في الوطن الجديد بميزات لغوية قديمة قد تكون اندثرت وتلاشت في الوطن القديم"[4] كما حدث في فرنسية مونتريال ''***Montréal***'' (كندا) فهذه الأخيرة تحتفظ بعناصر لغوية تعود إلى الماضي البعيد حوالي القرن السابع عشر، ليس لها وجود في لغة فرنسا الأم.

''فالأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة فيها الجبال والسهول، والوديان، وفيها الأراضي الزراعية والقاحلة، ومتى اختلفت البيئة أو المكان الجغرافي فإنّ ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف

---

[1] نفسه. ص 24.

[2] R. Wardaugh. An Introduction to Sociolinguistics. P 133.

[3] اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1999، ص 43.

[4] اللهجات وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، دار الجليل بيروت، 1989، ص 88.

طبيعتها فإن ذلك يؤدي– مع تطاول الزمن– إلى تشعب لغتها الواحدة إلى لهجات وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا ونفسيا، كما هو الحال في كثير من البيئات كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام"[1].

لكن هذا لا يعني أن المكان الجغرافي يفرق بين اللغة ويؤثر على استعمالها– كانت رسمية أم لهجة عامية– فإذا كان الأمر كذلك فإن المكان الجغرافي سوف يفصل البريطانيين، والأمريكيون والأستراليين الذين يتكلمون لغة واحدة على الرغم من وجود فرق طفيف، أو جذري في بعض الأحيان بين هذه الأشكال اللغوية. لكن ما جاء به العالم السويسري "**دي سوسير**" "***De Saussure***" ينفي ويكذّب ذلك حين يقول "بقدر ما يوجد من أمكنة توجد لهجات"[2].

وهذا ما أقره كذلك **ويليام دوانز** "***William Downes***".

"I remarked earlier that where one lived was a social characteristic of people which affected their use of Language, the study of the way in which Linguistic variants were geographically distributed was very much the province of traditional dialect geography"[3].

بمعنى: " لاحظت سابقا أنه "أين يعيش الإنسان" كان ميزة اجتماعية للناس والذي يؤثر في استعمالهم اللغوي، دراسة الطريقة كيف كانت المتغيرات اللسانية موزعة جغرافيا كان فعلا من أقاليم جغرافية اللهجات القديمة".

نستطيع أن نستشهد ببعض الاحتمالات وذلك بالنظر إلى الاقتراح الذي دعا إليه "**ترادقيل**" "***P. Trudguill*** ***(1974 –1983)***" الذي يخص بإلصاق بعض تقنيات الجغرافية القديمة مع دراسة انتشار المتغيرات اللغوية.

ترادقيل اتخذ طريقة الجغرافي السويدي "**هاقير ستراند**" "***Hàguer Strand***" لاستقصاء الانتشار المكاني للإبداع والابتكار اللغويين في النرويج.

---

[1] –* اللهجات العربية نشأة وتطورا، د. عبد الغفار حامد هلال، ص 37.

[2] –* محاضرات في الألسنية العامة، فرديناد دي سوسير، ترجمة يوسف غادي ومجيد أنطوان، الطبعة 1984، دار النعمان للثقافة، لبنان، ص 244.

[3] William Downes, Language and society, Cambridge University press, 2nd edition, 1998, P 177.*-

"The study was meant to be mainly illustrative of what might be possible if the notion of a Linguistic variable is joined with sophistication in geographical method". [1]

بمعنى أن: "الدراسة كانت تعني بالأساس لتكون توضيحا لما قد يكون ممكن إذا كان مبدأ المتغير اللساني موثوق مع التصنع في الطريقة الجغرافية".

يستطيع الإنسان أن يتخيل كم قد تكون هذه الطريقة مستعملة لقياس التغيير اللهجي وعلاقته بالمكان الجغرافي.

كما كان للغويين العرب القدامى المنحى نفسه وهو الاتجاه الذي يعتمده اللغويون المحدثون حيث يرى المختصون الأوائل في اللهجات العربية القديمة أو ممن درسوها وألمّوا بقواعدها، و إن "سعة الجزيرة العربية لم تكن كافية لاستقلال المجموعات الكبرى من قبائل الشمال أو الجنوب بلهجاتها، كي تتمكن هذه اللهجات من التعدد والاستقلال والتطور والنمو ثم تكوين لهجة لها خاصة اللغة المستقلة"[2]، فالمعلوم هو أنّ سطح الجزيرة العربية كان مكتظا بالقبائل العربية متأثرين بالطبيعة الجغرافية " من سهول وأودية وهضاب وجبال وسواحل وصحارى"[3].

ومن العلماء من ذهب إلى أن اللهجات لا وجود لها؛ بمعنى أنه لا توجد حدود فاصلة وواضحة بين لهجة وأخرى، أو بينها وبين اللغة الرسمية التي تنحدر منها تلك اللهجة، وهذا ما يؤكده "باستون باري" يقول "أي حد حقيقي يفصل بين فرنسية الشمال وفرنسية الجنوب، فصور التكلم الشعبي عندنا تمتد على أرض الوطن، من طرف إلى آخر كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة في كل نقطة منه، بعضها على بعض وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض" [4].

فكلّما كثرت مسافة الانحدار الجغرافي بين أفراد المجتمع سوف تعطي دفعا وتأثيرا على التغيير والانتشار اللهجيين، إذا كان كل شيء عادل فالناس الذين يقطنون بقرب آخرين

---

[1] Peter Trudguill. Socilinguistic Patterns in British English. Edward Arnold Edition. Lonon. 1978. P 37.*-

[2] دراسة اللهجات العربية القديمة، داود سلوم، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1/ 1982، ص: 9– 10.

[3] الدراسات اللهجية الصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، بدون تاريخ، ص :79.

[4] فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1987، ص :71.

سوف يكونوا متشابهين في تبني التجديد والابتكار على عكس الذين يقطنون بعيدا عن بعضهم البعض، وهذا ما يطلق عليه في علم الاجتماع اللغوي بنظرية التأثير الجواري "***Neighbour hood effect***"[1].

"فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة إلى لهجات عدة تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبنا الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزال بعضهم عن بعض، ونتيجة هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات متميزة"[2] وذلك لأن كل لغة كانت يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات وتحت تأثير بعض العوامل اندثرت اللغة الأم "***Language Death***" وانتشرت الأشكال اللهجية الأخرى مكوّنة لغة لها خصائصها وميزاتها وذلك عبر ممر السّنين.

فالتركيبة الجيولوجية لأرض "تلمسان" والموقع الجغرافي، وتنوع السهول، وارتفاع جبالها، وعوامل أخرى مناخية لعبت دورا أساسيا في تنوع المنطوق "التلمساني" وتميزه الخاص عبر كامل التراب الجزائري، ومنهم من ذهب إلى تشبيه منطوق هذه المنطقة بنظيره في المغرب الأقصى حيث ينفي أصحاب هذا المذهب الحدود السياسية ويقرّون ويعترفون بالحدود لا بل بالحواجز الجغرافية وكذا الفيزيائية.

بحيث أنّ الساكن "بتلمسان" والآتي من منطقة مجاورة للمدينة "كسبدو" مثلا يكون نطقه مغايرا لسكان "تلمسان" المدينة، ويعزى هذا بالأساس للعوامل الجغرافية من جبال وارتفاع وشساعة المنطقة من جهة، وبرودة الطقس، والمناخ من جهة أخرى، وما ينجر عن ذلك من تأثير على نفسية وشخصية المتكلم، وسنعود لاحقا للحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل التطبيقي.

---

[1] Language and society, William Downes, Cambridge University press, 2nd edition. 1998. P 179

[2] في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، دون تاريخ، ص :12– 22.

لكن الملاحظ هو أن نموذج الاتصال يبدو جليّا أنه ليس متعلقا فقط بالقرابة المكانية أو الجغرافية، فالتغييرات تنتشر بسرعة أكبر بين الأماكن الحضرية والتي هي في اتصال قريب من تلك التي بين أوساط أو الأماكن الريفية، ويمكن للتغيرات أن تقفز بين هذه الأماكن المركزية لتتعدى إلى عوامل أخرى كالطبقة الاجتماعية مثلا.

الرموز العربية الخاصة بكتابة الكلام المنطوق

الرمز العربي	المخرج	الرمز الدولي
ب	الباء العربية: شفوية شديدة مجهورة.	b
پ	مثل الباء الفارسية: شفوية شديدة مهموسة.	P → b
ب	مثل الباء الأسبانية (أو العبرية) التي بين مصوتي: رخوة مجهورة	b → B
ت	التاء العربية العادية: نطعية ذولقية شديدة مهموسة	t
ت	تاء تخالطها في وسطها رخاوة بين الذولق والنطع في لهجة تلمسان مثل وفي الألمانية في لفظة ***zen***	t → ts
ث	التاء العربية الفصيحة: لثوية مهموسة غير مفخمة – مستقلة	ϴ
ت ث	تاء منطوقها بهالا تاء كما هو الحال عند بعض أهل المغرب (توم عوض ثوم)	t→ t
ث	تاء منطوقا بها سينا كما نجري ذلك على ألسنة بعض أهل المشرق مثل عوض مثلا.	t →s
ج	الجيم العربية الفصيحة: شجرية شديدة مجهورة.	ǵ
چ	مثل الجيم الفرنسية أو z الفارسية: شجرية رخوة مجهورة (الجيم مثل الشين المجهورة عند سبويه)	ǵ → z
جَ	جيم منطوقا بها مثل الكاف مع بقاء الجهر (الجيم التي كالكاف عند سبويوه) وهي التي ينطق بها أكثر أهل مصر حاليا وهو مخرج الجيم في جميع اللغات السامية الشمالية	ǵ → g

ز ج	جيم منطوقا بها مثل الزاي وذلك نحو: جبن في لهجة مر الحش أو زوج في تونس	ǵ → z
ي ج	منطوقا مثل الباء إلا أنها أكثر جمودا (لهجة اليمن وبعض أهل السودان)	G
چ	جيم شديدة لكنها ملموسة ومعطشة كما هو الحال في حلبي. أسما علما.	
ح	الحاء العربية الفصيحة: من أوسط الحلق مهموسة	
خ	الخاء العربية الفصيحة: من أدنى الحلق مهموسة ومثلها "ل" الإسبانية في jots و ch الألمانية في buch	
د	الدال العربية الفصيحة: نطعية ذو ليقة شديدة مجهورة مستقلة	d
ذ	الذال العربية: لثوية مجهورة مستقلة ومثلها th الإنجليزية في أداه التعريف the	Δ
ز ذ	الذال منطوقا بها زايا	Z
ر	الراء العربية الفصيحة: ذو لقية مكررة	R
ز	الزاي العربية الفصيحة: ذو لقية رخوة مهموسة صفيرية (مثل السين بزيادة الجهر)	Z
س	السين العربية الفصيحة: ذو لقية نطعية رخوة مهموسة صفيرية مستقلة	Š
ش	الشين العربية الفصيحة:شجرية رخوة مهموسة	Š
ش	السين منطوقا بها مثل السين (كلهجة بعض أهل الحضري مراكش)	Š→ S

ص	الصاد العربية الفصيحة: ذولقية نطعية رخوة مهموسة صفيرية مطبقة	S
ز ص	صاد مجهورة (وهي الصاد المتسربة صوت الزاي عند سبوية) مثل صغيرة في لهجة تونس (زاي مقدمة = مطبقة)	S→z
ط ض	الضاد التي يقرأ بها القرآن في زماننا (وهي غير الضاد التي وصفها سبوية كدال + تفخيم)	d→t
ظ ض	ضاد منطوقا بها مثل الضاء (التوبة)	
ز ض	ضاد منطوقا مثل الصاد المتسربة صوت الزاي السابقة (زاي مفخمة = مطبقة) وهي في لغة أهل مصر مثل مضبوط.	d→t
ط	الطاء التي يقرأ بها القرآن في زماننا (وهي أيضا غير الضاد التي وصفها سبوية) أي كتاء مطبقة	T
ض ظ	طاء منطوقا بها مثل الضاء (الدال مفخمة غير لتوبة)	d→d
ع	العين العربية الفصيحة: من أوسط الحلق مجهورة بين الشديد والرخو.	ع
غ	الغين العربية الفصيحة: من أدنى الحلق مجهورة	ǵ
ق غ	الغين منطوقا بها قافا مهموسة (في لهجة أهل الجنوب الجزائري)	ǵ →q
ف	الفاء العربية الفصيحة: من الشفة وأطراف الثنايا.	F

ف	مثل v الفرنسية و w الألمانية والواو الفارسية وهي فاء مجهورة	f → v
ق	القاف العربية: من أقصى اللسان وما فوقه من الحك (فهي إذن مفخمة) وهي شديدة وينطق بها ملموسة الآن في قراءة القرآن (وأصلها الجهر).	Q
ڤ مجهورة مفخمة	هي هذه القاف إلا أنها مجوهرة وينطق بها الآن أهل البدو بإبقاء التفخيم (وهي القاف الفصيحة) أو بإزالته بعض أهل البدو في المغرب	q→G
ن مجهورة غير مفخمة		
ء ق	هي القاف أيضا منطوقا بها مثل الهمزة	q→ء
ک	الكاف العربية الفصيحة: من أسفل من مخرج القاف، شديدة مهموسة غير مفخمة	K
ک̣	هي الكاف منطوقا مثل چ التي مر ذكرها (جيم معظمة مهموسة) والكشكشة هي هذا النطق نفسه لكنه خاص بكاف المخاطبة (وهذا المخرج موجود بكثرة في أهل البدو بالمشرق وبعض القرويين بالمغرب العربي)	ts
گ	يشار بهذا الرمز إلى الكاف المجهورة الأعجمية (في جميع اللغات الأجنبية) التي بها هذا المخرج.	G
ل	اللام العربية العادية: من حافتي اللسان إلى منتهى طرف اللسان (وهي بين الشديدة والرخوة)	L

م	الميم العربية العادية: شفوية غناء	M
ن	النون العربية العادية: ذو ليفة مطعية غناء	N
م ن	هي النون منطوقا بها مثل الميم كالنون في لفظة غير"	M
نَ	هي النون المخفاة (أو الخفية): نون ناقص منها اعتماد اللسان على النطح غنة محطة لها جرس الحركة التي قبلها	ô أو à أو œ أو ê بحسب حركة ما قبلها
ه	الهاء العربية العادية: ومثلها h الإنجليزية في how	H
و	الواو العربية الفصيحة ومثلها w الإنجليزية في we	W
ف و	الواو العربية منطوقا بها مثل الباء التي مر ذكرها	V
و	واو (غير مدية) متسربة صوت الباء مثل **"ويت"** huit في الفرنسية	W
ي	الباء العربية الفصيحة	Y
ء	الهمزة العربية: من أقصى الحلق شديد	? أو ,
ء ء	الهمزة منطوقا بها مثل العين: (وهي العنعنة التي ذكرها القدماء)	ع ← ء

1- **المرجع: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء الأول**

تمهيد :

لطالما كانت اللغة مرآة صادقة لمستعمليها، لكن من خلال جميع المساءلات التي آثرناها مع عدد لابأس به من المخبرين، من مختلف الجنسين، ومن مختلف الفئات العمرية ومختلف الخلفيات الثقافية من جهة، ومن خلال مختلف التسجيلات السرّية التي قمنا بها مع العديد من أولئك الذين يمثلون النخبة المثقفة في مختلف السياقات والأماكن والموضوعات من جهة أخرى، وكذا التسجيلات الاذاعية من جانب آخر، خلصنا إلى مجموعة من النتائج ظاهريا تبين أن هناك تباينا ما بين ما هو نظري وما هو تطبيقي، وفي العديد من الأحيان مناقض تماما لما نظّر في مختلف النظريات اللغوية أو السوسيوثقافية كما سيتجلى من خلال الدراسة التطبيقية لمختلف الإحصائيات والمتمثلة في مختلف المنحنيات والأعمدة البيانية .

وقصد إحراز نتائج علمية،عملية وموضوعية تشعبت في طرح الأسئلة الى مختلف الاستعمالات اللغوية لمجموع المخبرين .

فمن البديهي أن تجد اللغة المستعملة من قبل النخبة المثقفة متباينة عن نظيرتها عند باقي شرائح المجتمع، ذلك أن اللغة تعكس المستوى الثقافي للمتكلم، أو بعبارة أخرى هي المرآة التي يتجلى فيها شخص المتكلم، فعلم اللهجات، وعلى الرغم من الصعوبات الجمّة التي تعترض دارسيه، إلا أنه يوفّر مجالاً معرفيا للدراسة، بحيث أن بعض اللسانيين يذهبون إلى حدّ تعيين موطن وأكثر من ذلك تحديد مدينة، شارع، رقم باب، جنس، وعمر المتكلم.

« we are at the mercy of our language»

بيد أن دراسة حالة سوسيولسانية مثل حالة تلمسان، داخل مجتمع جزائري يتسم بالتعقيد والاختلافات كان أمرا صعب المنال، ذلك أننا وجدنا أنفسنا ندرس خليطا لغويا يتسم باستعمال أكثر من لغتين، هذا فضلا عن التباين النطقي لمختلف المخبرين كلّ حسب انتماءاتهم الإثنية، الثقافية، الجنسية، وحتى العمرية ولن يكون ذلك بالأمر العجيب حين ندرك أن تقصي مثل هذه

الحقائق في مجتمع منها متلاشي لا يزال يعاني من وقع الاستعمار قال تنقور ***H.Tengour*** في كتابه إيديولوجية الانغلاق.

"En 1962,les Algériens deviennent indépendants ,mais ne se libèrent pas. Le constat se réalise au milieu d'une accumulation de frustration. De plus, la France est plus présente que jamais en chaque Algériens…[(1)]"

بمعنى انه: "سنة 1962، أصبح الجزائريون مستقلين لكنهم لم يتحرروا تظهر المعاينة من خلال تنامي الحرمان، فضلا عن ذلك ففرنسا موجودة داخل أي جزائري أكثر من أي وقت مضى". وقبل الخوض في النتائج إليك عينة مما جاء في تلك التسجيلات الإذاعية.

إليك عينة من تداخل الظواهر اللسانية مع لهجة النخبة المثقفة من خلا ل حوار أذيع في بعض الحصص الإذاعية :

*** للإشارة الكلمات الفرنسية لم تنسخ.**

- ʁimae j ð ʔulu lli maʃi ʔaeri maejðhmihʃ l ʔaenun

- ᵐaedabikom tʒɖæwbuni ***parce que*** ḥae ʔi daʕ llæjXælikÞm
- dᵘwæl urupæ ʕænhæ ***une conformité***.
- bðṢṢæh riðd jðlæ ræḥðtlek ***une pièce de consommation*** mæraḥnæʃ mes ʔulin ʕæliḥæ ʕðlæXætðr læzmð***k des plaques de frein d'origine*** w jelæ mæfihæʃ ***garantie, normalment*** mætðnbæʕʃ
- ʃrit ***cuisinière, la garantie*** ntaʕhæ trois ans.
- Alors, menbaʕd ***six mois*** mʃit lʕænd mul lḥænut bæʃ nʃuf ʕæsðm jðnȼðm jðʕmel i ….***Alors,j'était renvoyer*** mðl ***magazin***.
- ʃufunæ ḥæl fætwa fihæ ***parce que*** ḥæ ʔi dæʕ ***complètement***
- ʒæhalðt lqænun ***peut causer des catastrophes***
- kimæ les boutons humæn tæni kÞnṢÞmæbl
- ***le certificat de garantie*** hijæ lli tefred ***soit*** ʕðlæ ***l'importateur*** wðlæ ***le vendeur*** kifæʃ jnðdæm lbiʕ ntæʕu
- ki næʕtilek *un produit* fiḥ ***garantie*** ntæʕ ***six mois*** wluXræ fiḥæ ***une année*** ʕðlæXætðr mækænʃ ***la concurrence***.

[1] Hussein Tengour, intersignes, idiologie de l'enfermement, Paris, 1994, P :

- ***Je sais*** ḥijæ tkun ***avec une garantie assez chère*** .
- ***Les assurances, les hotels ; les taxis, l'agence de voyage*** ḥædÞ kæmðl fiḥÞm la ***garantie.***
- ***Un séjour,*** Ṣðbnæ ***une production*** fiḥæ ***un vice de forme***,l liḥæb ndifu ***en plus,*** ḥuwæ ***comment le consommateur devient actif***
- Zid tæni ***l'étiquetage*** læzðm jkun ***lisible***
- ***Parce que*** ḥædæk ***l'essai*** wðllæ ***le teste est obligatoire***
- Kimæ ***par exemple ; les salles des fêtes*** fiḥæ ***des intoxications***
- tðʃri Ṣæjæræ ʕændðk fiha ***garantie***, ***tricot*** ʕændek fih ***garantie*** wðllæ bæbur ʕændek fih ***garantie***, læzðm jkun ʕændhum ***un certificat de conformité***
- idæfa nzidhæ, ***puisque*** ʔætðrt hæd ***la phrase*** : ''***Tout produit vendu, ni rendu ni rembourser''***
- ***frigo*** *læzðmlu* , ***une ordonnance de qualité, parce que la loi quarante neuf zéro deux*** *tqul ḥækdæ*
- *ræḥnæ* ***en deux miles onze*** læzðm jðʃuf ***le produit*** w ***la date***
- Ṣðḥætnæ Xæljæ wzid **la santé publique**
- Mæfihæ la ræqi w laʕʃub, ***c'est une circonstance d'une morte naturelle***
- kænðt ʕændu ***des symptomes dépressive*** wkæn ***sous traitement***
- ***Alors qu'est qu'il a dit*** hæd **le charlatan**
- mæʕændek wælu ntsæ sæknek Xir ʒen ænæ ndæwik
- ʔælu næ ʔðṢ ddwæ wmembæʕd ḥæbbðshulu ***complètement*** ʔæsðm jðʕmel rræʒðl dbæḥ weldu dbæḥ ræsu w ʔbðl ḥæb jðdbæḥ mðrætsu
- ḥnæ ***on trouve la cause du décès après l'autopsie***
- wðndiskitiw ***avec eux***
- hæu ***les plantes*** dærrin
- kæjðn llæh w bæ ʔi llæh
- ʒæni ḥæssijed w ʔæli XæṢni lmæ ntsæʕ lmijets utlu ʃu jelæ ræk mðflætʃi mʕæ lqur ʔæn wellæ llæ
- æXæj æna lli nðʃukrek ʕðlæ ddæʕwæ

لقد جاء في الجانب النظري أنّ لاختلاف النوع أثرا بالغا على تنوع وتباين لغة الرجال عن نظيرتها عند النساء، وقد يصل الأمر إلى حدّ الاختلاف في طريقة النطق ويعزي ذلك لأسباب ومبادئ تحكم تقاليد العيش والشغل، داخل المجتمع في تلمسان، ولعل أهم تلك المبادئ هي المحافظة وعدم الاختلاط بين النوعين إلاّ للضرورة وهذا ما دفعنا للاعتماد على التسجيلات الصوتية لمختلف الحصص الإذاعية المقدمة من قبل إذاعة تلمسان الجهوية والمقدرة بـ **24** حصة لمدة خمسين دقيقة لكل حصة، كما كانت لنا الفرصة للقيام بذلك داخل جامعة تلمسان إلا أن الفئة المخبرة هناك ليست بالصفاء نفسه باعتبارهن الممثّل الأصلي للحقل اللهجي

المحافظ للهجة تلمسان، ورغم هذا وذاك، إلا أننا حاولنا تحدي تلك الصعاب وبحثنا عن أفضل وأحسن الأماكن أين يتسنى لنا ملاحظة ومعايشة ذلك الاختلاف وذلك من خلال مختلف المداخلات التي أجرتها هذه الفئة من المجتمع عبر الحصص الإذاعية .

تجدر الإشارة هنا إلى أننا لجأنا إلى التركيز على النساء المتقدمات في السن باعتبارهن الحقل الخصب والدقيق لمثل هذه الدراسة وهذا ما اقره **وارتربورغ**" ***(wartthurburg)*** ثم أثبته " **بوبس قيليرون**" ***(Gilliéron)*** بعده حين قال الأول :

'' Tout le monde sait qu'en matière de langage, les femmes sont plus conservatrice que les hommes, qu'elle conservent plus fidèlement le parler des aïeux''.

بمعنى أن " كل العالم يعرف أنه في مسألة اللغة فالنساء أكثر محافظة مقارنة بالرجال، وهنّ يحافظن بإخلاص على منطوق الأجداد ''.

ثم أثبت الثاني ذلك حين قال:

''Les femmes passent beaucoup de temps a la maison, en société, a cuisinier, a laver et qui parlent plus que les hommes, pris par les travaux de la compagne, au milieu desquels ont les voit taciturnes, et souvent isoles toute la journee''Pop's Gilliéron

بمعنى أن:" النساء يقضين وقتا طويلا في المنزل، في المجتمع، في الطبخ، في الغسيل، يتكلمن أكثر من الرجال الذين هم منشغلون في أعمال البادية وفي أوساط أين تراهم صامتين، وعادة معزولين طوال اليوم."

للإشارة فإن معظم المتدخلين كانوا إما أصحاب محلات تجارية أو زبناء يروي كل منهم، انشغالاته وتعامله مع الآخر، والباقي كانوا إمّا من خلال التسممات الغذائية الحاصلة في قاعات الحفلات .

نورد بعض الاختلافات الحاصلة على مستوى الصوتي لمنطوق هؤلاء :

Kímìąˌ Jəʔulu dímąʃí ʔærí meíjəhmíhʃ lʔænu

معنى ذلك باللغة الفصحى: القانون لا يحمي من ليس متعلما.

أما ضيف الحصة فرد على تلك السيدة كالتالي :

Læ ʃídímąíjʕræfʃ lqąnun

ففي هذا المثال نلمح أنّ هناك بعض التغييرات منها ما هو ثابت ومنها ما هو متحول، أما عن الثابت فكلمة "دّي" (dl) والتي تعني (الذي) فرقّقت واختصرت كما هو الحال في معظم اللهجات الحضرية – لتصبح "دي" أما عن المفردات الأخرى المنطوقة من قبل السيدة المتدخلة وضيف الحصة فهي متغيرة، فكلمة القانون مثلا تنطق (**ʔanun**) عند النساء بيد أنها تنطق **(qanun)** عند الرجال .

و في مثال آخر قالت السيدة [hąʔí daʕ] بمعنى " ضاع حقي " ليرد عليها ضيف الحصة [la haqək madaʒʃ kɒmpletment] بمعنى " لم يضع حقك كاملا " فكلمة " **حقي**" نطقت بصوتين مختلفين في سياق واحد، فترى المفردة منطوقة بـ [ʔ] عند النساء وبـ [q] عند الرجال .

نورد الآن بعض الاختلافات الحاصلة على المستوى الصوتي بين الجنسين :

الأصل	النطق بصوت /ɛ/	النطق بصوت /a/
أحمق	[hmɜíɛʔ]	[hmaʔ]
فلّق	[fəlɛʔ]	[fəlaʔ]
علّق	[ʕalaʔ]	[ʕalaʔ]

[fa ʔ]	[fɛ ʔ]	استيقظ
[slaʔ]	[slɛʔ]	غلّ (غليان)
[haʔu]	[hɛʔu]	نصيبه

من خلال الأمثلة اتضح أنّ هناك تباين في المنطوق على المستوى الصوتي فتارة يعمد الرجال لاستعمال الصوت /ع/ والذي عادة ما يستعمل من قبل النساء، وتارة أخرى يستعملون صوت /a/ .

أما الأمثلة الآتية فتجلى لنا التباين القائم بين الجنسين على مستوى الصرفي :

النساء	الرجال	الأصل
[human]	[huma]	هم
[rɒ h]	[ʔmʃi]	إذهب
[hawwada]	[hahuwa]	ها هو
[djɛl]	[nṭæʕ]	لـ(للنسبة)
[fa ʔ]	[ftan]	استيقظ
[ʔa m]	[na d]	نهض

تجدر الإشارة هنا إلى أنه ومن أصل حوالي 1200 دقيقة من النقاش في مختلف الحصص الإذاعية التي تمت دراستها، لاحظنا أن نطق [nṭæʕ] و[djɛl] عند الجنسين يتباين حسب جنس

المتكلم، فتارة ينطق ثابتا وتارة أخرى متغيرا، فمن أصل **379** مرة وردت هاتين الكلمتين، كانت النسب كالأتي :

المتغير / الجنس	[djɛl]	[nṭæʔ]
النساء	%91.38	%21.85
الرجال	%08.61	%78.14

واستنادا إلى التسجيلات الصوتية لتلك الحصص الإذاعية المتنوعة المواضيع فإننا بدأنا نلمح نوعا من الخلط والنزوح عن تلك الخصائص التي تميز منطوق كلا الجنسين في تلمسان، نعرض عليك الفرق الحاصل في نطق الكلمة نفسها من قبل الجنسين، فكلمة " هما " تنطق إما "هما " أو " همان " وهذا ما يتجلى من خلال جدول الإحصائيات التي قمنا به عند كلا الجنسين :

المتغير / النوع	[huma]	[huma n]
النساء	%33.33	%90
الرجال	%66.66	%10

زد على ذلك فنطق حرف [ظ] يختلف من جنس لآخر وحسب موقعه في الكلمة فتراه تارة ينطق "ذالا" ومرة أخرى " طاء" ولعل الجدول الأتي يظهر ذلك التباين :

	أول الكلمة	وسط الكلمة	آخر الكلمة
الرجال	[ḍahri]	[χḍar]	[bjaḍ]
النساء	[tahri]	[χṭar]	[bjaṭ]
الأصل	ظهري	اخضر	أبيض

فحرف [الضاد] الذي هو صوت أسناني لثوي مجهور، مطبق، رخو، مستعلي مفخم، مصمت، مقلقل، ينطق تارة " دالا " وتارة أخرى " طاء ". فصوت " الدال " صوت أسناني لثوي، مجهور، شديد، منفتح، مستعل، مرقق، مصمت . أمّا صوت " الطاء " هو الآخر صوت أسناني، لثوي، صامت، مهموس، رخو، مطبق، مستعلي، مفخم، مصمت، صفيري .

فنطق الطاء " طاء " يعتبر خاصية تميز المتكلمات التلمسانيات مثل [ṭṭaw] " الضوء "، [ṭṭla m]" الظلام "[ṭṭraeb] " اضرب " [beṭṭa] " بيضة ".

و نعرض لك جملة من العبارات المستخلصة من مختلف الحصص الإذاعية والتي تناولت في أغلب الأحيان أحوال الناس مثل القانون والناس " والتي تعكس الثقافة المحلية لمنطوق لهجة تلمسان خاصة عند جنس النساء عكس الجنس الآخر والذي لا يتصف بنفس الخصائص اللهجية بحكم الاختلاط والسفر.

منطوق النساء	المعنى المقابل في العربية الفصحى
–" كيما يؤولو ذي ماشي أري مايحميهش الانون ".	القانون لا يحمي المغفل.
–" لا اموم لازموم لا عباية مغسولة ماكان علاش يفوت بوأزولة ".	عبارة تطلق على الشخص عديم القيم الأخلاقية
–"بوه مناين ندجيب تلتملاين نلأطهم ببوش.	آه من أين لي ثلاثة ملايين .!
–"ابط امومك حد ما يلومك .	اصمت لن يلومك احد.
–" توخيتسي لألب وما يريد .	يا أختي، القلب وما يشتهي .
–" النهار دي حتسا جيتك يوتجي نديوك لأطوط .	عبارة تستعمل للتعبير على أن اليوم الذي احتجت فيه للشيء لم أجده.
–عبي ختسك وروح تسرءدو".	اذهبا أنت وأختك للنوم .
–" نهار التساييل نطيبوا مرا بلسعل . " خصك تغطيلها ودجها غايا بالعبروء	يوم الزفاف نطهى المرق بالعسل عليك أن تغطي لها وجهها كليا بالخمار الذهبي " العبروق " .

–" أتسلك عندنا لعروسة تلبس لأفطان. قلت لك أن العروس عندنا ترتدي لباسا تقليديا يسمى " القرفطان "

–و العاتأ دي تكون ملكة تلبس الردى " أما الفتاة المخطوبة فتلبس نوعا أخر يدعى " الردى " .

و نجمل لك بعض العبارات والجمل المستعملة في منطوق تلمسان والتي تميز النساء عن الرجال .

العبارات في الأصل	كيفية النطق
– لست أدري أين وضعته	[maniʃ ʕæʔla fajən ʕməltsu]
– يسكن في الجبل	[jəskun fəl ʤbəl]
– استيقظت باكراً	[fɒʔts bəkri]
– سوف تجد امرأة	[dɒʔ tsib halmra]
– أنت هو الشيطان الحقيقي	[ntsinæ eʃʃitæn di bəṣṣah]
– ضع القلال فوق القاز واقدي النار	[ʕməl lʔallal fɒʔ lgaz wəgdi ʕlih]
– مملوءة بالبق	[mʕammra bəl baʔ]
– لم تقل لي عليه	[maʔætsIliʃ ʕli:h]
– يقولون بان	[jʔulu bəddi]
– إنه معلّق	[re mʕallaʔ]
– حلو حدين يزيدو يوماين	[halwahdin yzidu yumajən]
– كاين الله وبائي الله	[kæjən llæh w bæʔi llæh]
– ما طلبوني ما آلولي .	[matalbuni mæʔaluli]

التحليل الكيفي للنتائج :

أفضت النتائج المتحصل عليها في مختلف المتغيرات أنّ هناك تباين كيفي لأهم الخصائص التي يتميز بها منطوق تلمسان عند اتصالهم بمتكلمين بدويين أو قاطنين في تلمسان لكن من أصل ريفي، وهذا ما لمحناه خاصة عند مختلف المخبرين من بائعي المجوهرات والنسيج، فالتاجر يغير طريقة نطقه وربما دون سبب، معجمه اللهجي للحديث مع زبائن رجال كانوا أم نساء من البدو، ولنضرب مثالا لذلك، فأثناء قيامي بتلك المساءلات دخلت امرأة من البدو لمحل تجاري لبيع النسيج فسالت :" شحال يدير للميط ؟" فأجاب صاحب المتجر " هذاك يدير ستين ميا اميمتي " وبعد هنيهة دخلت امرأة من الحضر " فسالت السؤال نفسه ولكن بصيغة مختلفة فقالت " اللا يخيلك شحال يواسي هذا لاماش للميط " ثم دخلت ثالثة فقالت " اشحال يعمل هذا للميط ؟" فأجاب التاجر في السؤالين على التوالي :" هذاك نتسع سوريا يعمل ستين ميا ختسي " .

كما خلصنا إلى أنّ معظم المخبرين الرجال الذين أجرينا معهم مساءلاتنا يفضلون استعمال [q]، وبدرجة اكبر [g] عوض الهمزة [?] حين الحديث في جماعة مختلطة لأنها وكما سبقت الإشارة تعتبر هذه الخاصة ميزة لحديث الجنس الآخر، وإنها غير مناسبة لمقام حديث الرجال، أين يعمد الرجل لإظهار رجولته وذلك باستعمال نوعا من الخشونة .

للإشارة فإن هذه الخاصية ليست حكرا للرجال في تلمسان، وإنما في الجزائر عامة، فالجزائري بطبعه يحب إبراز رجولته .

فالنسب المتحصل عليها من خلال الإحصائيات المختلفة تبين أن النساء يحافظن على استعمال بعض الميزات كالهمزة [?] وبعض الأصوات الأخرى كما يتجلى ذلك في مختلف الجداول مقارنة بالرجال لأنهن كما قال " **وارتبورغ** " " ***wartburg ;***

'' la prononciation des voyelles chez la population féminine ne diffère pas seulement de celle des hommes, qui possèdent des voyelles plus pure et plus claire, mais de quartier a quartier et quelques fois même d'individu a individu''

بمعنى أن: " نطق الصوائت عند النساء لا يختلف عن الرجال فحسب، اللذين يملكون صوائت صافية ونقية، بل وحتى من حي لآخر وفي الأحيان من فرد لآخر" .

النوع والتغيير المعجمي:

حقيقة أخرى تقصيت فيها درسي لمنطوق كل من النوعين داخل منطوق الجماعة اللهجية لتلمسان، هي أنّ المتكلمين غير التلمسانيين الأصل متأثرون جدّا بمنطوق " تلمسان " وهذه الظاهرة منتشرة بين مختلف اللهجات، أين يكون الولاء فيها للأقوى مثل : [" عبي، خو، أجي، أدجي، كامل... وغير ذلك]، لكن مع اجتناب الخصائص الصوتية لتلمسان كالهمزة (اسم) أين تستبدل الهمزة بالواو، فتصبح (واسم) .

استوقفتنا ظاهرة أخرى وتستدعي التحليل، هي أنّ التصرف اللهجي للذكور عامة في تلمسان يتوقف على " الحالة " أو " الموضع " الذي يتكلم فيه المتكلم، كما قال (فيشمان 1972) " مع من تتكلم ؟

هذه الظاهرة تتجلى بصورة أوضح عند النساء حيث لمحنا أنّ المتكلمات ذات المرجعية البدوية يستعملن المفردات التلمسانية الخالصة وبكل ميزاتها كما نجدها عند القاطنين بعض الأميال عن مدينة تلمسان – والذين لهم اتصال دائم مع أهل " تلمسان " – إلاّ أن البعض منهم يخلط بين المنطوقين، ولذلك عادة ما نسمع كلمات مثل[ʔʷʃæræts] بمعنى " الجوارب، بيد أنه في منطوق أهل " تلمسان " ينطقون[tsʔæʃir]، وكذا في المثال الآتي في عبارة[ʔuli wellæh] أين تخلط الهمزة [ʔ] مع[i] الخاصة بضمير المؤنث المخاطبة بمعنى (اقسمي بالله) .

ميزة أخرى يتميز بها منطوق النساء في تلمسان وهي طريقة نطق بعض المفردات الخاصة بظرف الزمان مثل [faiweʔ] بيد أن الرجال يقولون [faweʔ]، أو [fiweq]، أو [waqtaʃ] بمعنى " متى ".

خاصية أخرى لمحناها في منطوق تلمسان وهي خاصية معجمية، فلقد رأينا فيما سبق أن معظم النتائج وأعلى النسب الخاصة بالتغيير توحي بأن الرجال والشباب على وجه الخصوص هم الذين يخلطون ويغيرون طريقة النطق حسب الحالة أو الموضع، فكلمات مثل [əddi]، [di :r] بمعنى " خذ" و" افعل " أصبحا شائعي الاستعمال حتى أصبحنا نعتقد أن مقابلهما في منطوق تلمسان [ʔæbbi] و[ʔaʕməl] خاص بالإناث ثم، [hæl] بمعنى " واحدة " أو " أحدهم " والتي تنطق [wahəd] عند الرجال، فأثناء جمعنا للمادة، صادفتنا إحدى النساء في حفلة زفاف فقالت[harrædʒəl ri waʔəf fəl bæb tsʔæsni χa :h di laʕrus] بمعنى أحد الرجال واقف عند الباب، ظننته أخ العروسة ".

مثال آخر، لكن هذه المرّة لإظهار التغيير أو الفرق بين النوعين على المستوى الفونولوجي و المعجمي، أين ينطق النساء [nʔadd] بيد أن الرجال ينطقون [ngəd] بمعنى " استطيع ".

المهمّ من كل هذا وذاك، هو أننا خلصنا إلى الفرق في كيفية النطق وعلى كل المستويات الصوتية منها، أو الصرفية، أو المعجمية أو حتى الدلالية بين النوعين، وهذا ما قد ينجر عنه إما ميلاد شكل لهجي جديد في المستقبل لا هو " تلمساني " محض ولا هو بدوي قح، أو اندثار وانصهار هذه اللهجة بحكم التداول والاختلاط الذي تشهده تلمسان بحكم الغزو الاقتصادي، الاجتماعي، شأنها شأن باقي ولايات الوطن .

و نعرض عليك بعض الإحصائيات التي تؤكد الفرق الحاصل بين الرجال والنساء وبين مختلف الفئات العمرية للنوع الواحد من جهة أخرى:

	المتغير / عمر الرجال	[ʔ]	[q]	[g]
أ	18-6	%28.68	%42.37	%28.94
ب	30-19	%27.06	%64.08	%08.85
ج	40-31	%43.11	%39.98	%16.90
ح	50-41	%46.72	%45.29	%7.98
خ	65-51	%83.56	%10.94	%5.49

جدول خاص باستعمال المتغيرات حسب التدرج السني عند الرجال.

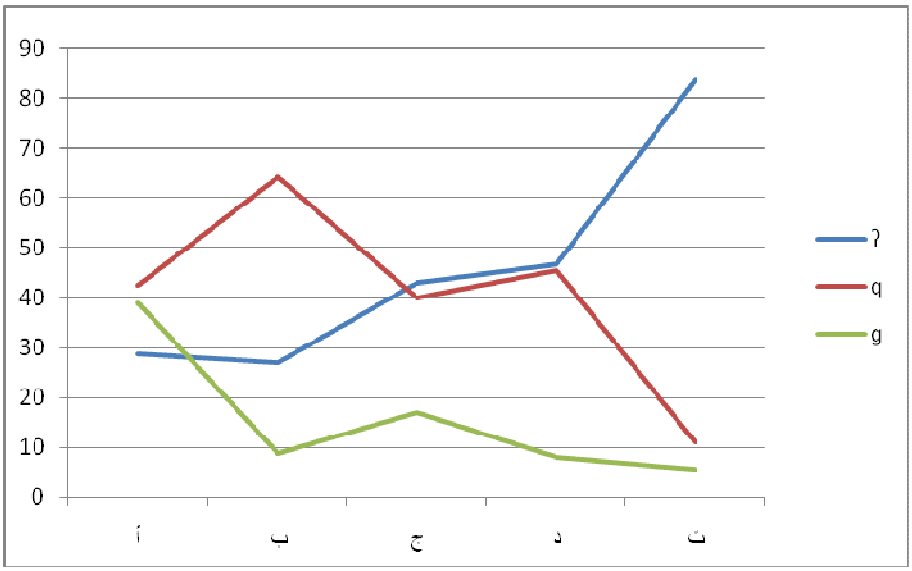

منحنى تغيير منطوق المتغيرات عند الرجال

[g]	[q]	[ʔ]	المتغير / عمر النساء	
%04.05	%08.76	%87.19	18-6	أ
%17.63	%11.13	%81.23	30-19	ب
%04.13	%09.72	%86.14	40-31	ج
%04.06	%07.77	%88.17	50-41	ح
%01.94	%03.39	%94.66	65-51	خ

جدول خاص باستعمال المتغيرات حسب التدرج السني عند النساء.

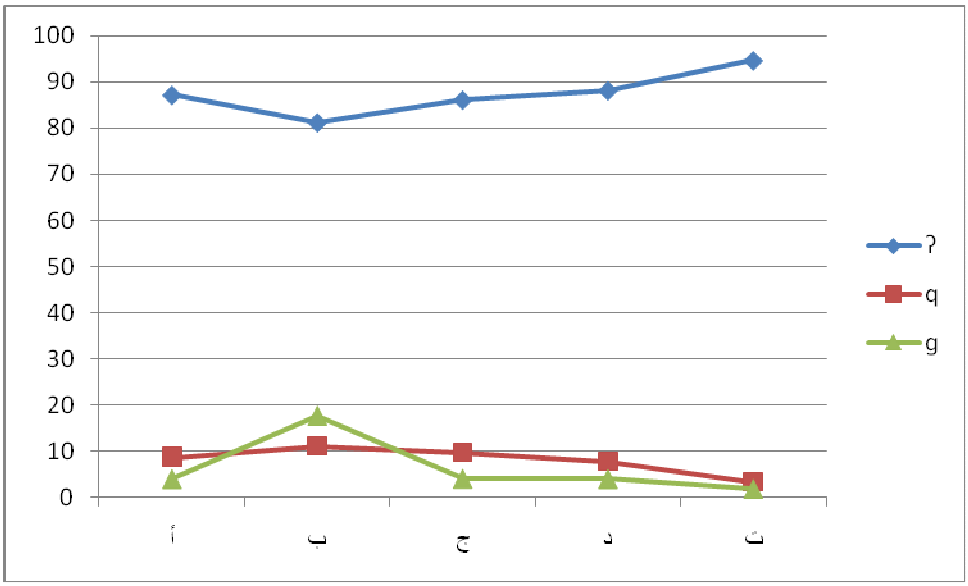

منحنى تغيير منطوق المتغيرات عند النساء

من خلال الإحصائيات والنسب المستنتجة نستخلص أنّ نطق المتغيرات يختلف من نوع لآخر وذلك حسب التدرج السني للمتكلم، ويعزى ذلك بالأساس لعوامل سوسيوثقافية، فنجد مثلا أن نطق الهمزة [ʔ]عند الرجال ما بين 19-30 يقدر بـ 27.06 % بيد أن الرجال في هذه المرحلة يلتقون بأناس خارج منطقة تلمسان، إمّا في مختلف المعاهد والجامعات، أو مختلف الولايات بحكم أداء واجب الخدمة الوطنية أو بحكم العمل، على أن المرأة في هذا السن تبقى ماكثة ببيت والدها وتنتقل إلى بيت زوجها والذي عادة لا يختلف منطوقه عن ذلك المتداول في بيت والدها باعتبار أن الزفاف في تلمسان يتم بين العائلات التي لها نفس المستوى الاجتماعي.

و نرى أيضا أن هذه النسبة أي 81.23 % لنطق الهمزة عند النساء هي النسبة المنخفضة مقارنة بباقي الأعمار ويرجع ذلك أساس إما للزواج أو العمل .

و نستخلص عموما أن نطق تلك المتغيرات يختلف تدريجيا من عمر لآخر، ويختلف مطلقا من نوع لآخر، ويرجع ذلك خاصة للأسباب السالفة الذكر، إلاّ أن الملاحظ هو أن المزج بين تلك المتغيرات هو الميزة الغالبة، بما يوحي بميلاد شكل أو نموذج لهجي جديد غير ذلك المعهود، وهذا ما يتجلى من خلال مختلف النسب المئوية التي نقرؤها عند الفئة الممتدة ما بين 19-30 سنة وذلك بحكم التعايش والاتصال من جهة، والنزوح نحو المدن بحكم الظروف التي عاشها الجزائري في التسعينات من جهة أخرى، لكن يبقى الثابت هو أن النساء يحافظن ويجنحن إلى استعمال الأشكال المتميزة وذلك لفرض سلطتهن، باعتبار أنهن فئة أقل سلطة من الرجال، وهذا ما جاء به " **لابوف**" حين قال :

"In careful speech women use fewer stigmatized forms than men, and are more sensitive than men to the prestige pattern"([1])

[1] -W. Labov, Sociolinguistic Patterns. French Translation by Alain Kihm. Sociolinguistique. Les editions de Minuit. 1972. P: 191

بمعنى أن: "النساء يستعملون أشكال غير لائقة في خطاب معاتبة الرجال، وأنهن مرهفات الحسّ لاستعمال النموذج المشهور ممّا يعني أنهن يفضلن الشكل الذي يظهر من خلاله فرقهن، اختلافهن، وتفوقهن عن الرجال".

أثر التدرج السني في تنوع المنطوق:

أصبحت ظاهرة التدرج السني معيارا أساسيا يؤخذ به في الدراسات السوسيولسانية، فلقد أظهرت الأبحاث الحديثة أن المتكلمين وعلى اختلاف أعمارهم يستعملون أنواعا مختلف من الكلمات وقد يكون ذلك شعوريا أو لا شعوريا، وفي محاولة لإظهار تلك الحقيقة، أن منطوق المتكلم شديد الارتباط بعمره، قام بعض اللسانيين وعلماء الاجتماع اللغوي ببعض الأبحاث التي خرجت بنتائج مفادها أن " النموذج يظهر جليا عند سن العاشر على الرغم من أن نتائجه تبدأ في الجلاء عند سن الخامس عشرة"[1] .

هذا المنهج يتماشى مع النموذج الذي جاء به " **لابوف** " :1964 من قبل حيث أقرّ أن: " المعنى الاجتماعي للخصائص اللهجية لأصدقاء الطفل تتضح له تدريجيا عندما يتعرض لأشكال أخرى "[2].

و من خلال الجماعة اللهجية لتلمسان، واعتمادا على المعلومات المستقصية من مختلف الفئات العمرية، اتضح جليا أن المنطوق محكوم بآلية العمر، والتي تتحكم في مختلف فئات الجماعة اللهجية لتلمسان .

معطيات الفئات العمرية :

مرة أخرى ومن أجل استقصاء طبيعي وجوهري وقصد الحصول على نتائج موضوعية، فإن المعلومات مستنسخة من حصص إذاعية ومساءلات عادية وغير مرئية لمختلف فئات المخبرين.

---

[1] - Peter Trudgill. Sociolinguistic Patterns in British English. London. Edward Arnold. 1978. P 155

[2] - W.Labov The study of Language in its Social Contexts. Vol 23. 1964. P91..

تجدر الإشارة هنا إلى أن التغيير الخاضع للتحقيق هو التصرف السوسيولساني وعلاقته بالتدرج السني، لكن وبعد البحث في مختلف المعطيات خلصنا إلى بعض النتائج المفاجئة لما يعرفه العامة عن الجماعة اللهجية لتلمسان، ولكن أمرين مهمين ينبغي الإشارة إليهما منذ البداية وهما :

أ- إذا كانت نتائج التغيير الخاصة بالمتكلمات التلمسانيات بالمقارنة مع نظيراتها غير التلمسانيات، ضعيفة فعلى العكس من ذلك فلا نلمح أي تغيير بين المخبرين الرجال مهما كان سن المتكلم ما عدا في بعض الحالات النادرة أين يضطر المتكلم إلى نطق بعض المفردات من العربية الفصحى كنطق " القاف " /ق/ عوض /ʔ/ وهذا ما نلمحه أيضا عند الفتيات المتمدرسات، حيث ينطقن كلمة " القضية " بنوع من المحافظة، أين يبقون على نطق القاف وقلب " الضاد " " دالا "، فتصبح[əlqadija]

ب- وضوح وجلاء ساطعين للتصرف اللهجي للصبيان في تلمسان حيث يتميز هؤلاء بدرجة من الوعي إلى درجة أن الصبي يشعر بوجود لهجتين، فواحدة حضرية [اللهجة التلمسانية]، والأخرى بدوية، ويبدأ هؤلاء الصبيان في استعمال الشكل الثاني كلّما تتاح لهم الفرصة للحديث مع المتكلمين غير التلمسانيين، حيث أنه عند بلوغ الطفل سن السادسة أو السابعة يحتاج إلى استعمال الشكل اللهجي الثاني، أي نطق [q]و [g] عوض [ʔ].

لكن التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا نلمح هذه الظاهرة عند الصبيان وليس عند الصبيات ؟ تفسير يتيم يمكن أن يقدم لمثل هذا التساؤل السوسيولساني وهو أن اللاتجانس الذي يميز الجماعة اللهجية في تلمسان، والتلفاز، والإذاعة الجزائرية والتي تستعمل لهجة مخالفة لتلك المنطوقة في تلمسان كانت السبب في ذلك .

هذه العوامل مجتمعة عملت على جعل الأطفال في تلمسان يعون تلك الخصائص اللهجية التي تميز منطوق تلمسان من جهة، ويكتسبون تدريجيا نوعا من الخلط في كفاءة الاتصال، ورصيدا يتماشى مع من يكلمون من جهة أخرى.

لكن و لمرة أخرى لماذا لا يتصرف الأطفال من الجنس الآخر بالطريقة نفسها ؟

سألنا مجموعة من الأطفال الذكور، وانحصرت جل إجاباتهم في النقاط الآتية :

- أجاب البعض قائلا أن [?] مناسب للفتيات.
- قال البعض الآخر أنهم يخجلون عند استعمال تلك الخاصية، وخاصة مع غير التلمسانيين .

من خلال هذه المجموعة من التساؤلات نستخلص أن التصرف اللهجي لنوع المتكلم يبدأ في مرحلة مبكرة، ووجدنا تفسيرا لتلك الخصائص اللهجية التي تتميز بها النساء في تلمسان من تحفظ وازدراء للأخريات .

لقد قمنا بحساب المتغيرات عبر مختلف الحصص الإذاعية الخاصة بالأطفال وإلى التسجيل لحديث عدة فئات على اختلاف أعمارهم، سوف نعرض مختلف النسب والنتائج عبر منحنيات بيانية، إذ أنه ومن خلال هذه الدراسة لفت انتباهنا تصرف سوسيولساني تميز به الشباب الذكور على عكس الإناث، وهو ذلك الميل إلى تقليد الجماعة اللهجية الأخرى التي تتميز بنطق معين، ورصيد لهجي يختلف عن ذلك التداول بين أهل تلمسان (خاصة أثناء اللعب مع بعضهم البعض في مختلف الملاعب)، بالإضافة إلى ذلك فإن الخصائص اللغوية للمخبرين " غير التلمسانيين " تظهر أنها تشترك في أذهانهم ببعض " الصلابة "والذكورة، ويبدأون باستعمال تلك الميزة كلما يشعرون بوجود شكل لهجي مختلف، وواضح أيضا أن المقام له دور فعال في اختيار الموقف اللغوي، بمعنى أن الشبان من أهل تلمسان يفضلون استعمال تلك الصلابة والخشونة عند الحديث مع أصدقاء الشارع ، لكنهم يعدلون عن ذلك بدخولهم إلى المنزل وحديثهم لباقي أفراد العائلة، وهذه الظاهرة موجودة في مجتمعات غربية أخرى وهذا ما أقره كل من " **لابوف** " (***Labov*** 1972) ثم أثبتها **شيشاير** (***Cheshire*** 1978) حين قال :

"In boy's speech, variation is governed by norms that are central to the vernacular culture, and are transmitted through the peer group" ([1]).

بمعنى أن:

" التغيير في حديث الذكور الصغار محكوم بمقاييس أساسية لدى ثقافة العام، وموجّه عبر أعضاء الجماعة ".

في مبحثنا هذا والمتعلق بالجماعة اللهجية لتلمسان، وعلى الرغم من أن التغيير اللهجي في الحديث العام ليس له أي دخل مع اللغة العربية الفصحى وغير الفصحى، و على ذلك يمكن استنتاج تداخل بين اللهجة الحضرية والبدوية، وأن ذلك التصرف اللهجي للأطفال الصغار يظهر بأنه موثوق بما نسمّيه " بثقافة الشارع ".

لنأخذ الأمثلة الآتية :

السن / المتغير	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
	12/6	18/13	23/19	30/24	35/31	40/36	45/41	50/46	60/51	70/61
[ʔ]	%28.72	%29.12	%36.26	%36.03	%57.46	%57.78	%80.08	%88.71	%88.84	%96.27
[q]	%11.77	%15.44	%12.03	%36.09	%16.29	%15.49	%09.21	%06.11	%08.88	%02.26
[g]	%59.50	%55.43	%51.70	%27.87	%26.24	%26.72	%10.70	%5.17	%02.27	%0.96

نتائج المتغيرات بالنسب المئوية حسب سن المتكلم

[1] Phillipe Marçais, les parlés arabes, esquisse grammaticale de l'arabe maghrébin, 1977, P : 225.

ارتأينا أن نمثل هذه النتائج من خلال منحنى بياني يظهر اختلاف نطق المتغيرات [ʔ] ، [q]و[g] باعتبارهم أهم الخاصيات التي تميز منطوق تلمسان وذلك حسب التدرج السني للمتكلم .

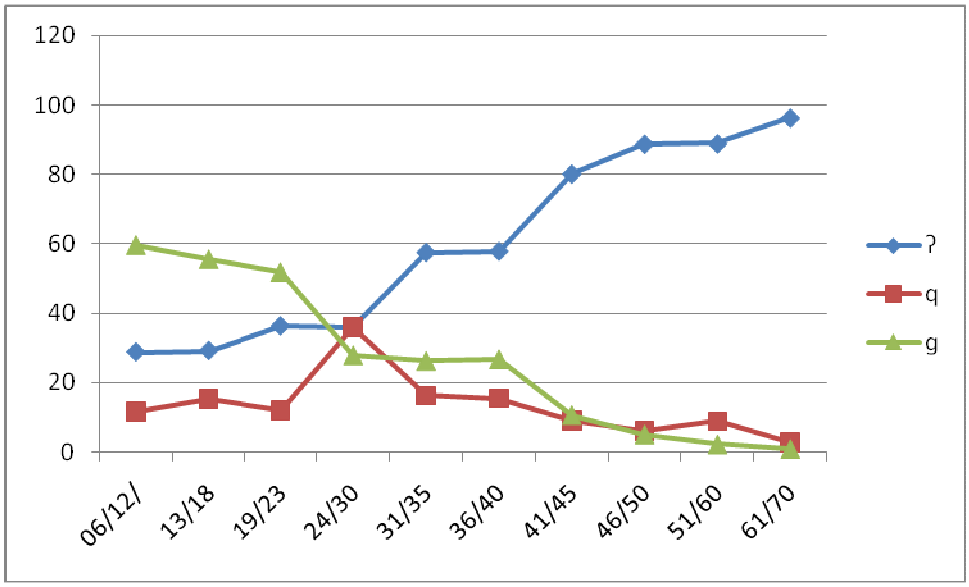

نطق المتغيرات حسب التدرج العمري

إنّ مختلف النتائج المتوصل إليها في الجدول والمنحنى البياني تعكس بوضوح درجة التغيير الذي يجنح فيه الأطفال الصغار نحو خصائص اللهجة البدوية أين تنطق [ʔ] [g] وبدرجة اقل [q] . و بالمقابل نلاحظ أن خط المتغير [ʔ] في المنحنى يصعد إلى الأعلى كلّما تقدمنا في السن، وهذا ما يعكس درجة المحافظة التي تميز بها كبار السن في تلمسان وخاصة النساء منهم.

لنأخذ كذلك بعين الاعتبار موضوع المتكلمين الأصليين لتلمسان، إذ نلاحظ الانخفاض الحاصل في استعمال [ʔ] بين المتكلمين التلمسانيين الذكور عامة، وصغار السن بدرج أخص، لكن السؤال الذي يطرح نفسه من جديد هو: هل هذا راجع إلى العوامل السوسيوثقافية كونها

كافية لتفسير ذلك التصرف اللهجي ؟ أم هناك أمر خفي يحدث داخل هده اللهجة، لكنه لا يزال في مرحلة النشأة، ولن يتسنى لنا جليا لنرى تطوره ومخلفاته اللهجية ؟

الظاهر أن الجنوح إلى استعمال [g] و[q] ، وموقف أهل تلمسان اتجاه تلك الخصائص اللهجية الموسومة بهم، ينذر بميلاد تغيير صوتي في طريق النشأة، وربما لن نخطأ إذا اعتقدنا أن الأطفال والشبان في الآونة الأخيرة سوف لن يحافظوا على تلك الخاصية [ʔ] كلما كبروا في السن، وبالمقابل فالبحث في مشكل المتكلمين الكبار في السن يكشف أنهم لم يستعملوا الخصائص الريفية [g] و[q] في مرحلة شبابهم، لكن ما هو أكيد هو أن الجماعة اللغوية لمنطقة تلمسان هي موضع تأثير شديد من قبل الأشكال اللغوية أو اللهجة العربية والبدوية على وجه الخصوص، داخل الحدود السياسية وخارجها، ونقصد بذلك اللهجة المغربية، الفاسية، والوجدية، بصفة أخص؛ وذلك بتأثير بعض العوامل التاريخية، الاجتماعية، وحتى بحكم القرابة الأسرية أحيانا.

لنرى الآن المتغير الصرفي [u] في لهجة تلمسان وكيف ينطق حسب التدرج السني للمتكلم.

المتغير الصرفي [u]:

العمر / المتغير	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
	12/6	18/13	23/19	30/24	35/31	40/36	45/41	50/46	60/51	70/61
[u]	%9.01	%13.07	%28.38	%42.25	%42.10	%42.01	%56.26	%77.76	%89.66	%89.77
[ah]	%90.98	%86.92	%71.61	%57.75	%57.90	%57.99	%43.74	%22.23	%10.33	%10.22

نتائج المجموعات بالنسب المؤوية مقابل حسب التدرج السني

النتائج المتحصل عليها بالنسبة للمتغير [u] المستعمل في الشكل التلمساني (ضمير المخاطب للمذكر) مستعملا إمّا في الفعل مثل [ktablu] أي " كتب له " أو في صفة النسبة الملكية مثل [kta:bu] بمعنى " كتابه "، على عكس اللاحقة المستعملة في اللهجة البدوية [ah] ، وسوف ترى ذلك جليا من خلال المنحنى البياني كما بينه الجدول، إذ أن استعمال المتغير [u] عند المتكلمين من الفئات الصغرى متدني جدا، ثم يبدأ مستوى استعمال المتغير [u] بالتزايد كلما كبر سن المتكلم حتى يبلغ أقصاه عند الفئة المتقدمة في السن .

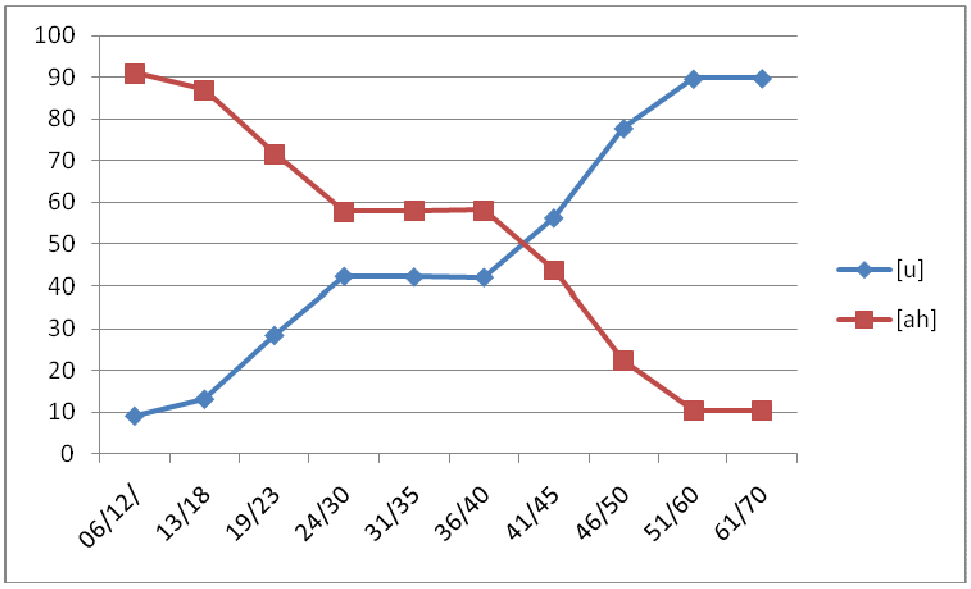

منحنى نطق المتغير[u] مقابل [ah] حسب العمر في تلمسان

على الرغم من أن المتغير [u] ليس خاصية يمتاز بها الشكل اللهجي لتلمسان لكن يظهر مقابل اللاحقة [ah] والذي عادة ما تستعمل في المناطق البدوية التي تجاور تلمسان، ومن ثمة فإن معظم المتكلمين الشبان يفضلون استعمال اللاحقة [ah] للأسباب نفسها التي ذكرناها فيما يتعلق باستعمال [g] موضع [ʔ]، بمعنى أن كلمة مثل [gultlah] بمعنى " قلت له" تبدو أفضل من [gutlu] . أمر آخر يستدعي الإشارة هو أن المورفيم الخاص باللهجة الريفية [ah] يعطي طبعة من الدلالة الاجتماعية خاصة بين الفئات الصغرى، وهذا ما يظهر بين هؤلاء حين الحديث مثلا عن بعض الأحداث المتعلقة بالقوة كأفلام العنف والقتال، فيستعملون حينئذ اللاحقة [ah] كما لو أنهم يريدون أن يعطوا لحديثهم نوعا من القوة والخشونة، فينطقون مثلا [katlah] بمعنى " قتلة " في حين أن في منطوق تلمسان ينطقون [ʔtslu] أو في مثال آخر [darbah] عوض [darbu].

النتائج المتحصل عليها من خلال مختلف التسجيلات والمساءلات الخاصة بالاستعمال المعجمي لبعض المفردات تظهر مفاجئة غير متوقعة، لكن المحيط الاجتماعي له دور فعّال في التصرف اللغوي للأطفال الصغار .

فمعظم الأطفال الذكور والراشدين يفضلون استعمال الشكل البدوي وكذا الخصائص اللغوية الخشنة كـ: [g]، [q]و [ah]، وذلك لإظهار انتمائهم الجنسي ورجولتهم ومن ثمة إثبات تباينهم وفرض شخصيتهم من خلال الشكل اللهجي المختلف عن باقي فئات المجتمع، وهذا ما يقرّه **مارسي** ***(Marcais)*** حين يقول:

"Inaptitude générale a articuler correctement les consonnes arrière: ainsi, détente glottal, pour [q] a Tlemcen (comme a Fès- juif"[1]

[1] Phillipe Marçais, les parlés arabes, esquisse grammaticale de l'arabe maghrébin, 1977, P : 225.

بمعنى: العجز الكامل للنطق الصحيح للصوامت الخلفية و كذا استرخاء حنجري للقاف في تلمسان كما هو الشأن بالنسبة ليهود فاس"".

لكننا نلاحظ أنّ هؤلاء الأطفال وعند دخولهم للمنزل يرجعون إلى استعمال تلك الخصائص اللهجية المميزة لمنطقة تلمسان، وإذا ما تحدث الطفل بتلك اللهجة البدوية داخل المنزل فممكن جدا أن يسأله والديه وخاصة أمّه –: " لماذا تتكلم هكذا ؟ " أما إذا خرج الطفل من المنزل فيجد نفسه طليقا من تلك القيود، فسوف يتحدث بتلك اللهجة البدوية والتي تحكمها "قوانين الشارع" والتي هي بدورها ظاهريا أم باطنيا ترفض بعض الخصائص التي تميز لهجة ومنطوق تلمسان وتعوضها بالشكل الآخر الذي يعطي اعتبارا لتلك الخشونة التي تتماشى مع ثقافة الشارع .

والظاهر أن التغيير اللهجي والحاصل بالأساس على مستوى المنطوق في تلمسان محكوم بالإضافة إلى ما رأيناه سابقا بالسياق والمتلقي من جهة، وأن فئة الشباب وخاصة الذكور منها تجنح إلى الخلط بين الشكلين (الحضري / البدوي) اللذين يتعايشان داخل الجماعة في تلمسان من جهة أخرى .

مرة أخرى علينا أن نلح على حقيقة مفادها أن المتكلمين الشباب في تلمسان هم في مطلق الأحوال أمام ضرب من " **الضغط اللهجي** " من قبل مجموعة كبيرة تتحدث اللهجة البدوية، وذلك بحكم التعامل اليومي.

وخلاصة مبحثنا هذا هي أنه وعلى الرغم من كل ما هو كائن وشائع بين المتكلمين وخاصة الذكور منهم حين مخاطبة الفئة الأخرى فإنهم يحافظون على بعض الميزات والخاصيات التي يختص بها منطوق تلمسان [ʔ] عوض [g] و[q] ، و[ntsina] و[ʔaʕməl] عوض [nta] و[di :r] على التوالي، مع مزج هذه الميزات ببعض الخصائص التي تتميز بها لهجة المتلقي، وهذا ما أفرز ميلاد شكل جديد ألا وهو تعايش الشكلين اللهجيين، أمّا فئة الإناث

في تلمسان فإنهن يحافظن على نموذج منطوق تلمسان بكل ميزاته وخصائصه مهما كان نوع المتلقي أو سياق الكلام، ويزيد ذلك جلاء كلّما كبر سنّ المتكلمة .

المنطقة الجغرافية وأثرها في تنوع المنطوق :

أوّل ما قد يلحظه أي شخص دخيل على أي منطقة هي الفروق اللهجية بين أهالي تلك المنطقة خاصة في طريقة النطق***'Pronunciation'*** فالعام والخاص يلاحظ أنّ هناك فروقا في طريقة النطق واختيار الكلمات والصيغ بين سكان مدينة تلمسان وضواحيها، فكلما زادت المسافة زاد الاختلاف والتباين، كما أن هناك أمرين أساسين يستوجب الوقوف عندهما :

أولا: الخاصية اللهجية لمنطقة تلمسان جعلت من هذه الدراسة أمرا بغاية الصعوبة، لأنه وكما سبقت الإشارة لو نزحنا عن المدينة بأميال قليلة لوجدنا طريقة نطق أخرى غير تلك التي بين أهالي تلمسان الأصليين.

ثانيا : إنه من المعلوم وكباقي المدن فمدينة تلمسان قد طرأ عليها تغيير كبير وجدري في أحيان كثيرة، فلقد أثّرت عوامل جمة في ذلك التغيير لعلّ أهمها عامل النزوح الذي لعب دورا فعالا في تقليص نسبة " **الصفاء** " –إن صحّ المصطلح – والذي كانت تتميز به لهجة تلمسان، ونزوح أهل تلمسان الأصليين أنفسهم نحو المدن الكبرى جعل من الدرس أشبه بالمستحيل هذا من جهة، وتوافر وسائل النقل لأهل البدو ساعد على الاتصال اليومي والدائم بأهل المدينة ممّا عكر ذلك الصفاء من جهة أخرى، جانب التمدرس مع أهل القرى إذ زاد في الأمر صعوبة، أضف إلى ذلك عامل المصاهرة مع البدو، والقادمين من المدن والمناطق المجاورة ذلّل من صفاء تلك الخصائص اللهجية التي ميزت منطوق تلمسان، حيث أن أهل هذه المنطقة كانوا في القديم لا يتصاهرون إلاّ مع أبناء أهل المدينة، زد على ذلك فإن خروج سكان المدينة من تلك القوقعة وانفتاحهم على التجارة عبر كل التراب الوطني، وانفتاح الجامعة أمام الطلبة من كافة أرجاء التراب الوطني جعل من تلك المميزات تتلاشى شيئا فشيئا وفوق كل هذا فسكان تلمسان أنفسهم، وكما رأينا في المباحث السابقة يتخلون في مناسبات عدة عن تلك الخصائص ولا يتحدثون بها إلاّ بين بعضهم البعض.

ورغم كل هذه العوامل التي ربما شوّهت، وأفقدت منطوق تلمسان " **عذريته** " **وصفاءه** ، و مع ذلك حاولنا أن نبرز ذلك الفرق القائم بين منطوق أهل تلمسان ونظيره من أهل البدو، وسوف نبدأ بالخاصية المميزة لمنطوق تلمسان وهي المتغير : الهمزة [?].

المتغير الهمزة[?] :

للإشارة فقط فقد قمنا بمساءلة عدد لا بأس به من الأشخاص من جهة ومن خلال مختلف التدخلات الإذاعية للقاطنين بالمناطق المحايدة للمدينة من جهة أخرى، وذلك للوقوف على العلاقة بين هذا التداخل بين سكان البدو والحضر، وسوف يتجلى ذلك بأكثر بساطة من خلال الجدول التالي :

المتغير / المخبرون	الهمزة[?]	القاف[q]	الجيم القاهرية[g]
متكلم من تلمسان مع آخر من تلمسان	%98.97	%1.02	%0
متكلم من تلمسان مع آخر من الريف	%64.64	%24.89	%10.46
متكلم من الريف مع آخر من تلمسان	%05.74	%77.33	%16.92
متكلم من الريف مع آخر من الريف	%0	%65.61	%34.39

جدول استعمال الهمزة [?] مقابل القاف والجيم القاهرية بين أهل تلمسان وسكان الريف

فمن خلال قراءتنا للنسب والنتائج المتحصل عليها يتجلى أنّ هناك تباين في نطق الهمزة [ʔ] بين سكان منطقة تلمسان بعضهم البعض، وحين الحديث مع آخرين من الريف، وكذلك الشأن للمتغير القاف [q] والجيم القاهرية [g] الذين لا نجد لهما أية نسبة بين سكان تلمسان، ماعدا في بعض الكلمات، " قرط "[məngu:ʃ] ،"القمر" [gamræ] أو عند نطق كلمة القرآن[qurʔæn] .إضافة إلى الفرق بين أهل تلمسان أنفسهم في استعمال الهمزة، وذلك ما بين الرجال والنساء كما رأينا في المبحث الخاص بالنوع .

المتغير التاء [ʦ] :

الفونيم [t] الذي ينطق في مدينة تلمسان [ʦ] كما هو الشأن في بعض المدن الحضرية كـ: شرشال ،" قسنطينة" و" ندرومة"، يمكن عدّه معيارا هامّا يتميز به منطوق تلمسان على الرغم من أنه ليس بالدرجة نفسها التي تتميز بها الهمزة [ʔ] .

فمن خلال مساءلتنا تبين أن هذه الخاصية لا تتغير بين أهل المدينة، فلا تسمعهم ينطقون " التاء" [t] التي تستعمل بين أهل الريف، فعلى الرغم من أنّ أهل تلمسان أحيانا يخاطبون آخرين من أهل الريف فلا يغيرون تلك الخاصية، عكس هؤلاء الذين يحاولون أحيانا أن يقلّدوا أهل تلمسان وبدرجة كبيرة حتى يصل بهم الأمر إلى أن ينطقوا بها في مواطن لا يصح أن ينطق بها كقولهم " تلمساني " [ʦləmsani] .

المتغير[ʤ]:

منطوق تلمسان يتميز أيضا بنطق الجيم [ʒ] بإضافة صوت الدال[d] فتنطق [ʤ] كما هو الشأن كذلك في مناطق عديدة كالجزائر العاصمة، البليدة ، وقسنطينة .

فمن خلال المساءلة اتضح منذ الوهلة الأولى، وبكل بساطة أن المتغير [ʤ] ميزة تفرق بين سكان مدينة تلمسان وأهل البدو، فعند نطق كلمة [ʒæ] بمعنى " أتى " يتجلى أنّ المخبر

ليس من أهل تلمسان، الذين ينطقونها [dʒæ] ولبعض الأسباب والخصائص الصوتية تنطق أحيانا في تلمسان [ʒ] وذلك عندما تكون متبوعة بصوت مجهور، أو صوت أسناني مهموس مثل قولك [ʒdi :d] بمعنى " جديد" أو [χreʒtsu] أي " خرجتم ".

خاصية أخرى هي أن سكان الريف إذا ما حاولوا أن يتكلموا الى أهل من تلمسان فإنهم ينطقون [ʒ] لا شعوريا كقولهم [ʔæʒi] " آجي " عوض [ʔædʒi] بمعنى " تعال".

إضافة إلى هذه الخصائص الصوتية، هناك ميزات مورفولوجية يتميز بها سكان تلمسان كالمورفيم اللاحق [u]، كقولك [ktsabu] عوض [ktæbah] بمعنى " كتابه " ولاحقة الملكية [hu] عوض [ha] ويبقى الصائت [u] كقولك [ṣrawlu] بمعنى " سرواله " فالمورفيم [hu] لا يظهر بشكل واضح هذه الميزة، ذلك لأن هذه الخاصية شائعة الاستعمال في دول عربية كتونس، المغرب، ومصر، ولذلك فالمورفيم [ha] هو الميزة الدالة على أن المخاطب من أهل الريف لأن أهل تلمسان لا يستطيعون أن ينطقوا ذلك المورفيم على الرغم من أنهم أحيانا يغيرون طريقة نطقهم حين حديثهم مع أهل الريف، فينطقون مثلا [gullu] أي " قل له" . كلمة تغير فيها نطق الهمزة [ʔ] إلى جيم قاهرية [g] إلا أنّ اللاحق [u] لا يتغير، والعكس صحيح في قول أهل الريف [dialah] "ديالـه " عوض [dialu] " ديالو" بمعنى" **له**".

التغيير المعجمي :

للتغيير المعجمي دور فعّال كخاصية في التمييز بين سكان أهل تلمسان وسكان الريف، بل هو عماد الخصائص المميزة لذلك الفرق، فمن خلال الاستماع لمختلف التدخلات من قبل المواطنين في الحصص الإذاعية ومختلف مساءلاتنا عامة، تبين لنا أن العديد من المتكلمين للهجة تلمسان الذين يغيرون بعض الخصائص لأسباب ذكرناها من قبل، إمّا تبعا لسياق الحديث، أو لصيغة المتلقي، إلا أنهم يحافظون على بعض الخصائص الخاصة بأهل تلمسان

كقولهم [ʔggu ʕdi] بمعنى" اجلسي " لفتاة من أهل الريف عوض [ʔəʔʕud] فإنهم وعلى الرغم من ذلك لا تسمعهم ينطقون [ʒəmmʕi] " جمعي " أو كقولهم [ʂəqqajæ] عوض [ʂəʔʔajæ] بمعنى "حنفية " أو [mʕilqæ] عوض [mʕilʔæ] بمعنى " ملعقة "، فعلى الرغم من ذلك فلا تسمعهم يقولون [sebbalæ] أو [mɒɣrəf] اللذان هما من المفردات المستعملة من قبل أهل الريف .

و رغم هذا وذاك فقد تسمع كلمات مختلطة كقول أهل تلمسان [wasəm] عوض[ʔæsm] بمعنى " ماذا " ؟ أو قولهم [ʔəʔʔæmli]عوض[ʔæʕməl] .

و نعرض من خلال الجدول التالي لبعض المتغيرات على المستوى المعجمي .

عينة من منطوق تلمسان	عينة من منطوق الريف	المرادف بالفصحى
آسم	واش/واسم	ماذا؟
اعمل	دير	ضع
عبّي	أدي	خذ
كامل	قاع	الكل
آدجي	أرواح	تعال
حاب	بغا	أزاد
فاين	وين	أين؟
مدبيّا	مذبيا	أودّ ذلك

ماما	ما	أمي
فاوء	ويمت/وينت/فاوك	متى؟
ولبرحاين	ولبارح	قبل امس
دروء	ضررك	الآن
تسنّ	ريض/أرج	انتضر
أبط/كش	أقبض	أقبض
زوّل	أقلع	أنزع
هرّأ	دفق	دفق
نسيّب	قيس	إرمي
آشبيك	مالك	مابك؟
دي أتسلك	اللي قتلك	الذي قلته لك .

خلاصة القول هو أنّنا من خلال مختلف التسجيلات الإذاعية والمساءلات والملاحظات اليومية، وبعد الدراسة والتحليل تبين لنا أنه وعلى الرغم من الاتصال اليومي والمصاهرة، والتجارة، والمعايشة بين سكان المدينة وأهل الريف، إلاّ أن سكان هذه المنطقة استطاعوا أن يحافظوا على خصائص منطوقهم –إن لم نقل فرضوها أحيانا –وانصهرت واندثرت أحيانا أخرى حسب مقام الحديث .

لكن المؤكد هو أن للعامل الجغرافي دورا فعالا في تنوع منطوق المتكلم ويقال "إن لغويا بارعا يستطيع أن يعرف عنوان الشخص من لهجته، أي أنه يحدّد الشارع، والعمارة التي يسكن فيها الشخص، وهذه بالطبع فكاهة ومبالغة ولكن المقصود هو أن لغة الشخص تدل على لهجته الجغرافية[1]" .

[1] - - د. محمد علي الخولي ن دراسات لغوية ن دار العلوم، 1982،ص27.

المستوى الثقافي وانعكاساته على تنوع المنطوق:

في محاولة لاستخلاص نتائج عملية استقصينا 188 مخبرا من كلا الجنسين منهم 135 من جنس ذكر و53 من جنس أنثوي ومن مختلف الفئات العمرية ؛ ذلك حتى تبين لنا البنية الحقيقية التي تمثل الاستعمال اللغوي لهذه العينة باعتبار أن المخبر يعطي دلالات لغوية حسب سنّ التمدرس نظرا للمناهج المتبعة آنذاك من قبل المنظومة التربوية، فطرحنا السؤال أول للمخبرين حول سنّ تمدرسهم ولذلك طرحنا السؤال الآتي : **متى دخلت إلى المدرسة؟**

سنة التمدرس	1955 1956	1964 1965	1969 1970	1971 1972	1973 1974	1975 1976	1977 1978	1979 1980	1981 1982	1983 1984	1985 1986	1987 1988
عدد المخبرين	13	17	26	21	18	15	17	21	12	09	08	11

عدد المخبرين

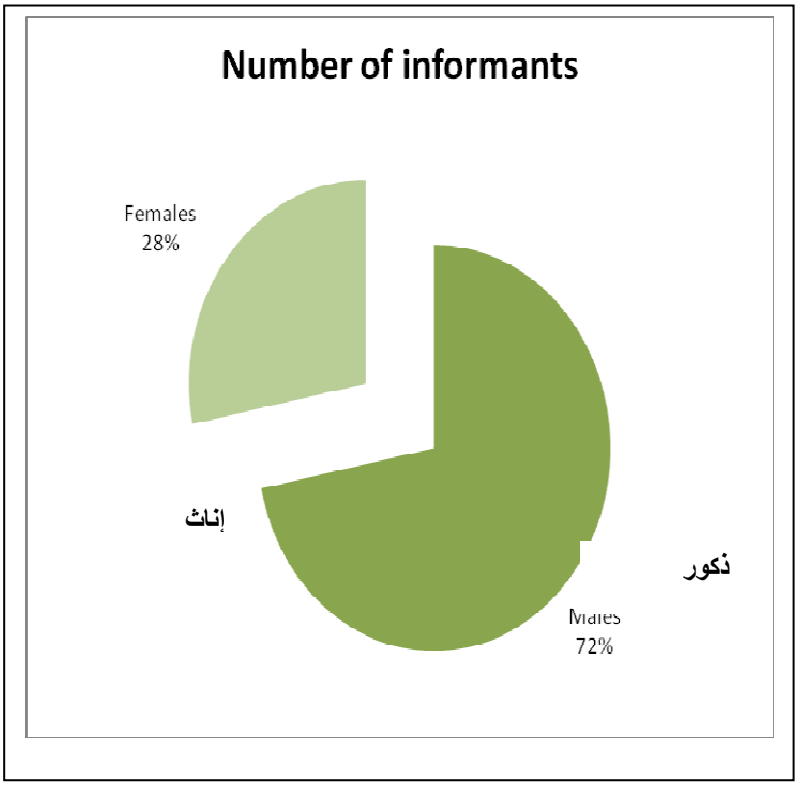

كما هو جليّ من خلال الجدول فلقد اختلفت سنوات تمدرس تلك الفئة، ولذلك يمكن تقسيم هذا الجدول إلى ثلاث مراحل رئيسة أوّلها فترة ما قبل الاستقلال وعمدنا لذلك قصد الوقوف على أثر المنهج والبرنامج المدرسي آنذاك عن الاستعمال اللغوي للمخبر، المرحلة الثانية هي تلك التي تلت الاستقلال، باعتبار أنّ المنظومة التربوية للدولة الجزائرية قامت ببعض الإصلاحات، إلاّ أنها أبقت على أداة التمدرس وهي اللغة الفرنسية وتعرف هذه الفئة بمزدوجي اللغة ***les bilingues*** أو كما يصطلح عليهم بالانجليزية ***bilinguals*** ، ثم المرحلة الثالثة التي أتت ما بعد سياسة التعريب والتي انتهجتها الجزائر مع مطلع الثمانيات 1980، والواضح كما سيتجلى لاحقا، أنّ طريقة النطق والعبارات المتداولة من قبل كل فئة تعكس أثر المنظومة التربوية على المخبرين على الرغم من اختلاف وتشعب اختصاصاتهم. هذا من الناحية الكمّية، أما فيما يتعلق بالجانب النوعي للمخبرين فجاءت على النحو التالي : إعلاميين وصحفيين، محامون، أساتذة، أساتذة جامعيين، صيادلة، مهندسين، أطبّاء، إطارات في الإدارة، إلا أننا واجهنا صعوبة في تحديد هذه النخبة، باعتبار أننا نجد جل الإطارات الشغيلة في الوظيف العمومي قد تمدرست إبّان أو مع مطلع الاستقلال.

أمّا عن شحّ عدد المخبرين من الجنس الأنثوي فيعزى ذلك أساسا إلى السياسة المتبعة من قبل العائلة الجزائرية من جهة؛ خاصة بعد الاستقلال (لأن نسبة التمدرس عند الإناث في الوقت الآني أكثر منها عند الذكور) وبحكم أعراف وتقاليد المجتمع الجزائري والتي تمنع اختلاط واحتكاك الإناث بالذكور من جهة أخرى.

قمنا بعد ذلك بسؤال ضمني يتعلق بتنقل هذه العينة "**النخبة**" من المجتمع داخل أقطار الوطن قصد الوقوف على أثر ذلك الاحتكاك عن نوع وطريقة كلام تلك الفئة. فكان السؤال كالأتي:

هل تتنقل ما بين الولايات ؟

نعم	لا
163	25
%86.70	%13.29

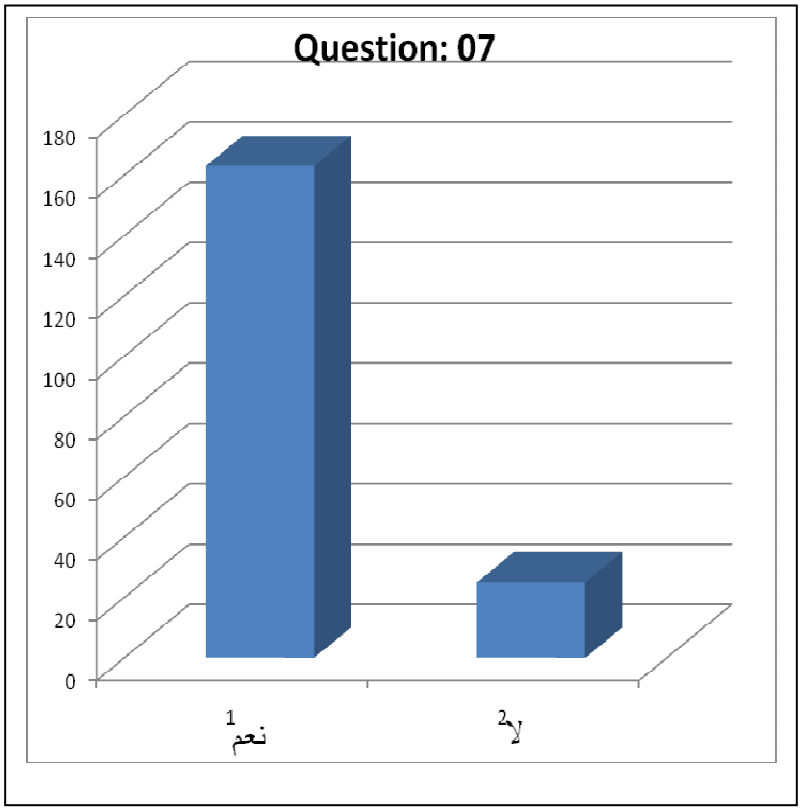

تبين لنا كما هو جلي من خلال الأعمدة البيانية أنّ الأغلبية الساحقة من المخبرين ينتقلون ما بين ولايات الوطن وذلك بحكم الشغل أو الدراسة أو التظاهرات العلمية، أو غيرها من الأسباب العلمية البحتة، الأمر الذي تأكد لاحقا من خلال السؤال الحادي عشر والمتعلق بتغيير طريقة الكلام حين التقاء الأجانب عن المنطقة، فإحتكاك المتكلمين مع بعضهم البعض يترك أثرا جليا في التخلي –وفي جل الأحيان– عن بعض الخصائص النطقية للمتكلم، لذلك أقرّ أهل الاختصاص أنه من الواجب وقصد إقامة دراسة أصلية ومرجعية يجب اعتماد النساء الماكثات

في المنازل، بحكم عذرية لهجاتهم والمحافظة على أصالتهم اللغوية، فيقول **وارثر بورغ** في هذا السياق :

"Tout le monde sait qu'en matière de langage, les femmes sont plus conservatrices que les hommes, qu'elles conservent plus fidèlement le parler des aïeux"

بمعنى: "جميع الناس يدرك أن في قضية اللغة، النساء أكثر محافظة مقارنة بالرجال، فهن يحافظن بإخلاص على منطوق الأجداد".

ليضيف **بوبس قيليرون** :

"Les femmes passent beaucoup plus de temps à la maison ,en société, à cuisiner ,à laver et qui parlent plus que les hommes ,pris par les travaux de la compagne au milieu desquels ont les voit taciturnes, et souvent isolés toute la journée…"

بمعنى أن: " النساء يقضين وقتا طويلا في المنزل، في المجتمع، في المطبخ، في الغسيل، يتكلمن أكثر من الرجال الذين هم مشغولون في أعمال البادية وفي أوساط أين تراهم صامتين، وعادة معزولين طوال اليوم"

لعلّ العامة من الناس وللوهلة الأولى يظن أن طرح سؤال من هذا النوع يعدّ من البلادة. فسؤال المخبرين عمّا إذا كان لهم احتكاك بالنخبة المثقفة وهم أنفسهم ينتمون إلى الفئة عينها، يظهر أنه أمر في غاية السخرية، لكننا قمنا بذلك عن قصد وتجربة، بحكم نوع المهام الممارسة، فيمكن للطبيب أن يمضي ساعات يومه مع المرضى غير المثقفين كما هو الشأن للصيدلي، والصحفي والمراسل الإعلامي و كذا المحامي...الخ، لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد احتكاك ما بعينه، فالجدول التالي يثبت عكس ذلك تماما :**هل لكم احتكاك مع الطبقة المثقفة ؟**

نعم	لا	بعض الأحيان
188	0	0

% 0	% 0	% 100

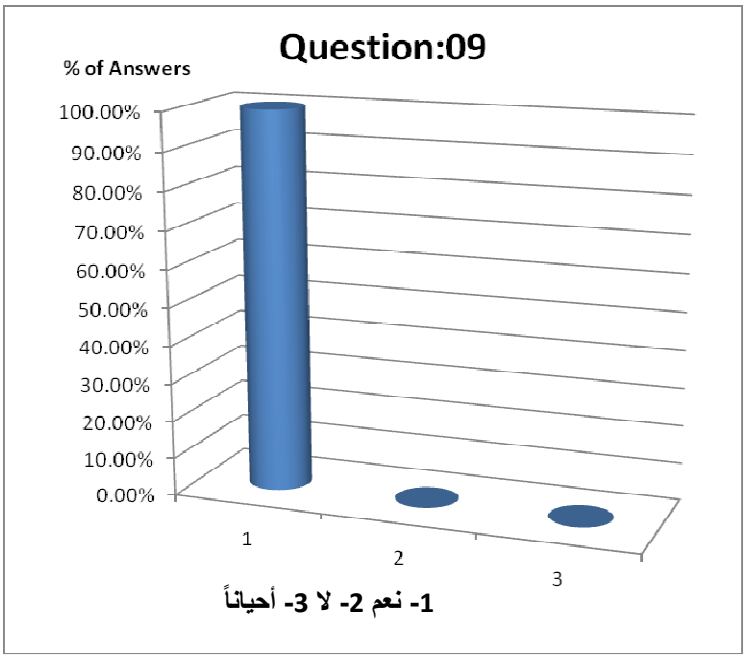

تظهر النتائج المتوصل إليها أن كل المخبرين أجابوا بنعم عن هذا السؤال، وهذا أمر بديهي بحكم المستوى الثقافي لكل مخبر، فترى الطبيب يقضي معظم أوقاته مع زميله في المهنة وكذا المحامي، والأستاذ الجامعي مما يوسع الهوة بين استعماله اللغوي ونظيره عند عامة الناس، أو بعبارة أخرى كلما زاد المستوى الثقافي للشخص كلما اتسعت الهوة بينه وبين الطبيعة الخلقية للإنسان أي أن هناك تنافر بين الثقافة والطبيعة، يقول'' كلير كرمش'' في كتابه **اللغة والثقافة** .

''One way of thinking about culture is to contrast it with nature .Nature refers to what is born and grows organically; Culture refers to what has been grown and groomed'' C.Kramsch .Oxford 2009

بمعنى: ""هناك طريقة واحدة للتفكير في تنافر الثقافة و الطبيعة؛ فالطبيعة ترجع الى ما ولد و تطور عضويا، أمّا الثقافة فتعنى بما تكون و نما"".

دعنا الآن نقلب السؤال ونقول: **هل لكم احتكاك مع الطبقة غير المثقفة ؟**

فجاءت النتائج كالتالي :

نعم	لا	بعض الأحيان
130	44	14
% 69.15	% 23.40	% 0

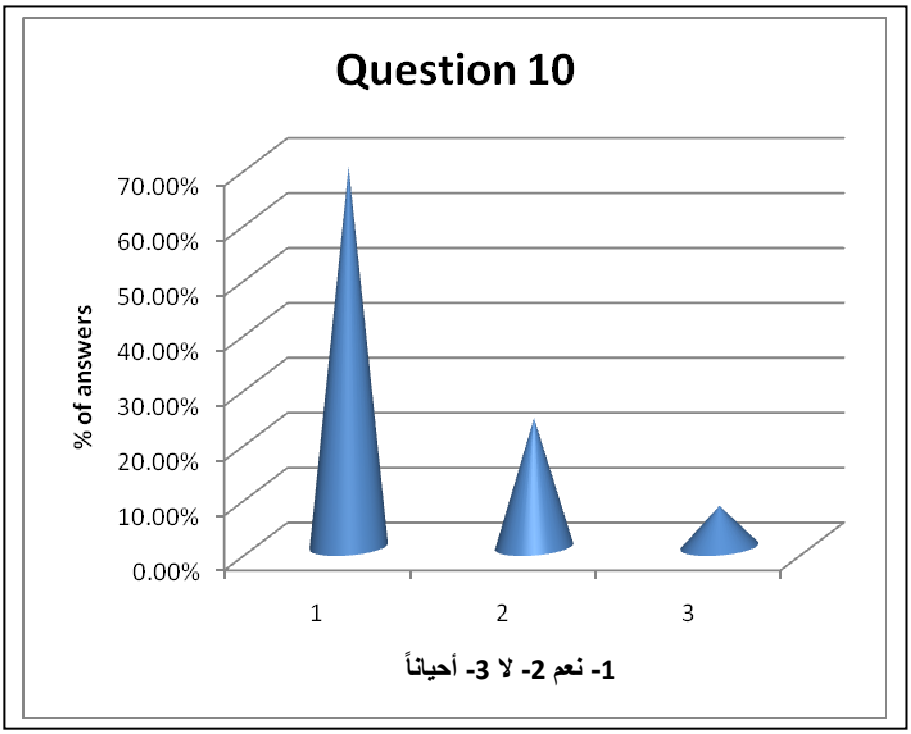

الإنسان ابن بيئته، لقد تجلى من خلال التسجيلات التي قمنا بها مع مجموع المخبرين أن جلّ الاختلافات كانت معجمية؛ ذلك أن منطوق، الرصيد، والمعجم اللغوي المتعامل به مع زميله في المهنة يختلف اختلافا شديدا عند محادثة شخص غير مثقف والعينة الآتية تظهر ذلك:

وجع	Colique	وجع
أمعاء	Colon	مصارين
فحص معدي	Fibroscopie	التيو
تحاليل الدم	Bilan	عيارات
هوائيات مقعرة	Assiette	ديمو
قضية	Affaire	لفير
الضغط الدموي	Tension	لطونسيو
السياسة	Politique	البوليتيك
هاتف خلوي	Portable	بورتابل
خلاصة القول	Bref	الفايدة
التأشيرة	Visa	فيزا
معاش	Pension	بونسيون
طبيبة	Médecin (femmes)	مدسين
رافع	Plaider	وقف عليه
ماجستير	Magister	مازجشتير
الأخبار	Les informations	الخطابة

زوج ملاين	Vingt miles dinar.	20 ألف دينار
بياسة	Pièce.	قطعة

والنتائج المتوصل إليها تبين ذلك من خلال الجدول التالي: فكان السؤال: **هل تغيير طريقة كلامك حين ملاقاة شخص أجنبي ؟**

نعم	لا	بعض الأحيان
62	106	20
% 32.97	%56.38	% 10.63

*** هل تغير طريقة كلامك عندما تتحدث مع شخص من منطقة أخرى؟**

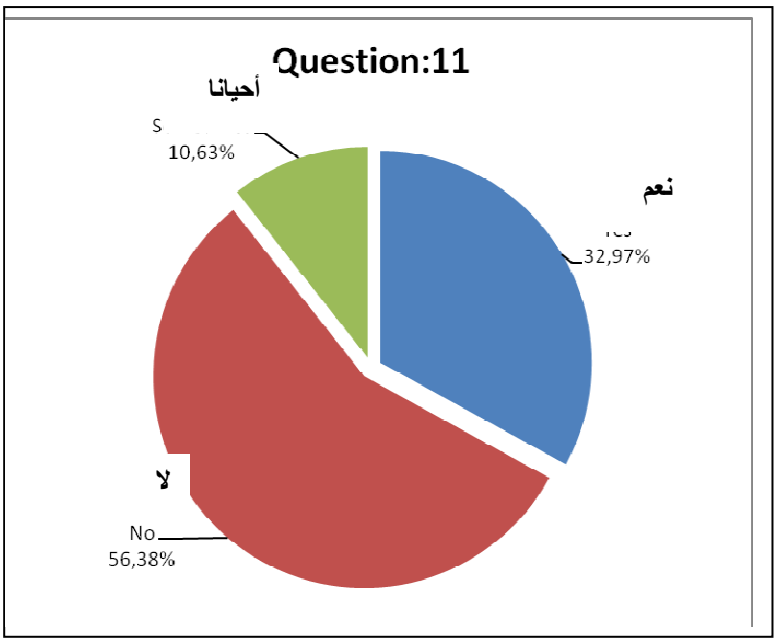

فمن أصل 62 مخبرا أجابوا بنعم كان هناك 19 من جنس أنثوي باعتبار أنّ النساء محافظات وقلّما يحتكوا مع الأجانب.

ذكور	إناث
43	19
% 69.35	% 30.64

***هل تغير طريقة كلامك عند الحديث مع شخص أجنبي من منطقة تلمسان؟**

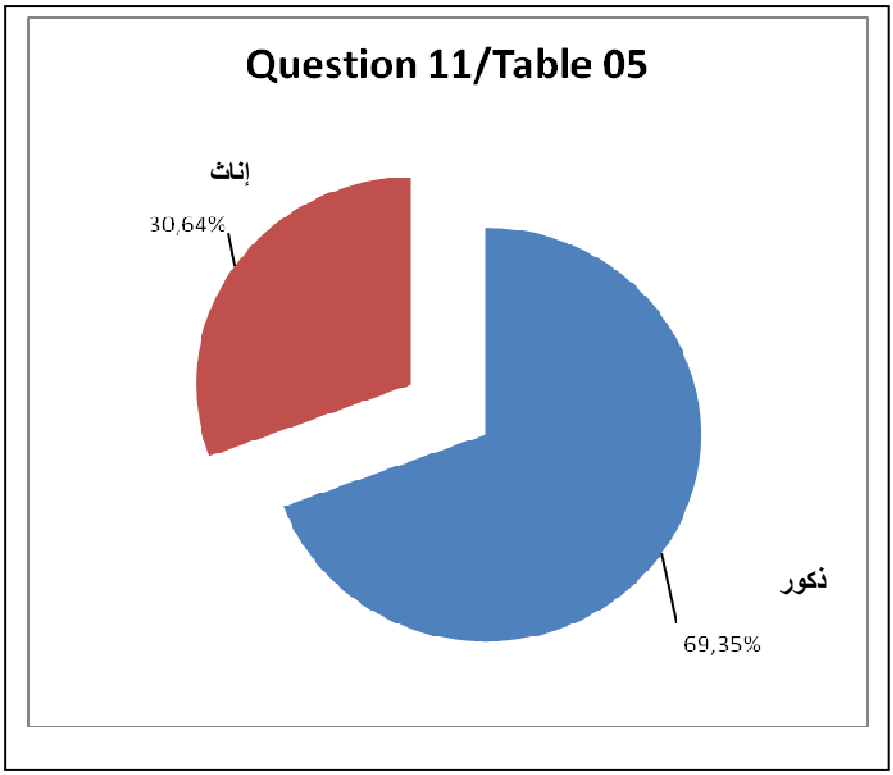

ويعزى ذلك إلى شخصية المخبر فهناك من تنصهر خصائصه اللهجية بمجرد الاحتكاك مع لهجة الأقوى أو ما يعرف بقانون اللغة والسيادة، كما هو جلي في فرنسا حيث اتخذت لهجة باريس كلغة رسمية والأمر نفسه ينطبق على لهجة العاصمة لندن في انجلترا.

هذا من جهة، أمّا ما استنتجناه من خلال المساءلات السرّية التي أجريت مع فئة غير مثقفة من شباب مدينة تلمسان من جهة أخرى جاء مفاجأ لما كنا نتوقعه حيث لمحنا نوعا من التحكم اللغوي الدقيق ويعزى ذلك بالأساس إلى عوامل ثقافية، إثنية (ونقصد هنا أصل ومرجعية المخبر) ، وعمره؛ نوجز أهمّاه في النقاط التالية :

* إن الوعي المنتشر بين الشباب، بحكم سياسة التمدرس المتبعة من قبل الدولة والعولمة الغازية لجلّ المجتمعات والمتمثلة في الانترنت بكل أشكالها ***Messenger , skype , twitter , face book*** ، كثرة وتعد القنوات الوثائقية مع انتشار الهوائيات المقعرة، وانفتاح الشباب على العالم الخارجي بحكم السفر وتحسن المستوى الاجتماعي للمجتمع الجزائري، هذه العوامل جعلت من منطوق شباب تلمسان أكثر قربا للنخبة المثقفة الموسومة بالدقة والتقنية وتسمية الأسماء بمسمّياتها، فهذه الحقيقة تعكس دون شك نمو الوعي الثقافي لهذا الجيل الأخير؛ بيد أن هذه الحقيقة لا تعني انصهار النظريات اللغوية التي تقول بوجود فرق بين الرصيد اللغوي اللهجي للنخبة المثقفة مقارنة بنظيرتها غير المثقفة، ونذكرها هنا:

– فرضية'' **بازيل برنشتاين''** ***Bazil Berneistein*** عالم الإجتماع البريطاني صاحب نظرية العلاقات النسبية بين المستوى الثقافي والاستعمال اللغوي والتي أقامها في انجلترا، والمعروفة بـ : ***Elaborated Speech Code vs Restricted Speech Code*** والتي تفضي إلى اختلاف المعجم اللغوي والاستعمال اليومي واختيار المصطلحات بدقة تعكس المستوى الثقافي للمتكلم.

وقصد معرفة الحقيقة اللسانية لدى النخبة المثقفة، سألنا المخبرين عن نوع الجرائد التي عادة ما يقرؤونها، فكانت الإجابات أن الأغلبية تقرأ الجرائد المكتوبة باللغة الفرنسية بنسبة تقدر بـ 39.89 % وربما يرجع ذلك إلى اللغة المستعملة بين هؤلاء من جهة، وخاصة إلى أن هذه الفئة تمدرست باللغة الفرنسية بحكم مزاولتها للدراسة في المدرسة الجزائرية، ثم الاختصاص في الجامعة إما داخل أو خارج الوطن عادة ما يكون باللغة الفرنسية من جهة أخرى، أمّا عن أولئك الذين يقرءون الجرائد المكتوبة بالعربية فكانت النسبة أقل بنظيرتها عند الفرنسية فمثلت حوالي 34.04 % من مجموع المخبرين ويعزى ذلك إلى وعي جيل السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، ونقصد بالوعي أنه جل هذه الفئة تمدرست باللغة العربية وتأتي فئة القارئين مزدوجي اللغة أخيرا بنسبة تمثل 26.06% ويعزي ذلك إلى تحكم هذه الفئة في اللغتين من جهة، وإلى نوع المواضيع المتطرق إليها في هذه الجرائد من جهة أخرى. تجدر الإشارة هنا إلى أن تكوين ومهنة المخبر يحدّد نوع الجريدة المقروءة ؛ فحدث أن صادفت أستاذ اللغة العربية يقرأ جريدة مكتوبة بالفرنسية ***Le 'Quotidien''*** مستعينا بمعجم فرنسي عربي .

وكما يبين الجدول " **ب**" فإن هذه الحقائق لا تنطبق على الجنسين، فوجدنا أن النساء يفضلن الجرائد المكتوبة بالفرنسية بنسبة لا تتعدى 28.19 % ممّن يقرءون الجرائد المكتوبة بالعربية .

***ما هو نوع الجريدة التي تقرؤها عادة؟**

" أ "

الجرائد بالعربية	الجرائد بالفرنسية	عربية وفرنسية
64	75	49
%34.04	%39.89	%26.06

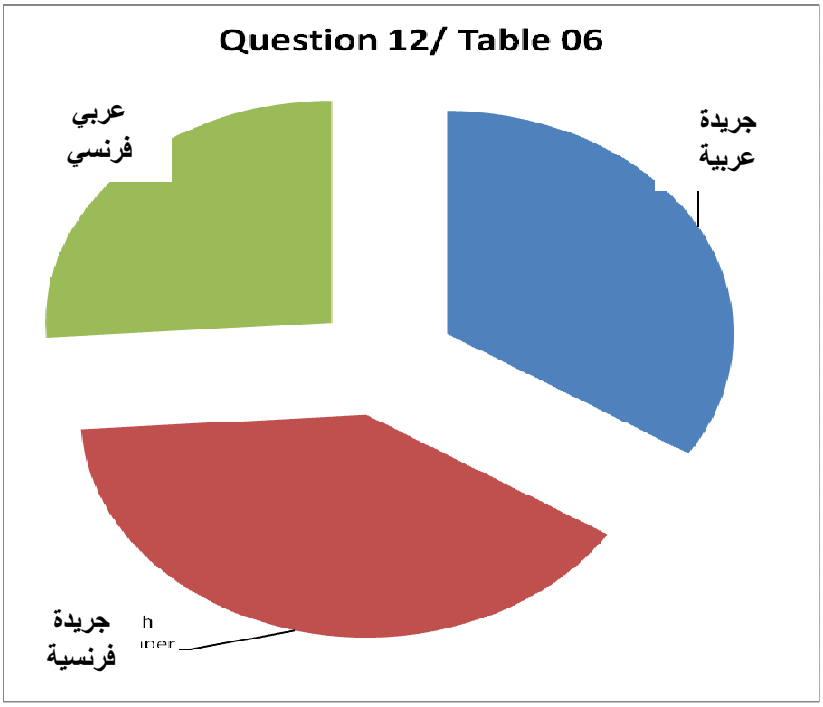

نوع الجرائد المقروءة من قبل الفئة المخبرة

" ب "

نساء	رجال
53	135
%28.19	%71.80

ثم دقّقنا السؤال قصد الوصول إلى حقيقة الوضع اللساني عند هذه النخبة فوجّهنا لهم السؤال الآتي: **هل تستعمل المعجم لقراءة جريدة مكتوبة بالفرنسية ؟**

فجاءت النتائج كالتالي :

نعم	لا	أحيانا
03	149	36
% 1.59	%79.25	% 19.14

***هل تستعمل القاموس عند قراءتك لجريدة مكتوبة بالعربية؟**

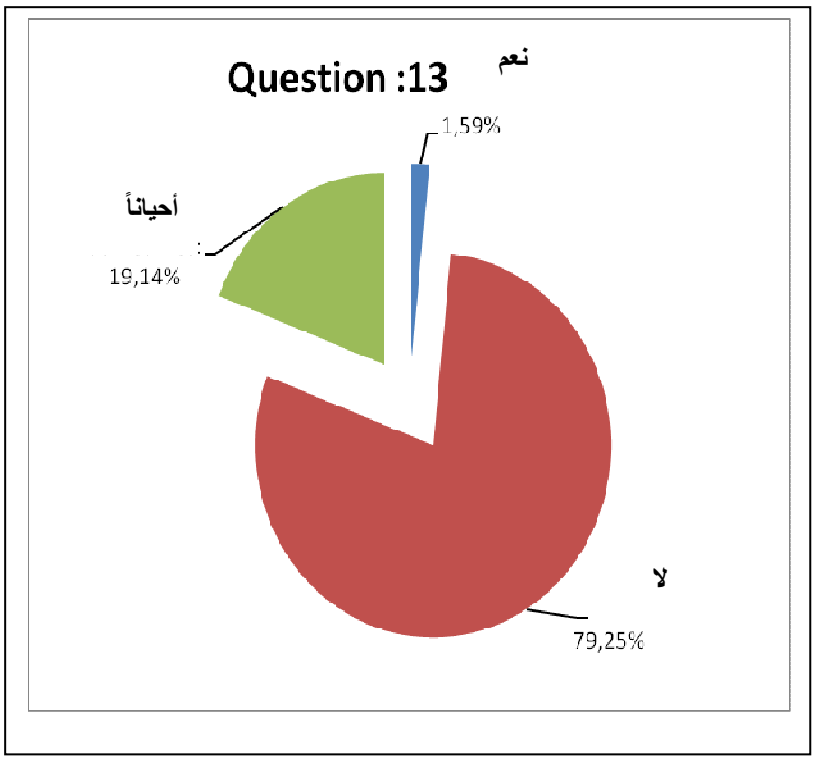

كما يتّضح من خلال النتائج المتحصل عليها وكما هو جلي من خلال الدائرة النسبية فإنّ الأغلبية العظمى 79.25 % لا تستعين بالمعجم لقراءة جريدة مكتوبة باللغة الفرنسية ربما لأن كلمة "**مثقف**" تعنى مزدوج اللغة في الجزائر؛ أي اللغة الفرنسية فضلا عن اللغة الأم العربية، إلاّ أن نسبة 19.14% تعني أن هناك من لا يتقن اللغة الفرنسية وذلك بحكم تكوينه الدراسي كالمحامين الجدد وأساتذة اللغة العربية وبعض الصحفيين الناطقين بالعربية.

لعل كلمة **مثقف** من أصعب الكلمات تعريفا كما ورد ذلك سابق، فالثقافة تشمل كل مناحي الحياة، من فكر، وسياسة، وأدب، ولغات، وعلوم، وتكنولوجيات؛ ففي الغرب مثلا يصنف الأمّي على أساس مدى إتقانه للغات الحية وخاصة الانجليزية وكذا وسائل الاتصال الحديثة كالكمبيوتر، ولطالما كان الكمبيوتر والانترنت نافدة ومصدر للعلوم الأجنبية والاختراعات الحديثة، ومن ثمة طرحنا السؤال الآتي على المخبرين : **كم من ساعة تستعمل الإنترنت في اليوم ؟**

فجاءت النتائج كما هو موضح في الجدول والرسم البياني:

0 ساعة	ساعة واحدة	ساعتان	3 ساعات	أكثر
29	20	50	30	59
%15.42	%10.63	%26.60	%15.95	%31.38

جدول يمثل استعمال الإنترنت لدى النخبة المثقفة.

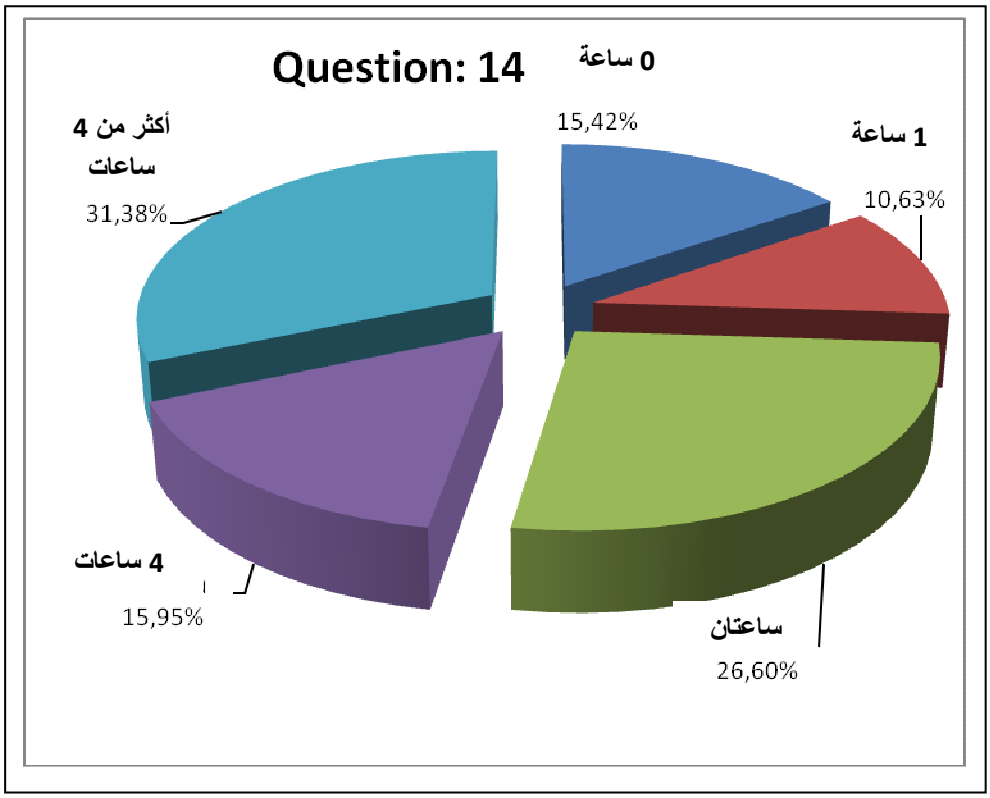

كما تجلّى من خلال النتائج المتحصل عليها وكما هو ظاهر من خلال الدائرة النسبية فإن نخبتنا منفتحة على العالم ومقبلة للحوار والتعامل مع الشعوب الأجنبية من خلال النسب المتحصل عليها فأكثر من 84 % يستعملون الانترنت عامة ؛ منها أكثر من 47 % يستعملون الانترنت لمدة تصل إلى أكثر من 3 ساعات. ولعل هذه الحقيقة تدل على أكثر من ذلك الاستعمال، وإنما هو إتقان اللغات الأجنبية بما في ذلك الانجليزية، فنجد معاهد تكوين في اللغات الأجنبية موصولة بمعاهد تكوين في الأعلام الآلي .

ليأتي دور السؤال الجوهري لاحقا والذي يتعلق بموقف هذه النخبة تجاه اللغة الفرنسية.

فطرحنا السؤال التالي : **كيف هو احتكاك باللغة الفرنسية ؟**

منعدم	نادراً	متوسط	معتبر
09	39	70	70
%05.26	%21.05	% 36.84	% 36.84

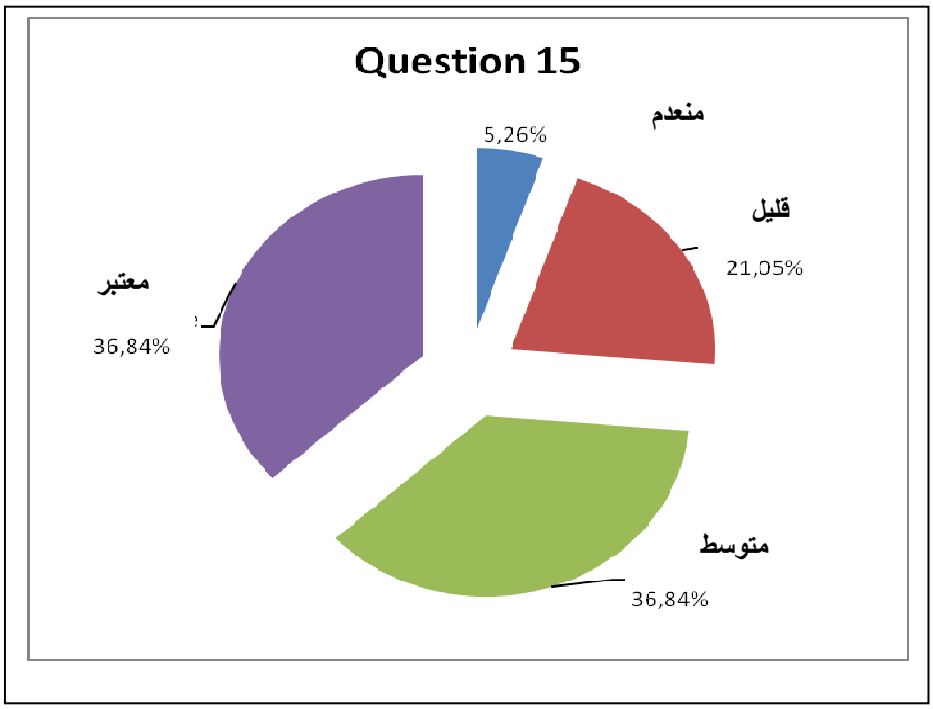

ربما سوف لن يخفق العام وأهل الاختصاص في ملاحظة كم هو الاحتكاك القائم بين النخبة المثقفة واللغة الفرنسية فتجد نسبة لا تتعدى 06% التي ليست لها احتكاك أو تعامل باللغة الفرنسية، فيما تبقى الأغلبية العظمى بـ 73.68 % إمّا بنسبة متوسطة أو معتبرة . فنجد مثلا 70 مخبرا من أصل 188 وهي نسبة لا بأس بها تعتبر أن احتكاكها باللغة الفرنسية معتبرا وليس هذا بالأمر المدهش؛ إذ في سنة 1974 قال أحد الدارسين للوضع اللغوي في الجزائر في جريدة المجاهد وهو امقار''.

''…The Algerians speak two minutes in French, thirty seconds in Arabic, then one minute in French and so on…''

بمعنى: "" ‘إن الجزائريين يتكلمون دقيقتين بالفرنسية ثلاثين ثانية بالعربية، ثم دقيقتين بالفرنسية ثلاثين ثانية بالعربية، ثم دقيقة بالفرنسية، ...الخ"".

وفي جل الأوقات يمزجون بين اللغتين ممّا ينتج نموذجا شاذا " ***bizarre"*** والتي يطلق عليه بالازدواجية اللغوية، أو التعددية اللغوية عند الجزائريين بحكم تداول أكثر من لغتين في الاستعمالات اليومية، كالعربية الفرنسية،الأمازيعية وبعض اللغات الأجنبية، حسب الاختصاص والتموقع، فنجد عنها عدد لابأس به من الظواهر السوسيولسانية والتي سبقت الإشارة إليها كالإبدال / المزج اللغوي الاقتراض، الديغلوسيا، فترى لهجة المثقف وكأنها لهجة لا يفهمها إلاّ قرينه مما يكتنفها من خصائص، فتراه يمزج العربية بالفرنسية وحتى بالانجليزية، ولعل شعار الجزائريين عامة في المحافل الرياضية، الفنية، السياسية، الوطنية وحتى العسكرية لخير دليل على ذلك فعبارة مثل **"وان، تو، ثري، فيفا لالجيري"** " ***one ,two,three viva l'Algérie "*** تعطي أكثر من دلالة لاحتوائها أكثر من لغة، لا تمد للغة العربية بأي صلة فلربما يتعجب أخونا العربي في المشرق من هذه العبارة باعتبار أننا عرب ولا ننطق أي كلمة عربية في هذا الشعار ***one ,two,three*** كلمات انجليزية "***viva***" كلمة إسبانية وأخيرا ***l'Algérie*** كلمة فرنسية وإن كان البعض يعلّل ذلك فقط بموسيقي العبارة أو سجعها؛ فترى النخبة المثقفة خاصة لا تكاد تنطق العربية في حديثها وكأنها اللغة الأجنبية بالنسبة لهم، والأمثلة الآتية المستظهرة من خلال المساءلة تبين ذلك .

Salut ! J'espère que vous allez bien !
J'aimerai bien, mais c'est pas possible.
Non, mais ça c'est ont droit.
Pas de soucis.
A votre service.
Je fais parti d'une association de protection des consommateurs.

وأحيانا أخرى يمزج العربية بالفرنسية في بعض العبارات كما يبينه الجدول الآتي:

Des fois, n (je) télécharger les documents m (du) cyber.
Les mémoires [jʒibɒhəm mʕæ] la fin mai.
Demain[rani fə tribunal]
Des fois [nətnærvæ]
[ʕændi]quatre amis intime.

ثم وسّعنا دائرة الاحتكاك لنطرح عليهم السؤال التالي: **كيف هو احتكاكك باللغات الأجنبية ؟**

فجاءت النتائج كالأتي :

منعدم	قليل	متوسط	معتبر
0	60	99	29
%0	%31.92	% 52.65	% 15.42

مستوى احتكاك النخبة باللغات الأجنبية

تبين النتائج المتوصل إليها من خلال المساءلة أن احتكاك النخبة المثقفة باللغات الأجنبية متوسط عامة، ممّا يفسر سيطرة اللغة الفرنسية عن هذه الفئة من المجتمع بالنظر للغات الأخرى.

(…) aussi la langue française conserve-t-elle- jusqu'à ce jour une place importante dans les trois pays. Bien plus, la connaissance du français ne s'est élargie à un nombre plus important de citoyens après l'Independence, par suite de l'extension de la scolarisation, qui comporte l'enseignement du français dès le niveau primaire. Grandguillaume 1983.

معنى ذلك :"أن الفرنسية تحتفظ بمكانة مهمّة في الدول الثلاث والمقصود بها تونس الجزائر، المغرب " أكثر من ذلك، معرفة الفرنسية توسعت لتشمل عدد لا باس به خاصة بعد الاستقلال، مع انتشار التمدرس والذي يتضمن تدريس الفرنسية منذ الابتدائي" .

هذا الاحتكاك باللغات الأجنبية وإن لم يكن معتبراً إلاّ أنه يفسر تفتح النخبة المثقفة وتنوع وتعدد منطوقها فلا تكاد تسمع عبارات عربية خالصة، ففي الكثير من الأحيان يقترض المتكلم المثقف كلمات من اللغة الأجنبية كـ:***holding ,primo ,pick-up ,swap ,oh...*** الخ، ممّا ينجرّ عن ذلك مزج وإبدال لغويين، وذلك حسب سياق الكلام ونوع المتكلم .

أمّا عن رأي هذه النخبة في سياسة التعريب المنتهجة من قبل المنظومة التربوية، فالبعض أجاب عن السؤال بحدّة وقال أن هذه السياسة جعلت من الجزائريين عامة يجهلون العربية، كما الفرنسية، فلا تراهم طلقاء لا في الفرنسية ولا حتى العربية التي هي لغتهم الأم، والنتائج الآتية تبين أن هذه النخبة تنادي بإعادة النظر في السياسة اللغوية :

	نعم	لا
العدد	109	79
النسبة	%57.97	%42.02

موقف النخبة تجاه سياسة التعريب

***هل أنت مع سياسة التعريب؟**

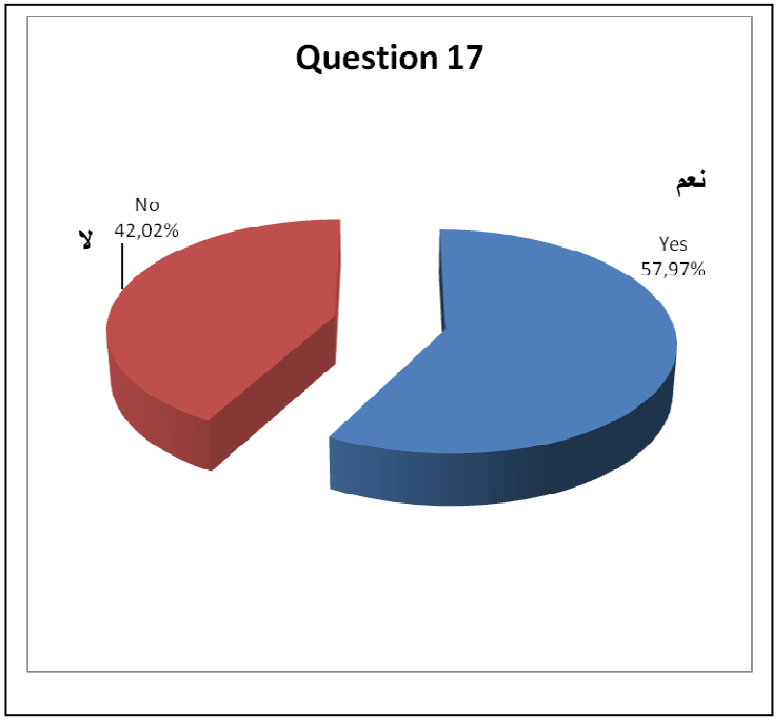

فنسبة 57.97% تعكس مدى دعم النخبة المثقفة لهذه السياسة وحبّها وتعلقها بأصولها ولغتها العربية فقال **ميسل** ***"Mesles"*** في هذا السياق :

"Along with (and in addition to) the school system, they are responsible for its spread not only among the educated but all Arabic speakers (…) Through listening to radio and television (especially broadcasts of prayers and sermons from mosques, speeches and discussions and the like), Arabic speakers (even the little educated and the entirely uneducated) acquire a partial passive knowledge of Literary Arabic, and that is one of the most characteristic features of the linguistic situation of contemporary Arabic"

ومعنى ذلك انه : " وفضلا عن السياسة المنتهجة في المدارس، فإن العربية انتشرت بشكل واسع ليس فقط لدى النخبة المثقفة، وإنما بين كل الشرائح الناطقة بالعربية وذلك لانتشارها وتوسع استعمالاتها في الأعلام، كالتلفاز والراديو، والخطب الدينية في المساجد، وتلك الميزة الأساسية للعربية المعاصرة ".

بعد ذلك تساءلنا عن الاستعمال النوعي للغة لدى النخبة المثقفة من خلال السؤال التالي : **ما هي اللغة التي تجد نفسك طليقا حين استعمالها ؟**

فجاءت النتائج كالآتي :

العربية	الفرنسية	كلتا اللغتين
59	40	89
%31.38	%21.27	%47.34

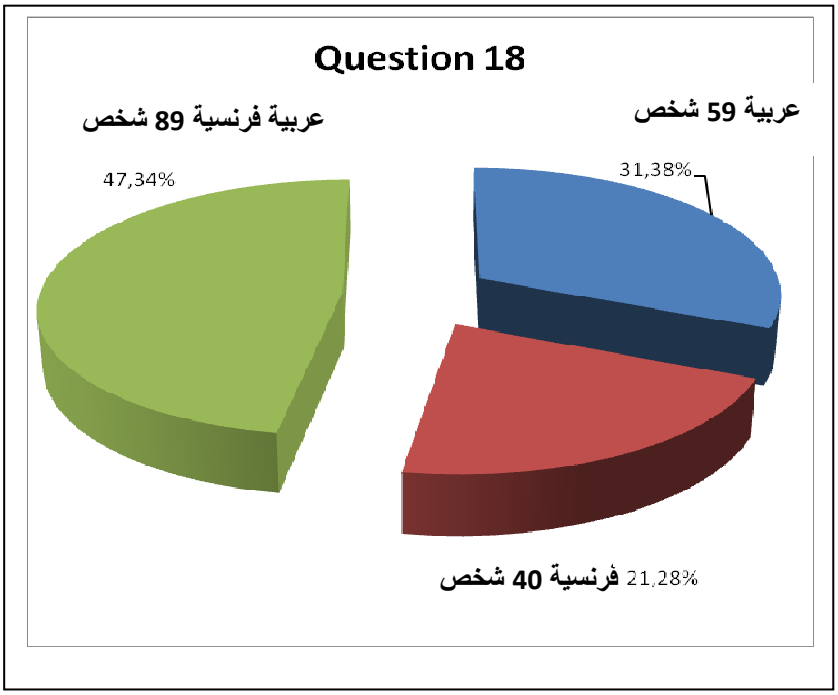

فمن خلال المساءلات التي أجريناها اتضح أن معظم المخبرين الذين يمثّلون هذه الفئة يتقنون اللغتين بنفس الدرجة؛ 47.43% منهم يتقنون اللغة لعربية كما الفرنسية مع أفضلية اللغة العربية على حساب اللغة الفرنسية كما يظهر من خلال الجدول وبنسب مختلفة تراوحت ما بين 38.31% و21.27 %على التوالي، الأمر الذي يعكس توسّع انتشار اللغة العربية داخل هذه النخبة وذلك راجع للسياسة المتبعة من قبل الحكومة.

وقصد الوقوف والتدقيق في خلفيات الحالة السوسيولسانية للمثقف ومردّها، ارتأينا طرح السؤال الآتي: **هل تستعمل التحويل في النظام الرمزي حين استعمال لهجتك؟ ولماذا ؟**

فجاءت النتائج كالتالي:

	نعم	نادراً
العدد	119	69
النسبة	%63.29	%36.70

الخلط في النظام الرمزي للنخبة المثقفة

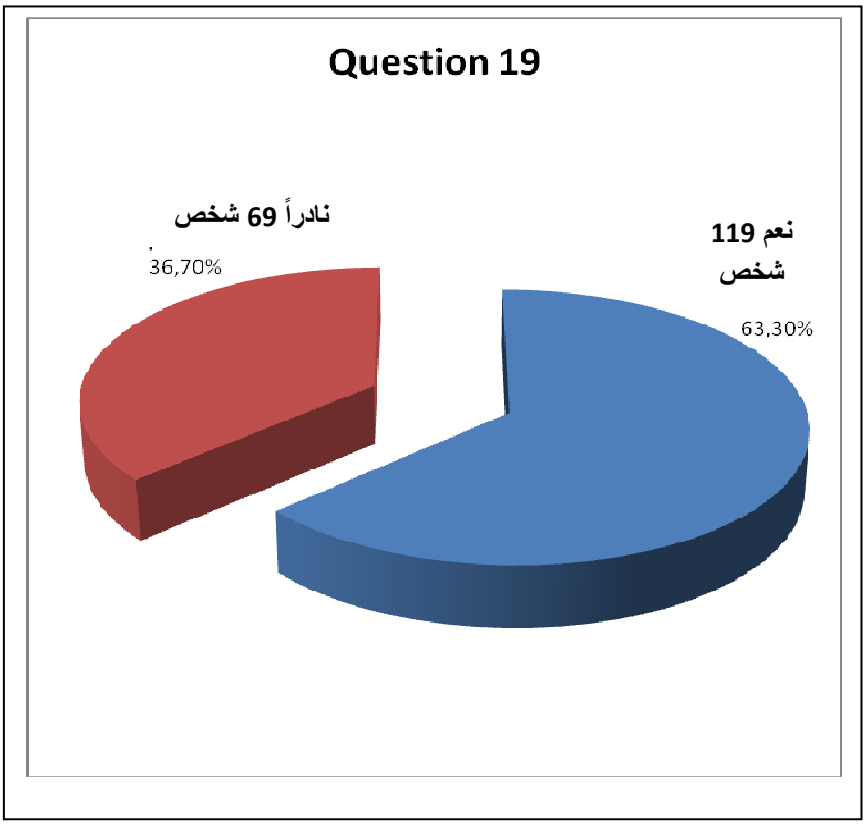

النسب المتوصل إليها من خلال الجدول تثبت أنّ الأغلبية تمزج وتخلط عددا من المفردات المتداولة في الاستعمال اليومي من اللغة الفرنسية؛ فنسبة 63.29% أجابت بـ "نعم"، بيد أن نسبة 36.70% أجابت بـ :" نادراً"، وذلك راجع أساسا إلى الفئة المثقفة المعرّبة؛ أمّا عن الأسباب فجاءت النتائج كالأتي:

السبب	العدد	النسبة
الاقتراض للتناسب	20	%10.67
الاقتراض للضرورة	98	%52.12
الامتياز	10	%05.31
المستوى الثقافي	20	%10.64
إخفاء انتمائك اللغوي	00	%00
عدم توفر المفردات بالعربية	40	%21.27

أسباب الخلط في النظام الرمزي للنخبة

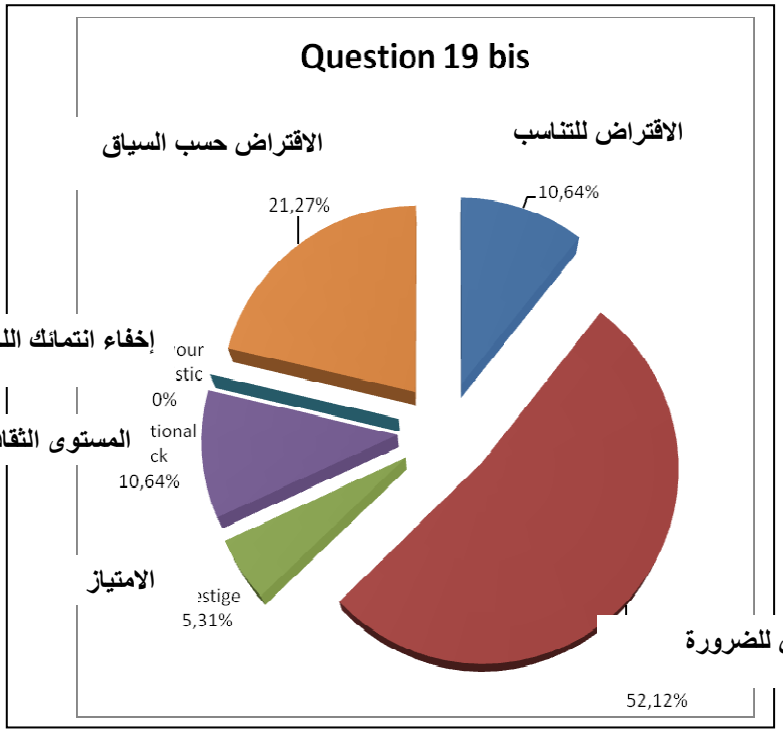

إنه من الواضح و الجلي من خلال النتائج المتوصل إليها أن أكثر من نصف العينة المستنطقة تخلط لهجتها أو بالأحرى استعمالها اللغوي للضرورة، فنجد أن ما يقارب 52.12% من المخبرين يمزجون كلامهم بكلمات أجنبية وذلك لضرورة الاقتراض، حيث أجابوا عن سبب ذلك بعدم توفّرهم على المفردات في اللغة العربية وهذه الظاهرة ليست بالغريبة عن كل المجتمعات، فعادة ما نرى أن هذه النخبة تجنح لمثل هذا السلوك اللغوي، لنجد بعد ذلك نسبة 21.27% ممثلة بحجة عدم توفر المفردات بالعربية ونخص بالذكر هنا المفردات العلمية والطبية بحكم المسار الدراسي لهذه الفئة، ثم نجد نسبة 10.64% ممثلة لكل من أولئك الذين يرون أن سبب المزج هو المستوى الثقافي للمتكلم أو الاقتراض للتناسب حسب سياق الكلام، الموضوع المعالج، أو شخص المتكلم، لنجد لاحقا 05.31% فقط من أولئك الذين يمزجون لهجتهم العربية ببعض المصطلحات الأجنبية، وذلك لإظهار الامتياز أو الاختلاف أو التفوق.

''For political considerations French is as foreign language ; sociolinguistically speaking, it must be seen as a second language, but also as a prestigious means of social interaction and advancement'' Dendane.p 311.

معنى أنه: " لاعتبارات سياسية، تعد اللغة الفرنسية كلغة أجنبية وبنظرة سوسيولسانية فيجب أن تنظر على أنها اللغة الثانية، أكثر من ذلك فهي لغة الامتياز للتداول الاجتماعي"

عموما تعرف الحالة السوسيولسانية للمجتمع الجزائري عامة والنخبة المثقفة على وجه الخصوص بظواهر لسانية من ثنائية لغوية ***Bilinguisme*** " وتعدد لغوي***''multilinguisme*** وازدواج لغوي ***diglossia*** وخلط لغوي ***code- Mixing*** وتغيير لغوي***code- switching*** واقتراض ***''borrowings*** '' فعادة ما نجد المثقف يسمّي كل مسمى بإسمه ويرجع ذلك إلى المستوى الثقافي وانعكاساته على الرصيد اللغوي لهذه الفئة، بالمقابل فإن العامة من الشعب لها طريقة خاصة في طريقة النطق تعكس حقيقة مستواهم الثقافي، ونخص بالذكر هنا المفردات الأجنبية، والتي

ليس لهم دراية بمعناها وبالتالي يتلفون مبناها إما بالإبدال أو صعوبة في النطق أو عجز أحيانا أخرى. إليك جدول يعرض عينة عن الاختلافات القائمة بين الفئتين :

الفئة المثقفة	عامة الشعب	الكلمة بالفرنسية
كابيتان (kaepiten)	قرايدي (graiadi)	Capitaine
لرونتري	الدخلا	La rentrée
أونبرانسيب	بالحق	En principe
يكومياري	يشوف	Comparer
ميديكامن	دوا	Médicament
لروتريت	لنتريت	La retraite
تيكي	لبون	Tiquet

فالمثقف مثلا ينطق فيبروسكوبي ***(fibroscopie)*** بيد أن العامّي من الشعب يجنح إلى ما بحوزته من رصيد لغوي حسب مستواه الثقافي وحسب ما استوعبه حين الحديث مع الجماعة، أو من قبل الطبيب، وقد نجد أحيانا أن العامة من الشعب تنطق كلمات دقيقة مثل ***avocat*** ،غير أن النخبة المثقفة في تلمسان تستعمل الشكلين "**بوقادو**" و"**أفوكا**"وذلك لأن الأول يعكس المستوى السوسيوثقافي للمتكلم، وبعبارة أخرى فالتلمسانيون يجنحون إلى استعمال الأشكال القديمة من التراث فكلمة **بوقادو** كلمة اسبانية تعني المحامي، أمّا كلمة **أفوكا** فلا يفضلون استعمالها لما لها من دلالة بالمستوى المتدني لمستعمليها من جهة، ولما تتميز به النخبة المثقفة في تلمسان من دقة في النطق، أكانت المفردات عربية أم أجنبية – من جهة أخرى، كما يتجلى من خلال الأمثلة الواردة في الجدول السابق؛ فإن العامة من الشعب ينطقون

الكلمات حسب قدرات وتدريب أعضاء النطق وذلك لنطق بعض الأصوات كصوت "أ" الذي ينطق "باء" وكذا الخلط والإبدال في نطق بعض الكلمات الجديدة في الاستعمال اليومي مثل كلمة "شخصية " والتي تنطق" ***سخشية*** " ويرجع ذلك أساسا لنقص الكفاءة اللغوية، والبيان التالي يظهر جليا هذه الآلية .

مستوى المخبرين / المتغيرات	النخبة المثقفة	عامة الشعب
أ–[kɒreksiɒn]	%74.28	%25.71
ب– [desu]	%88.87	%11.12
ت – [enseŋan]	%67.32	%32.67
ث –[intervenșiən]	%81.02	%18.97
ج– [legæl]	%79.46	%20.53
ح– [feə’plei]	%91.08	%08.91
خ– [steril]	%94.27	%05.72
د– [kɒmpaŋ]	%76.75	%23.24

جدول يمثل منطوق بعض المفردات الفرنسية حسب المستوى الثقافي

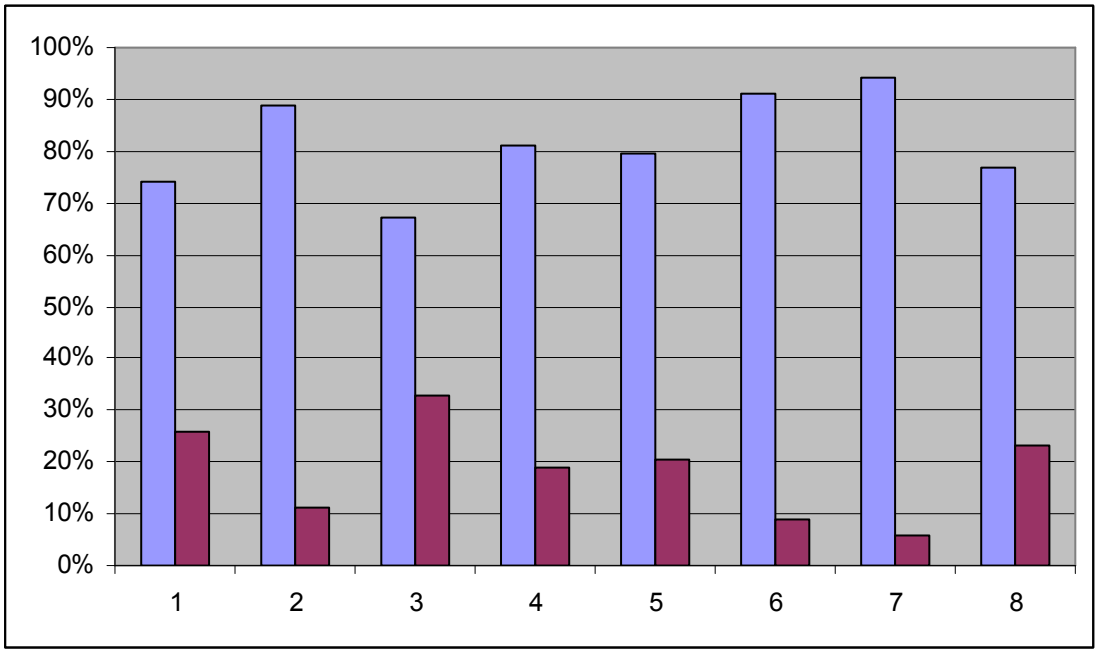

أعمدة بيانية لمنطوق عينات من الفرنسية عند النخبة المثقفة وعامة الشعب

تعكس الأعمدة البيانية الفرق الحاصل بين منطوق النخبة المثقفة وعامة الشعب في تلمسان وفي مستويات مختلفة وجاءت أهم تلك الاختلافات إما معجمية أو صوتية، فأما الاختلاف المعجمي فيظهر في الرصيد اللغوي أو اللهجي للنخبة المثقفة والتي تتميز بالدقة والكثرة، غير أن رصيد العامة من الشعب محدود بمستواهم الثقافي .

قد يلاحظ القارئ لهذا البحث أن جلّ المقارنات ركزت على اللغة الفرنسية، وقد يسأل السؤال الأتي: هل تلك اللغة الأجنبية هي الثقافة السائدة بين أهالي تلمسان ؟ ربما تعليل بسيط لذلك التحليل يكون جوابا شافيا لذلك السؤال بإعتبار أننا حين مساءلة تلك الفئة كنا نحاول أن تكون الأسئلة والأجوبة تلقائية حتى يتسنى لنا أن نخرج بنتائج علمية وعملية واقعية، هذا فيما يخص التعليل المنهجي ؛ أما عن التعليل الكيفي فيرجع ذلك لأثر الظواهر السوسيولسانية على تنوع وربما تعقيد – من جهة نظر عامة الشعب – منطوق النخبة المثقفة، فلقد أجابت العينة

المستقصاة أن الفرنسية هي لغة العلم والحضارة والتقدم بنسبة تفوق 57.44% فيما أقرّ 31.97% فقط أن اللغة العربية هي صاحبة هذه المكانة. ولهذا التعدد وربما التعقيد اللغوي والثنائية اللغوية والديغلوسيا والاقتراض أثر عن ذلك التنوع فنسمع مثلا رجلا مثقف ينعت طفلا أبيض البشرة والشعر بإسمه العلمي الطبي، الدقيق فيقول ***un albinos***، وهي كلمة يونانية باعتبار أن اليونان كانت الرائدة في الطب والعلوم، وتعنى الشخص الأبيض البشرة الشبيهة بجبال **الآلب** المكسوة بالثلج، هذا من ناحية الاقتراض .أمّا عن المزج اللغوي فالحوار التالي يظهر مدى تأثر النخبة باللغة الفرنسية على وجه الخصوص.

a- D'ailleurs c'est très claire que hada….

–jeh,bessah ça ne va pas dire beli xeser

–أana rani n ?ulek aala les sérieux qui engage avec nous melbedija

–بJeh besah m ?andnach local di fayen

–اried hawada maji Chakib jaarfu

–جbonjour,ça va ! ?asem ?

–ا?ulu fajen mazi local di utli

–ج?adam la fak ntsa la medecine

?adam la maison renault

–جnon, tehta kamel, edam les pompiers

–اmais, ried xasna cahier de charge

–جça y, wsit xaj jdzibholi mwahran

–اtrès bien, hakda tout va bien

خلاصة هذا الفصل التطبيقي لمنطوق النخبة المثقفة في تلمسان هو أنّ المنظّرون في علم المناهج عادة ما ينصحوننا بالبدء بالسؤال والختام بأجوبة شافية لذلك.

في الحقيقة وقبل أن نخلص، هل توسع التكنولوجيا الهوة بين النخبة وعامة الشعب ؟

وفي الختام، وكما تجلى من خلال النتائج المتوصل إليها من خلال التساؤلات وكما هو ظاهر في مختلف المنحنيات، فإن اللهجة المتداولة بين أوساط النخبة المثقفة لا تكاد تمد بأي صلة إلى العربية من جهة، وإلى تلك اللغة المستعملة بين عامة الشعب من جهة أخرى، فإن اختيار المفردات عادة ما لاحظنا أنه يعكس المستوى الثقافي للمتكلم.

"Human beings do not live in the objective world alone, nor alone in the world of social activity as ordinarily understood , but are very much at the mercy of the particular language which has become the medium of expression for their society"(Edward Sapir 1929)

بمعنى: ""لا يعيش الناس في مجتمع مجرد معزولين عن العالم الاجتماعي و لكنهم تحت رحمة اللغة التي أصبحت أداة التواصل داخل مجتمعهم"".

هذا ما يجرنا إلى التساؤل: فيما إذا كانت النخبة المثقفة تفكر بطريقة مختلفة بإعتبار أن هناك أسس تربط طريقة التفكير وأسلوب التعبير للنخبة المثقفة. فقبل أن نخوض للإجابة على مثل هذه العلاقة التي لطالما تحدث عنها سابير وتلميذه وورف بعده ' و'بازيل باينشتاين'' 1971.***Basil Bernestein*** الذي أقرّ بوجود شكلين لغويين مختلفيين داخل الجماعة الكلامية الواحدة، مما يعكس المستوى التعليمي الثقافي للمتكلم ، وأقام يمثل هذه الدراسة في انجلترا كما سبقت الإشارة لذلك وخلص بنتيجة مفادها أنّ هناك ما يسمّى بـ "الرمز الكلامي المحدود " و"الرمز الكلامي المطوّر" "***Restricted Speech Code***"و"***Elaborated Speech Code***».

لكن سبقه **سابير وورف** 1929–1949 للتساؤل عما إذا كان السرّ أنهم يطوّرون الأشياء بطرق مختلفة أم أنهم فقط يتكلمون عن الأشياء بأشكال مختلفة.

إنه لمن الخطأ أن نسلم بوجود مستويين إثنين هما مستوى خاص بلغة أو لهجة النخبة المثقفة، ومستوى آخر للعامة من الشعب؛ بل هناك مستويات أخرى:"...ليس من الصحيح أن

نقول بوجود مستويين إثنين هما الفصحى والعامية، فبين هذه وتلك عدة مستويات لغوية ولننظر في حديث المثقفين العرب حين تتخذ عناصر كثيرة من الفصحى مكانها إلى جانب عناصر أخرى من اللهجات المحلية، لكن النخبة المثقفة في تلمسان لها وجه آخر ألا وهو الانغماس التام في اللغة الفرنسية واللغات الأجنبية عامة ويعزى ذلك لآثار التطور التكنولوجي والإعلامي والانفتاح الحاصل جرّاء ذلك ممذا قد يوسع الهوة بين النخبة المثقفة وعامة الشعب .

لعل أهم ما استخلصناه من خلال هذا البحث هو ضرورة الربط بين ميدان علم اللهجات وعلم اللغة الاجتماعي والذي يعد بحق ميدان خصبا لمثل هذه الدراسات ، فالربط بين نمط الاستعمال اللغوي ، أو اللهجي والمقوّمات الاجتماعية ضروري بإعتبار أن الفرد يفعل ويتفاعل مع المجتمع الذي يعيش بداخله ، فالعلاقة بين اللهجة والعوامل السوسيوثقافية أمر لابد من التقصي فيه ، ذلك لأن طريقة الكلام عند الأشخاص داخل جماعة كلامية ما، عادة ما تتأثر بهذه العوامل وخاصة بالمستوى الأكاديمي أو العلمي للمتكلم ، وهذا ما أصبح يطلق عليه في علم اللغة الحديث ببطاقة الهوية ، وهذا لأن نمط الكلام المستعمل يعطي مرجعية كافية عن هوية الشخص ، فأنت تستطيع أن تميز بين شخص من أولئك المتمدرسين في السبعينيات وآخر لم يدخل المدرسة إلاّ في الثمانينات ، بإعتبار أن السياسة التربوية لهذين العقدين مختلفة ، على الأقل من الناحية اللغوية ، فالنخبة المثقفة في تلمسان لها نمط خاص بها يميزها عن عامة الشعب ، وهذا ما يعرف باللغة الفرنسية بـ: ***étiquette*** وقد أفضى البحث إلى نتائج نلمح من خلالها نقائص لابد من استقصائها ودراستها دراسة علمية،عملية دقيقة ، نلخص جملة ما توصلنا إليه فيما يلي :

1- اللغات عبر العالم تتأثر بالمناخ الطبيعي والظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بها ومن ثم فإنها منقسمة أكثر ممّا هي موحدة؛ فاللغات قد تنشر في مساحات واسعة من الأرض ، وقد تبقى في حيز ضيق من الوجود ، فمع أهلها تدخل بقاع جديدة ، وتتصارع مع لغات جديدة ، وذلك نتيجة الثورة الثقافية والمعلوماتية من جهة ، والغزو والاستعمار التقليدي من جهة أخرى .

2- العديد من المثقفين في تلمسان يخلطون في لهجتهم بين الفرنسية والانجليزية حسب اختصاصاتهم ، وهذا ما يعرف بظاهرة الخلط اللغوي ***(code mixing)*** والذي عادة ما يكون مرتبطا بسياق الكلام .

3- النمط اللهجي المتداول بين النخبة المثقفة في تلمسان متباين حسب جنس المتكلم فالرجال من هذه النخبة بمليون إلى الخلط اللهجي وعن تلك الخصائص التلمسانية المعروفة

عند حديثهم مع أشخاص خارج المدينة وهذا ما يعرف بالإزداوج اللهجي ***(bio-dialectal)***،أما النساء فتراهم محافظين عن تلك الخصائص مهما كانت صفة المتلقي .

4- النساء من النخبة المثقفة يفضلون استعمال الفرنسية عن اللهجة العربية بحكم جنسهم، ونظرتهم إلى اللغة الفرنسية ، كلغة حضارة ورقي ، وتقدم ولعل ما يثبت ذلك هو الشكاوى من مجموع النساء من عامة الشعب حين زيارة طبية ، فلا ترى هذه الأخيرة تنطق كلمات عربية إلا نادراً .

5- تنقل النخبة المثقفة من الرجال ساعد على انصهار تلك المميزات النطقية بفعل الاحتكاك بانفراد يجدون صعوبة في فهم بعض مفرداتها .

6- النخبة المثقفة في تلمسان متأثرة بشكل ملفت للانتباه بحكم تخصصها، فترى الطبيب يحسّ بنوع من الراحة وهو يتحدث بالفرنسية، عكس العربية التي نلحظ أنه يبذل جهدا فكريا من أجل البحث عن المفردة المناسبة.

7- النخبة المثقفة والتي زاولت دراستها قبل أو بعد الاستقلال وحتى منتصف السبعينات من القرن الماضي تجد صعوبة في فهم العربية وخاصة العربية الفصحى ، وهذا ما نلمحه من خلال نوع الجرائد المقروءة من قبل هذه الفئة – عكس النخبة التي زاولت دراستها بعد سياسة التعريب المنتهجة من قبل الدولة .

8- إن إحتكاك الفئة المثقفة باللغة الفرنسية جليّ، فمعظم العينات المدروسة تتميز بازدواجية لغوية فلا نكاد نسمع جملة عربية خالصة من أفواه هذه النخبة فتراه يمزج كلامه بكلمات لا تفهمها إلا هذه الفئة من الجماعة الكلامية.

9- استشعرنا نوعا من الارتياح والدعم لسياسة التعريب المنتهجة من قبل المنظومة التربوية خاصة بين أوساط النخبة المثقفة من الجيل الأخير.

10- استعمال النخبة المثقفة لوسائل التكنولوجيا للاتصال ساعد على توسع دائرة الاحتكاك باللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية ، وذلك بحكم المشاركة في مختلف المنتديات الثقافية والاجتماعية عبر الانترنت .

11- الخلط اللهجي للنخبة المثقفة في تلمسان يرجع بالأساس إلى ظاهرة الاقتراض ***"borrowing"*** والتي تعزى هي الأخرى إلى ضرورة الاقتراض وعدم وجود الكلمات المرادفة في اللغة الأم، أو على الأقل عدم إدراكها من قبل هذه الفئة –إن وجدت.

12- تعدّ اللغة الفرنسية في الجزائر عامة وبين النخبة المثقفة خاصة كلغة أجنبية وهذا لاعتبارات سياسية، ولكن بحكم الاستعمال اليومي، ينظر إليها كلغة ثانية موازية للغة العربية، وربما أكثر من ذلك فهي لغة الامتياز.

13- إن رياح التغيير والعولمة التي تهب على الجزائر بقوة ، فلم يعد الاقتصاد وحده معنيا بالتغيير والإصلاحات، وآفاق الجزائريين في السنوات الأخيرة على حملة مغازلة من منظمات تدريبية وتكوينية لنخبة المجتمع الجزائري من طلبة ، ومهندسين ، وأطباء وأساتذة وغيرهم. وفي المقابل انتشرت مدارس خاصة مثل " **الطفيليات** " يديرها غالبا جزائريون بهدف تقديم دروس خصوصية في اللغة الانجليزية .

14- الصراع القائم في الجزائر ومنذ الاستقلال عام 1962 ظل قائما بين " المعربين " من أنصار تعميم اللغة العربية و المفرنسين من أنصار فرنسة العلوم في المدرسة والجامعة والإدارة العمومية ، إلاّ أنه يبدو أن الانجلوساكسونين أفاقوا أخيرا من غيبوبتهم وقرروا بدورهم أن يدخلوا المعركة أمام تنامي تيار يطالب السلطات بضرورة التمكن للغة الانجليزية في الأطوار الابتدائية قبل اللغة الفرنسية ، ذلك على اعتبار أن الانجليزية هي اللغة الأولى للعلم والتطور التكنولوجي.

وأنوه في الأخير إلى أن البحث في علم اللهجات لا يزال يعاني التهميش ويحتاج إلى بحوث معمّقة وشاملة ، لفضح أسرار الواقع اللغوي في البلاد العربية بحكم أن جلها يعتمد لغة ثانية تزاحم سلطة العربية حسب جنس الدولة الغازية ، إما فرنسا أو بريطانيا ، وما يؤكد هذا التهميش هو شح المراجع باللغة العربية وكأن علم اللغة الحديث بغنى عن مثل هذه البحوث .

وفي الأخير، هل يا ترى يجب أن نعتبر أن منطوق النخبة المثقفة هو إضافة إيجابية ويجب تقبلها والتسامح معها ، أم أنه صراع خفي لابد من التسلح لربح المعركة؟ ، فكم من لغة ماتت في عقر دارها؟ ولك عزيزي القارئ أن تحكم على ما قيل عن الوضعية في الجزائر من قبل **تنقور** ***" Tengour "***

"Il faut aussi que les communautés dites majoritaires comprennent enfin que les langues sont un bien commun et que la diversité doit être non seulement tolérée, mais aussi encouragés sans arrière-pensée d'assimilation et d'accumulation .

بمعنى: ""يجب على الجماعات– المسمّاة بالأغلبية– أن تفهم كذلك بأنّ اللغات شيء مشترك و أنّ التنوع لا يجب أن نتسامح معه و حسب؛ و إنما تشجيعه دون خلفية الاستعاب أو التثاقف"" !

وفي الختام ، نسأل الله التوفيق، وأن يجعل هذا البحث دافعا للبحث في مثل هذه المسائل اللّغوية وعلاقتها بالمحيط السوسيوثقافي للمتكلم .

القرآن الكريم، برواية حفص.

2- ازدواجية اللغة: طبيعاتها ومشكلاتها، د. محمد راجي الزغلول.

3- الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة، د.بوزيد ساسي هادف.

4- أضواء على الدراسات المعاصرة، د.نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت 1978.

5- باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الخاج رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

6- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د.عبد الرحمن الحاج صالح، ج1، الجزائر 2007.

7- البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، الشريف المليني التلمساني، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط: 1980.

8- بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، ط: 1980.

9- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، الجزء السادس.

10- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، الجزء4، 1982.

11- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي.

12- تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر. دار الكتاب اللبناني. القسم الأول، المجلدالسابع. ط 1981.

13- تلمسان عبر العصور، محمد بن عمرو الطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1985.

14- تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، إبراهيم السامرائي،1973 .

15- الثقافة، الغزو الثقافي، فوزي الجودة، دورية المناضل.

16- الثقافة الإسلامية، د.عبد الكريم عثمان.

17- الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1974.

18- الحوار المتمدن، هشام آدم، مجلة علم النفس وعلم الإجتماع، 2009.

19- الحياة مع لغتين، محمد علي الخوالي، الرياض، الطبعة الأولى، 1987.

20- الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، 1952.

21- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام السعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة، بيروت.

22- دراسات في علم اللغة، د.فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، 1986.

23- الدراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، 1978.

24- دراسات لغوية، د.محمد علي الخوالي، دار العلوم، 1982.

25- دراسات اللهجات العربية القديمة، داوود سالوم، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.

26- الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، 1997.

27- دور الكلمة في اللغة، أ ولمان.

28- رسالة المثقف في عصر النهضة، مجلة البصائر.

29- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، الجزء الخامس.

30- العربية، تاريخ وتطور، إبراهيم السامرائي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، 1993.

31- العربية وعلم اللغة، د.محمد محمد داوود، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001.

32- علم اللغة الاجتماعي، د.كمال بشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2007.

33- علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه، د.صبري إبراهيم السيد، 1995.

34- علم اللغة العام، توفيق شاهين.

35- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي.

36- عوامل تنمية اللغة العربية، توفيق محمود شاهين، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980.

37- الفصحى لغة القرآن، اقتبسه أنور الجندي.

38- فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1987.

39- فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى.

40- فقه اللغة العربية وخصائصها، د. إيميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، بيروت، 1985.

41- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي.

42- فقه اللغو علم اللغة، نصوص ودراسات، د. محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994.

43- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلومصرية، الطبعة التاسعة، 1995.

44- القدس العربي، فادي شاهين.

45- قراءات في علم اللغة، د. أحمد شفيق الخطيب، دار النشر للجامعات، 2006.

46- لسان العرب، ابن منظور، القاهرة، الجزء الثاني.

47- اللسان والإنسان، د. حسين طاطا، دار المعارف، 1971.

48- اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

49- اللغة، فادريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، البيان العربي، القاهرة، 1950.

50- اللغة والتواصل، د. عبد الجليل مرتاض، دار هما للطباعة، الجزائر.

51- اللغة والحياة والطبيعة البشرية، روي هجمان، ترجمة داوود حلمي وأحمد السيد، الكويت، 1989.

52- اللغة والحضارة، د. مصطفى منظور، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

53- اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر للطبع، د.ت.

54- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف، 1996.

55- اللهجات العربية، نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال.

56- اللهجات وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة، دار الجليل، بيروت، 1989.

57- محاضرات في الألسنة العامة، فرديناند دوسوسير، ترجمة يوسف غادي ومجيد أنطوان، لبنان.

58- مخطوط الظواهر الصوتية والمعجمية في منطوق صبره، بن حكيم نورالدين.

59- مدخل إلى اللغة، د. محمد حسين عبد العزيز، دار الفكر العربي، 1988.

60- المدخل إلى اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الثالثة، 1997.

61- مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء الحديثة للطباعة، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2007.

62- المدن المغربية، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

63- المزهر، السيوطي.

64- مستقبا الثقافة في مصر، طه حسين، د. ت.

65- معالم على طرق تحديث الفكر العربي، د. معن زيادة.

66- مفهوم الثقافة، د. سعيد إبراهيم عبد الواحد، منتدى الكتاب العربي، 2010.

67- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، 1960.

68- مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. حلمي الخليل.

69- مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، 1966.

70- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى 1974.

71- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

72- الموسوعة الفلسفية، إشراف لجنة من العلماء والاتحاد السوفياتي، ترجمة كرم سمير، دار الطبعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1987.

73- نحو وحي لغوي، د. مازن المبارك، مكتبة الفارابي، دمشق، 1970.

74- نظرية حول سياسة التعريب والتعليم، د. عبد الله شريط.

75- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بم محمد المقري التلمساني، الجزء السابع، بيروت، 1968.

76- نيبال والصعود إلى قمة إفرست، محمد المحزمجي، مجلة العربي، 1999.

77- يحيى بن إسحاق بن محمد المسوفي، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1963.

القواميس:

1- القاموس المحيط.

2-المعجم الوسيط.

1- Abou-Seida.A.Diglossia in Egyptian Arabic. 1971
2- Abou- S. Le Bilinguisme Arabe Français.Liban
3- Altoma. The problem of Diglossia in Arabic. AComparative Study of Classical and Iraqi Language.Harvard. 1969
4- Aurwell.G. The Language and Categorisation of Class. Penguin Press. 1963
5- Berger &Luckman. Middle Sex. Penguin.1971.
6- Bergvall.V. The Sociology of Language and Culture. New York.2004
7- Bezirgan. N. Language and Reality in the Arab World.1973
8- Booth.C. Life and Labour of People in London. Penguin Press. 1903
9- Cantineau. J. Cours de Linguistique Génerale.
10- Carey. S. The Neurolinguistic Theory and Psychological Reality. M.I.T. Press. 1999
11- Chaika. E. Language, the Social Mirror .USA. 1982
12- Coates. J. Women, Men and Language. Longman Press. Second edition. 1993
13- Deborah. C. Gender Difference in Verbal Communicative Behaviour. 2010
14- Donna. Jo.N. Language Matters. Schenfeld.
15- Downes.W. Language and Society. Cambridge. 1998
16- Dubois. J. Dictionnaire de Linguistique
17- Duranti. A. Linguistic Anthropology. Cambridge University Press. Cambridge. 1997
18- Ferguson. C.A. Dialect Reality and Language. 1978
19- Firth .J. R. An Introduction to Sociolinguistics. Oxford. 1992
20- Goglioli. P. Language and Social Context. Penguin Books. England. 1972.
21- Grandguillaume.G. l'Arabisation et la Question des Langues en Algérie .1983
22- Gumperz . I. Language in Social Groups. Stanford University Press.1971
23- Halliday. M.A.K. Language as a Social Semiotic. The Social Interpretation of Meaning. Arnold Publishers. London. 1978

24- Haugen. E. Dialect, Language, Nation. 1966
25- Hudson. R.A. Language and Sexism. Sociolinguistics, Cambridge Press. 1996
26- Hudson.R.A. Sociolinguistics. Cambridge University Press. Cambridge. 1997
27- Hyde. J. The Gender Similarities Hypothesis. USA. 2005
28- Hymes.D. Sociolinguistics. On Communicative Competence. Pride/ holmes Edition. 1971
29- Janet. B. Rethinking Language and Culture. London. 1996
30- Kaddache. M. l'Algérie dans l'Antiquité. 1972
31- Kelly.J.Hall. Language and Culture. Great Britain. 2002
32- Kerswill.P. Dialect Converging, Rural Speech in Urban Norway. Oxford. 1994
33- Kramsch .C. Language and Culture. Oxford University Press. 2009
34- Laffin. J. The Arab Mind: A Need for Understanding. 1977
35- Lyons.J. Language and Linguistuics. Cambridge University Press. Cambridge. 1987
36- Malinowski. B. Language face-to-face Communication. Penguin. 1973
37- Marçais. P. Esquisse Grammaticale de l'Arabe Magrébine. Librairie d'Amérique et Orient. Paris. 1977
38- Marçais. W. Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen. Ernest Leroux. 1902
39- Marwick. A. Class, Image and Reality. London. 1980
40- Penalosa. F. Introduction to the Sociology of Language. California State University . 1981
41- Prid. J.B. The Social Meaning of Language. Oxford University Press. London. 1971
42- Ritchie. K. Male, Female Language. The Scarecrown Press. 1975
43- Robins.R.H. General Linguistics, An Introductory Survey.1964
44- Sapir. E. An Introduction to the Study of Speech
45- Scherer. K.R. Social Markers in Speech. 1979
46- Sotiropulous. Diglossia and the National Language. 1977
47- Spencer. A. An Introduction to Neurolinguistics. Cambridge University Press. Cambridge. 2000

48- Spolsky. B. Sociolinguistics. Oxford University Press. New York. 2010
49- Stetkevych. J. The Modern Arabic Literary Language. 1970
50- Taleb Ibrahimi. K. Les Algérien et Leur(s) Langue(s). Les édition al Hikma. 1995
51- Taylor. E. Language, Culture and Communication. 1972
52- Trudguill. P. Sex, Covert Prestige and Linguistic Change in the Urban British English. 1979
53- Wardaugh. R. An Introduction to Sociolinguistics. Oxford. 1992
54- Youssi. A. The Moroccan Triglossia. Facts and Implications. 1995

مقدمة: ..... أ
المدخل: دراسة جغرافية لمنطقة تلمسان 1
الدراسة التاريخية لمنطقة تلمسان 7
قائمة الرموز الصوتية 15
الفصل الأول:التعريف بالمصطلحات اللسانية الرئيسة 18
المبحث الأول: علوم اللغة الاجتماعية 20
المبحث الثاني: بين اللغة واللهجة 26
مصطلح اللغة 27
اشتقاقها 29
حدها ومعناها 30
مصطلح اللهجة 35
تعريف اللهجة واشتقاقها 35
معناها في الاصطلاح 36
صفات اللهجة 38
المبحث الثالث: بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما 43
اللغة الفصحى واللهجة العامية 47
المبحث الرابع: مصطلح المنطوق 48
معنى المنطوق 49
الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة 53
أنواع اضطرابات النطق 59
عيوب النطق 59
أنواع عيوب النطق 63

المبحث الخامس: الإطار السوسيولساني لمنطقة "تلمسان" 64
النموذج التلمساني 65
المشكل المعجمي لمنطقة "تلمسان" 69
من علم اللهجات البدوي إلى علم اللهجات الحضري 70
الفصل الثاني 78
المبحث الأول: اللغة والثقافة 79
الثقافة من حيث هي مادة أساسية ووسيط للاتصال 81
مصطلح الثقافة والمثقف 82
مفهوم الثقافة بين اللغة والاصطلاح 84
تعريف الثقافة 86
ما المقصود بالنخبة المثقفة ؟ 89
المبحث الثاني: الحالة اللسانية في الجزائر 91
العلاقة بين العربية الفصحى الحديثة والعربية الجزائرية 92
المنطوق اللهجي الجزائري واللغة الفرنسية 95
الاستعمال اللغوي والرصيد الكلامي 96
من الأمازيغية إلى الفرنسية مرورا بالعربية 98
الحالة اللسانية الآنية 100
التعريب 101
ما هي اللغة التي يتكلمها الجزائريون؟ 109
ماهي اللغة التي يتكلمها الجزائريون في القرن 21 م ؟ 116
المبحث الثالث: الظواهر السوسيو لسانية عند النخبة المثقفة 119
الازدواجية اللغوية 121

الازدواجية في اللغة العربية..... 121
الازدواجية اللغوية كظاهرة سوسيو لسانية..... 122
الديغلوسيا كشكل من أشكال التنوع السوسيولساني..... 137
التعدد اللغوي..... 146
الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة..... 152
الازدواجية اللغوية والثقافية..... 159
الازدواجية الثقافية والتثاقف..... 160
الخلط اللغوي : المبني اللغوي والمعني السوسيوثقافي..... 163.
ما معنى التحويل في النظام الرمزي؟..... 164
المزج اللغوي..... 165
نماذج الإبدال اللغوي..... 167
القصور اللغوي لاستعمال الإبدال الرمزي والخلط الرمزي في مجتمع ثنائي اللغة :.... 168
الفصل الثالث..... 171
المبحث الأول: تدرج المستوى الثقافي وانعكاساته على تنوع المنطوق..... 172
هل لهجة الفرد تتحدى بمستواه الثقافي؟..... 177
المبحث الثاني: الاختلاف الطبقي وانعكاساته في تنوع المنطوق..... 181
اللهجات الاجتماعية..... 182
الانتماء الاجتماعي والتعدد اللهجي..... 187
المبحث الثالث: اختلاف النوع وأثره في تنوع المنطوق..... 189
هل يختلف الرجال والنساء في طريقة الكلام؟..... 191
هل عامل النوع يؤثر على كيفية النطق؟..... 191
الحركات والنوع..... 203
خصائص الشكل اللغوي للنوعين..... 204

المبحث الرابع: التدريج السني وأثره في تنوع المنطوق.....210
المبحث الخامس: المنطقة الجغرافية وأثرها في تنوع المنطوق.....214
الفصل الرابع 226
التحليل الكيفي للنتائج.....236
النوع والتغيير المعجمي 237
أثر التدرج السني في تنوع المنطوق.....243
المنطقة الجغرافية وأثرها في تنوع المنطوق.....252
التغيير المعجمي.....255
المستوى الثقافي وانعكاساته على تنوع المنطوق.....259
الخاتمة.....289

يهدف الموضوع قيد الدراسة إلى محاولة إظهار جملة منى الميكانزمات التي لها أن تأثر على طريقة نطق المتكلم في تلمسان بصفة عامة و النخبة المثقفة علئ وجه الخصوص.

فالفروق أو الاختلافات المتباينة بين اللغات واللهجات هي في معظم الأحيان فروق سياسية وثقافية أكثر منها لغوية، ولعل أكثر جوانب الدراسة اللغوية قيمة وحيوية في الوقت الحاضر هو دراسة اللهجات؛ أو تنوع الأشكال اللغوية والمقارنة بينها في لغة معينة، وهي دراسة كما سبق الذكر معاصرة؛ تدرس اللغة في حالتها والتركيز فيها موجه إلى الكلام المنطوق بل قد تستبعد الكتابة بالكل.

فالموضوع قيد الدراسة، هو الانتشار الجغرافي والتغيرات الناجمة عنه، فالحواجز الاجتماعية لها نفس الأثر كالحواجز الفيزيائية، وعلى ذلك فالحدود بين اللهجات سيكون له أثر سلبي على شبكة الاتصال، فالتغيرات سوف تتوسع من فرد لآخر،أو بصيغة سوسيو لسانية من متكلم الآخر.

فكلما توسعت مسافة التباين الجغرافي بين أفراد المجتمع أعطى ذلك دفعا وتأثيرا على التغيير والانتشار، فإذا كان الأمر كذلك فالمتكلمون الذين يقطنون بقرب آخرين سوف يكونون متشابهين في تبني التجديد والابتكار على عكس الذين يقطنون بعيدا عن بعضهم وهذا ما يجري الاصطلاح السوسيولساني عليه بـ" التأثير الجواري" ***Neighbourhood effect***

بيد أن أشكال الطرح لا تكمن في تعلقه بالقرابة المكانية أو الجغرافية، فالتغيرات تكمن بين شرائح المجتمع الواحد وذلك بين نخبة مثقفة وأخرى من عامة الشعب.وذلك هو صلب بحثنا واهتمامنا. باعتبار أن الأولى في اتصال دائم باللغات الأجنبية.

بالطبع لا يمكننا الولوج في تقصي حقائق هذه الإشكالية دون تحديد جغرافية العينة اللهجية المراد دراستها مع إعطاء لمحة حول جغرافية وتاريخ تلك المنطقة.

فإذا كنا ملزمين أن نحصي أصوات اللهجة المحلية "لتلمسان" فإننا سوف نجد تغييرات عدة طرأت عليها وهذا طبعا نتيجة تأثر السكان بالحروب، أو الغزوات، أو العوامل الاجتماعية أو الجغرافية؛ بالإضافة إلى ذلك فإن لهجة "تلمسان" تتميز بجملة من الخصائص اللغوية مما جعلها محل اهتمام العديد من الباحثين أمثال **ويليام مارسي**.

وقد ساعدت على تكوين لهجة " تلمسان" وتميزها عن باقي مناطق الجزائر، بعض الخصائص اللهجية وصفات بعض الأصوات فضلا عن بعض العوامل الأخرى لا بأس أن نقف على أبرزها، وهي الموقع الجغرافي الذي تتميز به هذه المنطقة وكذا التاريخ الذي مرت به "تلمسان" والذي حولها إلى مركز إشعاع علمي وثقافي وقبلة الطلاب، والعلماء من مشارق الأرض ومغاربها وقاعدة اقتصادية وتجارية وحتى عسكرية:

''Ce sont surtout les medersas ou collèges qui ont fait d'elle la cite intellectuelle. Beaucoup de ces medersasa l'instar de celles qui furent fondées en Orient, furent édifiées par les rois de Tlemcen qui avait la particularité d'accueillir les savants et les lettres avec faveur et distinction'' (1)

بمعنى: إنهم خاصة المدارس أو المعاهد الذين جعلوا منها مدينة ثقافية. فالعديد من هذه المدارس التي أسست من قبل الملوك الذين تعاقبوا على حكم تلمسان و المميزين بخصوصيات استقبال العلماء و الأدباء برعاية خاصة"".

انطلاقا من هذا الأساس يمكن لنا أن نبرز كيف يمكن للمستوى الثقافي أن يؤثر على المنطوق والرصيد اللغوي للنخبة المثقفة في "تلمسان"؛ لكن قبل ذلك يجدر بي أن أقدم لمحة تاريخية لإظهار أهم المراحل التي مرت بها هذه المنطقة عبر ممر الزمن، وقبل ذلك لا بد من تحديد الإطار الجغرافي " لتلمسان".

وعليه فإن موقع " تلمسان" الاستراتيجي جعل منها مركز هاما للحرب والتجارة والسياحة، فهي من أفضل مدن الجزائر أو حتى شمال إفريقيا موقعا، فهذه المدينة التي تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر هي ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشمال والجنوب من جهة، وبين الشرق والغرب من جهة أخرى "فالداخل للمغرب الأقصى آتيا من تونس أو الجزائر، والخارج منه آتيا من مراكش أو فاس لا بد له من المرور عليها والنزول والإقامة بها" [1] والأمر نفسه بالنسبة للمسافر الأوربي، والقادم من جزيرة الأندلس على وجه الخصوص،عبر البحر الأبيض المتوسط، وحتى القادم من عمق الصحراء الجزائرية كان لزاما عليهم حط الرحال أو على الأقل الوقوف بتلمسان [2].

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن ننوه بأن مصطلح التغيير اللغوي يشمل موضوع دراستنا والذي يمكن عده لهجي أو بصيغة أخص، ناجم عن التغيرات وطرق التعبير واختيار المفردات لدى النخبة المثقفة. ولا عيب في ذلك باعتبار أن بعض الدارسين يقرون ألا فرق من وجهة النظر العلمية الدقيقة بين اللغة"واللهجة"، فما يسمى" لغة قد يكون "لهجة" متفرعة من أصل

[1] - revue de la faculté des lettres N:1 volume 2 Novembre 2000. Hadjaj sidi Mohamed ;faculté des lettres de Tlemcen p23

[2] - باقة السوسان في العريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الحاج رمضان شاوش. ديوان المطبوعات الجامعية.

سابق وما يسمى "لهجة" يمكن عده "لغة بانتظامها قواعد منضبطة ولها استقلالها لغويا وبالأخص كالفرق بين المجتمع الأكبر والمجتمع الأصغر؛ كلاهما - إن كان هناك فرقا-وظيفيا، فالفرق بينهما يؤلف مجتمعا قائما بذاته ومقوماته الأساسية، شأنه في ذلك شأن وجهتي العملة الواحدة. كانت لغة أم لهجة، فهي عملة متداولة بين المجتمع الواحد الذي أقر لها رموزا وتعارف عليها.

فمما سبق ذكره من الخصائص الجغرافية والمرحلة التاريخية يتضح أن لهجة تلمسان لها صلة وثيقة بالمجتمع الذي تستعمل داخله، ولو بحثا عن صورة أفضل كان لزاما علينا أن نتحدث عن المتغير كوحدة لغوية أو سوسيولسانية .

فاللغويون القدماء لاحظوا أنه توجد بعض الخصائص اللغوية كنطق "القاف" "والكاف" و"السين" وما إلى ذلك من الظواهر اللهجية كالشنشنة والكسكسة والعنعنة، إلا أنهم كانوا ينعتونها " لكن على العكس من ذلك***Dialect mixture*** أو الخلط اللهجي"***Free variation***"بالمتغيرات الحرة " رأى معظم اللغويين المحدثين أن المتغيرات ليست حرة بالمطلق و لكنها مقيدة بالمتغيرات اللغوية أو الاجتماعية، وأصبحت المتغيرات مرنة ومحل الدراسة وأخيرا متداخلة في نظرية اللغة العام " في 1980 اعتبروا المتغير"كوحدة بنيوية"، ***Chambers and Trudguil*****:**"تشامبرز" و"ترادقيل" " والمورفيم فقالوا:

''A linguistic unit with two or more variants involved in correlation with other social and for linguistic variable''.

بمعنى أن: "الوحدة اللغوية ذات المتغير الواحد أو متغيرات تعني أو تهتم– وهو ضروري – بالمتغيرات اللغوية والاجتماعية".

" المتغيرات السوسيولسانية كالآتي:***Labov***بالطريقة نفسها عرف"**لابوف**" "

"***One which is correlated with somehow linguistic variable of the social context of the speaker, the addressee, the setting …etc. Labov.1970.p :66.***

بمعنى أن: " الشخص الذي هو مترابط مع بعض المتغيرات غير اللسانية للسياق الاجتماعي للمتكلم، المرسل إليه، المستمع، المحيط أو المجال...الخ".

فمما سبق ذكره نجد أن الحياة الاجتماعية في "تلمسان" كبقية المجتمعات الأخرى– شهدت تغيرا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى خاصة، بحيث انقلبت الأوضاع جميعا رأسا على عقب، مما أعطى ميلاد لهجات خاصة بكل حرفة أو مهنة، وبالتالي كل طبقة اجتماعية، بمعنى آخر أصبحت "تلمسان" المدينة وضواحيها تتوزع وتنتشر ثلاث لهجات – إن أصبنا في اختيار المصطلح– اللهجة الحضرية، اللهجة البدوية، واللهجة الحوزية، وسوف نعود للحديث عن هذا الموضوع بأكثر دقة وتفصيل حينما يدعونا المقام للحديث عن الحالة السوسيولسانية وانتشار اللهجات في منطقة "تلمسان.

فالظاهر أن التجارة والمصاهرة والاتصال اليومي بين سكان تلمسان وأهل الريف لم يؤثروا في طريقة نطق سكان هذه المنطقة ، إذ استطاعوا أن يحافظوا على خصائص منطوقهم – إن لم نقل– فرضوها أحيانا، وانصهرت واندثرت أحيانا أخرى حسب مقام الحديث، إلا أن المؤكد هو أن للعامل الجغرافي دوراً فعالا في تنوع منطوق المتكلم.

لقد عرفت اللهجة الجزائرية إبان وعقب الغزو الفرنسي تشتيتا، أفرزه من جملة ما أفرزه تخلي الناطقين عنها، ويفسر أيضا سياسيا بالإجراءات القمعية الممارسة في وجه من يكتبها، أو من يتناولها كموضوع بحث. وسرعان ما تأثرت الحالة اللغوية في الجزائر باللغة الفرنسية، يقول "**تنغور** ***(Tengour)*** في هذا السياق:

« En 1962 : Les Algériens deviennent indépendants. Mais ne se libèrent pas. Le constat se réalisé au milieu d'une accumulation. De plus, La France est plus présente que jamais en chaque Algérien ».

بمعنى: "إستقل الجزائريون سنة 1962 ،لكن لم يصبحوا أحرارا، زيادة على ذلك فإن اللغة الفرنسية موجودة لدى كل جزائري أكثر من أي وقت مضى".

وحدث من ثم تغييرات في الأصوات، وتجديد في أساليب النطق، فبرز سجل جديد من المفردات ليس له ما يعادله في اللغة كما ظهر نمط تعبير مغاير يستعمل من قبل النخبة المثقفة.الأمر الذي دفع بنا إلى دراسة السجل اللهجي ومختلف الأشكال التعبيرية لدى النخبة المثقفة في تلمسان. حيث ركزت بالأساس على تلك المكنيزمات الفاعلة في ذلك التنوع من ازدواج لغوي، ثنائية لغوية، خلط لغوي، تعدد لغوي، اقتراض، هذا دون إغفال العوامل السوسيولسانية من تدرج سني، نوع المتكلم (جنسه)، انتماؤه الجغرافي، والطبقة الاجتماعية التي ينحدر منها.

وقد سرت في عرض هذه الرسالة وفق خطة كيفية وكمية انبثقت أولا من طبيعة الموضوع نفسه، ثانيا من كم المادة المجموعة، وتمثلت في مدخل وأربعة فصول وخاتمة حيث حاولت أن أحصر الإشكالية في منطقة تلمسان. ولذلك تناولت في المدخل الحدود الجغرافية لمنطقة تلمسان

والذي جعل منها محل أطماع الكثير من الغزاة، وأبرزت كذلك تنوع التضاريس وماله من أثر على تنوع المناخ الذي يسود المنطقة، وأهم العادات والتقاليد التي تمتاز بها المنطقة. و كذا أهم العلماء الذين مروا بتلمسان، وذلك بالحديث عن الجوانب التاريخية التي عرفتها المنطقة، و قد أثرت تلك الفسيفساء الشعبية التي حكم عليها التاريخ أن تستقر أو على الأقل المرور بتلمسان على مستوى النطق.

وعلى ذلك، فقد خصصت الفصل الأول للتعريف بالمصطلحات اللغوية الأساسية في مثل هذه البحوث، وذلك من خلال عرض أهم التعريفات التي أطلقت على علم اللغة الاجتماعي، واللغة، واللهجة، والمنطوق والصلة بينها، وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث، فالمبحث الأول درست فيه الفرق بين علم اللغة الاجتماعي، وعلم الاجتماع اللغوي وأهم المواضيع التي تضمنها كلا الفرعين مع إبراز أهم العلوم التي لها صلة بعلم اللغة الاجتماعي باعتبار أن موضوع بحثنا يختص بتقديم مختلف تعاريفها وصفاتها، كما أبرزت كذلك من خلال المبحث الثاني معايير التمييز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.

أما المبحث الثالث فتعرضت فيه إلى الإطار السوسيولساني للمنطقة، وكذا أهم الخصائص التي يمتاز بها نموذج المنطوق بتلمسان، وتحدثت أيضا عن ظاهرة تغيير السياق والتصرف اللغوي، وكذا الخاصية المرفولوجية/الصرفية كأسلوب سوسيولساني دون إغفال الظاهرة المعجمية لمنطوق تلمسان وخصصت المبحث الرابع لأتناول فيه التطور الذي حصل في علم اللهجات الحديث من دراسة جغرافية إلى دراسة علمية جديدة مفعمة بعوامل سوسيوثقافية ولغوية محضة تدفع الدارس للحديث عن البنية السوسيولسانية لعلم اللهجات الحديث.

أما الفصل الثاني فخصصته لدراسة الحالة اللسانية في الجزائر عامة وأثرها على تنوع المنطوق لدى النخبة المثقفة، حيث ركزت وبصفة خاصة على أهم السياسات المتبعة من قبل الحكومة من أجل تعريب المنظومة التربوية، مبرزا العلاقة بين العربية الفصحى الحديثة والعربية الجزائرية، ثم العلاقة التي تربط اللغة العربية بالفرنسية من خلال واقع الاستعمار الفرنسي، وتطرقت للصراعات القائمة بين العربية، الأمازيغية، والفرنسية، ثم إنتفاظة الطلبة المعربين، كما سلطت الضوء على الإطار اللغوي العام منذ الاستقلال مرورا بكل الحكومات التي قادت الجزائر منذ 1962.

و كان الفصل الثالث من بحثي منصبا على أهم الآليات التي تحكم منطوق تلمسان، وركزت بصفة خاصة على المستوى الثقافي، والجانب الاجتماعي وكذا عاملي التدرج السني أو (العمري)، والنوع (جنس المتكلم)، وأخيرا المنطقة الجغرافية التي ينحدر منها المتكلم وأثر كل تلك العوامل على تنوع المنطوق، وقد قسمت هذا الفصل إلى خمسة مباحث، تناولت في المبحث الأول كيف يمكن للمستوى الثقافي أن يؤثر في طريقة النطق، وقبل ذلك عرفت مصطلحي الثقافة والنخبة المثقفة. ثم عرضت في المبحث الثالث، كيف يمكن لعامل النوع (جنس المتكلم) أن يكون آلية تتحكم في تنوع المنطوق وأبرزت أهم الخصائص التي تتسم بها طريقة الكلام عند الإناث مقابل الذكور، من بيان الفروق الصوتية، والصرفية، وأخرى نحوية ودلالية، كما أبرزت أهم الأسباب التي تجعل من منطوق الرجال مختلفا عن نظيره عند الاناث. كما عرضت للحديث في المبحث الرابع عن أثر العمر في تنوع السجل اللهجي للمتكلم، وكيف أن هناك فروق في الطريقة التي يتكلم بها الناس على اختلاف أعمارهم؛ بين شيوخ وشباب،لأختم في المبحث الخامس

بالحديث عن أثر الإنحدار الجغرافي في تنوع المنطوق، وذلك ما يتجلى في الرصيد اللهجي المتداول بين المتكلم الحضري ونضيره الريفي.

وجاءالمبحث التالي نوعا ما كيفيا, مخصصا للحديث عن أهم الظواهر السوسيولسانية التي يمكن لها أن تغير منطوق النخبة المثقفة من ازدواجية لغوية تختلف باختلاف سياقات الكلام، وثنائية لغوية تعكس تكوين المخبر أو تأثره باللغة، أو اللغات الأجنبية الغازية للعربية الفصحى عامة والجزائرية على وجه الخصوص، باعتبار أن معظم إطارات النخبة زاولوا دراساتهم العليا في دول أوربية أو بالأحرى بفرنسا. كما تطرقنا لظاهرة المزج اللغوي أو الخلط اللغوي والذي يعزى أساسا إلى عوامل عدة لعل أهمها هو الغزو الثقافي عبر مختلف الابتكارات التكنولوجية والأنترنت من جهة، ونتيجة التقهقر اللغوي العربي الذي يعاب على المتكلم الجزائري عامة والنخبة المثقفة على وجه الخصوص.

أما الفصل الأخير فقد جاء تطبيقيا، تحليليا لمختلف التنوعات النطقية للنخبة المثقفة والتي استخلصناها من خلال الإستقصاء الذي قمت به مع عينة مثقفة مكونة من مائة وثمان وثمانين مخبرا، بالإضافة الى مختلف المساءلات التي قمت بها من خلال التسجيلات الإذاعية لإذاعة تلمسان، وبطريقة سرية، مع عدد لا بأس به من ممثلي هذه النخبة وذلك بغية الوصول إلى نتائج دقيقة وعلمية من خلال العفوية التي لمستها من خلال التسجيلات السرية للمخبرين، مع إبراز كل تلك النتائج المتوصل إليها أو النسب المئوية عبر دراسة إحصائية من خلال أعمدة بيانية أو دوائر نسبية.

وفي الأخير أنهيت بحثي بخاتمة كانت بيانا لمختلف النتائج التي توصلنا إليها راجيا أن تساهم بشكل أو بآخر في إثراء مثل هذه الدراسات السوسيولسانية للهجة الخاصة بمنطوق النخبة المثقفة في تلمسان .

وقد اعتمدت في هذه الرسالة على أمهات مصادر اللغة واللهجات، وعلم اللغة الاجتماعي، أذكر منها ما كان من المتقدمين العرب، "كالخصائص" لابن جني، "الكتاب لسيبويه"، وثلة من المتأخرين نحو:"في اللهجات العربية" لإبراهيم أنيس، "واللهجات العربية نشأة وتطورا" لعبد الغفار حامد هلال، علم اللغة الاجتماعي لصبري إبراهيم السيد، كما استفدت من بعض المراجع مثل" اللهجات وأسلوب دراستها" لأنيس فريحة، كما اعتمدت على بعض كتب المستشرقين مثل" دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو وقد عربه صالح القرمادي، وبعض المراجع الأجنبية وذلك بحكم شح المراجع باللغة العربية، جاء اعتمادي على البحوث باللغات الأجنبية مثل ***Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen*** **لوليام مارسي** و "***les Parlers Arabes***" **لفيليب مارسي** و ***" Dialect Converging*** **ليول كيرسويل.**

وبحكم طبيعة الموضوع استندت إلى المنهج الكمي والكيفي***quantitative et qualitative*** وذلك قصد تقديم وصف أعم وأشمل للعينة المدروسة وتحليلها سوسيولسانيا من خلال تحليل مختلف السلوكيات اللغوية المنتهجة من قبل النخبة المثقفة، وقد جمعت مدونة هذا البحث عن طريق المساءلة والمشافهة دون أن يعي المخبر بأنه يستنطق عبر التسجيل السمعي لمختلف فئات النخبة المثقفة.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن طريق هذا البحث كان صعبا للغاية وذلك لندرة المصادر اللغوية الهامة والتي تناولت مثل هذه المواضيع اللهجية من جهة، كما تحملت عناء السفر إلى دول عربية، وأوربية عديدة قصد الحصول على مصادر أساسية في مثل هذه البحوث ترجمتها إلى العربية من جهة أخرى، ورغم كل هذا إلا أنني أحسست وأدركت في الوقت عينه أنها أبجديات البحث العلمي الأكاديمي، فالمعاناة من أجل الصواب أفضل من النوم على أشواك الخطأ.

وفي الأخير أسأل الله التوفيق وأتمنى من السميع العليم أن يعود هذا البحث بالنفع على الكل؛ بما في ذلك كاتبه وقارئه، وحسبي من المطلعين هذا العمل العذر الذي يرفع عني حرج النقص، كما جاء على لسان الأصفهاني: "ما كتب أحد في يومه كتابا إلا قال في غده لو زيد كذا لكان أحسن، ولو حذف كذا لكان يستحسن، ولو أطبق كذا لكان أصوب، ولو نقص كذا لكان يستصوب، وهذا دليل على جملة النقص على جميع البشر".

وقد أفضى البحث إلى نتائج نلمح من خلالها نقائص لابد من استقصائها ودراستها دراسة علمية،عملية دقيقة ، نلخص جملة ما توصلنا إليه فيما يلي :

1- اللغات عبر العالم تتأثر بالمناخ الطبيعي والظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بها ومن ثم فإنها منقسمة أكثر ممّا هي موحدة؛ فاللغات قد تنتشر في مساحات واسعة من الأرض ، وقد تبقى في حيز ضيق من الوجود ، فمع أهلها تدخل بقاع جديدة ، وتتصارع مع لغات جديدة ، وذلك نتيجة الثورة الثقافية والمعلوماتية من جهة ، والغزو والاستعمار التقليدي من جهة أخرى .

2- العديد من المثقفين في تلمسان يخلطون في لهجتهم بين الفرنسية والانجليزية حسب اختصاصاتهم ، وهذا ما يعرف بظاهرة الخلط اللغوي ***(code mixing)*** والذي عادة ما يكون مرتبطا بسياق الكلام .

3- النمط اللهجي المتداول بين النخبة المثقفة في تلمسان متباين حسب جنس المتكلم فالرجال من هذه النخبة بمليون إلى الخلط اللهجي وعن تلك الخصائص التلمسانية المعروفة عند حديثهم مع أشخاص خارج المدينة وهذا ما يعرف بالإزداوج اللهجي ***(bio-dialectal)***،أما النساء فتراهم محافظين عن تلك الخصائص مهما كانت صفة المتلقي .

4- النساء من النخبة المثقفة يفضلون استعمال الفرنسية عن اللهجة العربية بحكم جنسهم، ونظرتهم إلى اللغة الفرنسية ، كلغة حضارة ورقي ، وتقدم ولعل ما يثبت ذلك هو الشكاوى من مجموع النساء من عامة الشعب حين زيارة طبية ، فلا ترى هذه الأخيرة تنطق كلمات عربية إلا نادراً .

5- تنقل النخبة المثقفة من الرجال ساعد على انصهار تلك المميزات النطقية بفعل الاحتكاك بانفراد يجدون صعوبة في فهم بعض مفرداتها .

6- النخبة المثقفة في تلمسان متأثرة بشكل ملفت للانتباه بحكم تخصصها، فترى الطبيب يحسّ بنوع من الراحة وهو يتحدث بالفرنسية، عكس العربية التي نلحظ أنه يبذل جهدا فكريا من أجل البحث عن المفردة المناسبة.

7- النخبة المثقفة والتي زاولت دراستها قبل أو بعد الاستقلال وحتى منتصف السبعينات من القرن الماضي تجد صعوبة في فهم العربية وخاصة العربية الفصحى ، وهذا ما نلمحه من خلال نوع الجرائد المقروءة من قبل هذه الفئة – عكس النخبة التي زاولت دراستها بعد سياسة التعريب المنتهجة من قبل الدولة .

8- إن إحتكاك الفئة المثقفة باللغة الفرنسية جليّ، فمعظم العينات المدروسة تتميز بازدواجية لغوية فلا نكاد نسمع جملة عربية خالصة من أفواه هذه النخبة فتراه يمزج كلامه بكلمات لا تفهمها إلا هذه الفئة من الجماعة الكلامية.

9- استشعرنا نوعا من الارتياح والدعم لسياسة التعريب المنتهجة من قبل المنظومة التربوية خاصة بين أوساط النخبة المثقفة من الجيل الأخير.

10- استعمال النخبة المثقفة لوسائل التكنولوجيا للاتصال ساعد على توسع دائرة الاحتكاك باللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية ، وذلك بحكم المشاركة في مختلف المنتديات الثقافية والاجتماعية عبر الانترنت .

11- الخلط اللهجي للنخبة المثقفة في تلمسان يرجع بالأساس إلى ظاهرة الاقتراض "***borrowing***" والتي تعزى هي الأخرى إلى ضرورة الاقتراض وعدم وجود الكلمات المرادفة في اللغة الأم، أو على الأقل عدم إدراكها من قبل هذه الفئة –إن وجدت.

12- تعدّ اللغة الفرنسية في الجزائر عامة وبين النخبة المثقفة خاصة كلغة أجنبية وهذا لاعتبارات سياسية، ولكن بحكم الاستعمال اليومي، ينظر إليها كلغة ثانية موازية للغة العربية، وربما أكثر من ذلك فهي لغة الامتياز.

13- إن رياح التغيير والعولمة التي تهب على الجزائر بقوة ، فلم يعد الاقتصاد وحده معنيا بالتغيير والإصلاحات، وآفاق الجزائريين في السنوات الأخيرة على حملة مغازلة من منظمات تدريبية وتكوينية لنخبة المجتمع الجزائري من طلبة ، ومهندسين ، وأطباء وأساتذة وغيرهم. وفي المقابل انتشرت مدارس خاصة مثل " **الطفيليات** " يديرها غالبا جزائريون بهدف تقديم دروس خصوصية في اللغة الانجليزية .

14- الصراع القائم في الجزائر ومنذ الاستقلال عام 1962 ظل قائما بين " المعربين " من أنصار تعميم اللغة العربية و المفرنسين من أنصار فرنسة العلوم في المدرسة والجامعة والإدارة العمومية ، إلاّ أنه يبدو أن الانجلوساكسونين أفاقوا أخيرا من غيبوبتهم وقرروا بدورهم أن يدخلوا المعركة أمام تنامي تيار يطالب السلطات بضرورة التمكن للغة الانجليزية في الأطوار الابتدائية قبل اللغة الفرنسية ، ذلك على اعتبار أن الانجليزية هي اللغة الأولى للعلم والتطور التكنولوجي.

وأنوه في الأخير إلى أن البحث في علم اللهجات لا يزال يعاني التهميش ويحتاج إلى بحوث معمّقة وشاملة ، لفضح أسرار الواقع اللغوي في البلاد العربية بحكم أن جلها يعتمد لغة

ثانية تزاحم سلطة العربية حسب جنس الدولة الغازية ، إما فرنسا أو بريطانيا ، وما يؤكد هذا التهميش هو شح المراجع باللغة العربية وكأن علم اللغة الحديث بغنى عن مثل هذه البحوث .

وفي الأخير، هل يا ترى يجب أن نعتبر أن منطوق النخبة المثقفة هو إضافة إيجابية ويجب تقبلها والتسامح معها ، أم أنه صراع خفي لابد من التسلح لربح المعركة؟ ، فكم من لغة ماتت في عقر دارها؟ ولك عزيزي القارئ أن تحكم على ما قيل عن الوضعية في الجزائر من قبل **تنقور** ***'' Tengour ''***

''Il faut aussi que les communautés dites majoritaires comprennent enfin que les langues sont un bien commun et que la diversité doit être non seulement tolérée, mais aussi encouragés sans arrière-pensée d'assimilation et d'accumulation .

بمعنى: ""يجب على الجماعات– المسمّاة بالأغلبية– أن تفهم كذلك بأنّ اللغات شيء مشترك و أنّ التنوع لا يجب أن نتسامح معه و حسب؛ و إنما تشجيعه دون خلفية الاستعاب أو التثاقف"" !

LABORATOIRE DE RECHERCHE OUVRAGES DU SUPERIEUR

LAROS

REVUE LAROS

Actes du colloque international sur le thème "Langues, Culture et Interculturalité"

Université Djillali Liabes

Sidi Bel Abbes

26 - 28 Avril 2010

N° 07 Février 2011

ISSN : 1112 - 5373

07/2011 ISSN 1112-5373

Revue annuelle

Publiée avec le concours du laboratoire de recherche
ouvrages du superieur (LAROS)

Université d'Oran

Note aux auteurs

Les propositions d'article se font en langues arabe, allemande anglaise espagnole, française et russe.
Les auteurs doivent présenter leur travail tapé sur CD (Word 6 et plus), avec un résumé ne dépassant pas 10 à 15 lignes dans deux langues autre que celle de l'article en question.
Un CV de 6 lignes est indispensable (année de naissance, ville, diplôme et grade, enseignement et recherche).
Les articles non insérés ne sont pas retournés.
Les opinions émises dans les articles publiés par la REVUE LAROS n'engagent que la responsabilité de leurs auteurs.

Les Editions Dar El Quods El Arabi

N° 07/2011 ISSN 1112-5373

LABORATOIRE DE RECHERCHE OUVRAGES DU SUPERIEUR

LAROS

REVUE LAROS

Directeur de la revue
EL KORSO Kamal

Directeur de la rédaction
MILIANI Mohamed

Conseil scientifique

BENSAFI Zoulikha, Alger
BLEICHER Thomas, Mainz(Allemagne)
DEMAISON Christine, Paris
EL KORSO Kamal, Oran
KOULOUGLI Lamine, Constantine
LADJAL Tahar, Alger
MILIANI Mohamed, Oran
OUHIBI GHASSOUL Nadia, Oran
WIERLACHER Alois, Bayreuth(Allemagne)

Comité de lecture

MILIANI Mohamed (Anglais), KOULOUGLI Lamine (Anglais), OUHIBI GHASSOUL Nadia (Français), DEMAISON Christine (Allemand / Français), BLEICHER Thomas (Allemand).

Sommaire

Préface 6

Problématique 8

Programme 13

Communication en Anglais 23

Miliani Mohamed 24
Technology in the language classroom: Prometheus or Panurge?

Driss Marjane 28
Moroccan Arabic-French Bilinguals and World-View

A Belmekki 35
Pluriculturalism in EFL Teaching/ Learning:
A Focus on Intercultural Communicative Competence (ICC)

Faiza Senouci- Meberbeche 39
African-American Vernacular English: Features, Evolution,
and Cultural Implications.

Khaldi Anissa 44
Interculturality and EFL Pedagogy: implementing Intercultural
Communicative Competence in the Classroom

Bouteldja Riche 51
Shakespeare's Language and Cultural Politics in Othello:
An Analysis of the Metaphor of the "Turk" and the Concept
of Cultural Hybridity

Zerrar Sabrina 61
Linguistic and Cultural Hybridity in Achebe's Things Fall Apart:
Proverbial Quoting or the Art of An Mbari House

Z. Djebbari 75
Cross-Cultural Awareness for EFL Curricula: 68
Mapping Classroom Based-Activities

Taleb-Baghli Ouafaa 73
« The Clash of Civilizations »: Perception in the Context of Globalization

I Serir 78
Raising a Global Cultural Awareness through English literature in an Algerian Classroom

Bouhass/ Benaissi Fawzia 86
From "local "FL classroom communication to intercultural communication

Benttayeb Assia 81
Cultural content and the teaching of literature

Hafida Hamzaoui - El Achachi 95
Cultural obstacles in writing faced by efl university students

Naima Iddou 103
Men's Vs Women's Speech in Algeria

Radia Benyelles 109
The Value and Signification of Proverbs in Algerian Arabic: The Power of a Discourse Reflecting Popular Believes

Benhattab Abdelkader Lotfi et Zitouni Mimouna 118
Is SMS Communication an oral or a written language? : A linguistic investigation of the nature of language and the use of code switching in SMS communication among young Algerian users

Fatiha Guessabi 141
Language is culture on intercultural communication

Wassila Mouro 144
Dialogic Relation between Cultures

Abdelhamid Bessaid 148
The Sociolinguistic Situation in the south of Algeria and the Attitude Towards Foreign Language.

Fewzi Borsali 151
The Colonial Office Advisory Committee on Education in the British Colonies 1923-1941

Communications en Allemand 158

El Korso Kamal 159
Zum einem allmählich aber neuen Verhältnis Lehrer Lerner

DOUIK Fatiha 164
L'apprentissage interculturel dans l'enseignement des langues étrangères

Nadjia Hami 173
Zur Syntax des Adjektivs in Kochrezepten

Valentina Janich 179
Die zweite MigrantInnengeneration am österreichischen Arbeitsmarkt

IrmaTRATTNER 186
Das Verbindende der Kulturen in der „WIENER MODERNE

Rachida Benattou 193
Der Fremdsprachenunterricht als Ort für interkulturelles Lernen

BEHILILAbdelkader 201
Literatur, Lesen und Verstehen

BOURI Zine – Eddine 206
Die Übersetzung, eine interkulturelle Kommunikation
(Skopos – Theorie als Modell.)

Les Impressions 212

Postface 229

The Sociolinguistic Situation in the south of Algeria and the Attitude Towards Foreign Language.

Abdelhamid BESSAID, Université d'Adrar

The sociolinguistic situation in Algeria in general, was and still is the subject matter of discussion particularly among sociolinguists. This latter stretches back chiefly to both the complexity and the diversity of the Algerian speech network.

A primary aim of this research has been to compare the particular sociolinguistic practices into which learners are socialised ***outside*** their schools with the practices they encounter ***inside*** their schools.
This concern with understanding the links between learner's language practices in and out of school has been taken up by those interested in the comparative study of literacy practices. Like search on the attitude towards foreign languages, the study here has aimed to '' understand more fully the social, cultural and historical links between the ways that learners are socialised into the activities of reading and writing in their home contexts and to use this knowledge to inform school-based instructional practices.''(**Barton** 1991)

In his book 'Ideologie de l'enfermement' **H.Tengour** declared ;'' En 1962, les Algeriens deviennent independants , mais ne se liberent pas. Le constat se realise au milieu d'une accumulation de frustration. De plus, la France est plus presente que jamais en chaque Algerien''. In this respect, the issue of foreign languages in the south of Algeria is very critical, this fact is well illustrated in the different forms of ' ***La Haine*** des langues etrangeres'.
M.Maalouf, also has a hand to confess the linguistic situation in Algeria in his book ''Les Identites Meurtriers" once he said " ...vous pourriez lire dix gros volumes sur l'histoire de l'islam depuis les origines , vous ne comprendriez rien a ce qui se passe en Algerie , lisez trente pages sur la colonisation et la decolonisation, vous comprendrez beaucoup mieu''.
One paramount feature worthy of remark in this respect ,is that the Algerian speaker is at least a bilingual. This latter fact is well crystallized in the speech of most Algerian speakers i.e.nobody fails to notice that the cross-cultural influence may also give rise to language shift; the abandonment of one native tongue in favour of another since it is daily practised in his different ways of communication. **Amghar** said in this respect ; in Al Moudjahid 1974 ''... the Algerians speak two minutes in French ,thirty seconds in Arabic , then one minute in French and so on'', sometimes the two languages are mixed to such point that there results a **'bizarre'** unintelligent language ,and one wonder if these are not themselves bizarre. Hence, the question that falls upon this issue is, what are the repercussions of bilingualism, multilingualism and its inevitable consequences like borrowing, code mixing, code switching, social diglossic practices on the individuals but in the south of Algeria? Put this another way ,what are the implicit governing forces or reasons that prompt southern to learn/hate foreign languages.

Basing our discussion - that will be analysed in further occasion –on a questionnaire done with first and second year students at the university of Adrar as a case study, about the use of the linguistic markers such as borrowings, loans of necessity and loans of convenience, we concluded a complete opposite results vis-à-

vis the north of Algeria; in which ninety percent 90/ of the total number of informants do not use much of the linguistic phenomena. In another context, we concluded that in a fortnight, for example, out of sixty students in the department of English just 1/3 of the total number say 'good morning' for salutation or greeting; the 2/3 say it in Adrarian way 'saa' which means 'salam' in M.S.A, and not 'sbah el khir' ,the fact that urged us to look for the tacit reasons behind such a behaviour. For this question, they told us that their Islamic background push them to interact in such a way.
In another questionnaire done with a drugstore clerk, we marked that eighty seven per cent 87/ of the prescriptions are written and explained in Arabic, because such network reject any foreign language mainly French.
In another questionnaire done with three kiosks in Adrar down town about the newspapers , surprisingly they informed us that the number of Arabic-written sold newspapers is much more higher than the French-written ones.

Hence, teaching foreign languages is a part of an unbalanced equation that bounds French and English as ***enemy*** languages. This issue stretches back to tricky reasons that themselves are worth points of request. Is it due to human material requirements? Or to internal motivation? Or to the social status of non-native languages?
We will try to discover on closer examination that these facts are inherently joints acts, and that they are just one level of an entire ladder of interfering actions.
It is not possible to imagine any systematic preparation of materials for teaching, for instance, could be undertaken without the speech network conditions ,'' Getting educated is a personal matter, in contrast, providing education is a social enterprise'' W.A.Bull.
The extent to which the second language is used in the system of education generally seems to stem the importance of its overall social role, this is not always the case for all Arabic-speaking countries to assign the same role to the principal foreign language that is taught.

In Tunisia, Algeria, and Morocco; French for instance, is still used extensively as a medium in secondary schools for there are perhaps two reasons for their not using Arabic as fully as appears to be possible. Primo, they see some values in maintaining their link with French culture and feel that this is the best done by keeping it as a medium of instruction. Second, there may not be enough teachers trained to teach.

A Need for New Approaches to Meet New Challenges:

The object of a particular science, the material where the subject and its knowledge are made, language is above all a practice. A daily practice that fills every second of our lives, including the time of our dreams, speaking and writing; it is a social function that is manifested and known through its exercise. Yet, the paramount question under debate is how to meet the new challenges?
A series of questions are to be asked among any learner of a foreign language, English this time is the target language.
-What do students need to do with English?
-Which of the skills do they need to master and how well?
-Which genres do they need to master either for comprehension or production purposes?
-Which kind of English functions both socially and economically in the same rate?

English for specific purposes(ESP) is an exciting movement in English language education that is opening up rich opportunities for English teachers and researches in new professional domains. Johns.A.M and Dudley Evans.T(1991).
The growing demand for highly proficient speakers of specialized academic and workplace English in the south of Algeria is drawing increasingly large numbers of teachers into the ESP profession and awarding them higher salaries and prestige than were previously given to language instructors. For such latter reasons ESP is taught as tailor-made language package to specific communities of learners with highly specialized language needs far from' la haine des langues etarngeres'

More generally, the attitude towards foreign languages becomes less aggressive within the recent industries and new technologies. Worldwide have essentially the same set of needs and the tourism industry for instance ,the same sets of products. A systematic approach to tolerate these languages would be beneficial for all involved.

Finally, we noted through this short sketch that the use of foreign languages, at least foreign words is like wearing beach clothes in church. Yet many people must and know that the contact between languages is something natural. ''Il faut aussi que les communautes dites majoritaires comprenent enfin que les langues son un bien commun et que la diversite doit etre non seulement toleree, mais aussi encourages sans arriere pensee d'assimilation et d'accumulation' 'H.Tengour.That is to say, we think in Arabic, and we write in French.

REFRENCES :

1-Auer Peter,Code switching in conversation :language, interaction and identity

2-Barton D. The Social nature of writing .Newbury Park:Sage.1991.
3-Bull.W.A.The Use of Vernacular Language in Language,Culture,and Society.ed Dell Hymes 1964.
4-Johns,A.M, and Dudley.Evan. English for Specific Purposes., International in Scope, Specific in Purpose.1991.
5-Kerswill,Paul, Dialect Converging, Oxford Studies in Language.1994.
6-Kelly John, Teaching and Researching Language and Culture, Pearson edition, Edinburgh Gate, England,2002.
7-Labov William, Sociolinguistic Patterns, University of Pennsylvania Press, Philadelphia,1972.
8-Lakoff Robin, Language in Context, Language, vol n 4, 1972.
9-Orr,Thomas, English for Specific Purposes, Washington press,USA,2002.
10-Talmoudi, Fathi, The Diglossic situation in North Africa, Orientalia,Gothoburgensia 8, 1984.
11-Tengour, H, Intersignes, Ideologie de l'enfermement.

CV :
Mr.Abdelhamid BESSAID.
Maitre Assistant class 'A' Departement d'anglais.Universite Adrar.
Membre permanent de TESOL au Etats-Unis.Boston.
Specialite :Linguistique.
E-mail : bessaid11@live.fr
bessaid11@yahoo.com

Edition Dar ElQods 2011

N° 07 Février 2011
ISSN : 1112 - 5373

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان

مجلة الآداب واللغات

مجلة دورية محكمة تصدر ها كلية الآداب واللغات

العدد التاسع عشر
2012

ردمد ISSN 1112-3494
الإيداع القانوني : 1590 - 2001

مجلة

الآداب واللغات

مجلة دورية محكمة

تصدرها كلية الآداب واللغات
جامعة بوبكر بلقايد
ـ تلمسان ـ

العدد التاسع عشر
2012

ISSN 1112-3494 ردمد

الإيداع القانوني: 1590- 2001

قواعد النشر

- يشترط في المقال المقدم إلى المجلة ما يلي:

* مراعاة الشروط العلمية والمنهجية المعمول بها.
* أن يكون المقال أصيلاً ، و لم ينشر من قبل، و ألاّ يكون مقدما للنشر في مجلّة أخرى .
* يجب أن يتضمن المقال ملخصاً موجزاً للبحث.
* التأكد من ضبط الآيات القرآنية الكريمة، و الحديث النبوي الشريف. ثم الشعر ، و الألفاظ غير المألوفة و التي هي بحاجة إلى ضبط.
* الاهتمام بسلامة اللغة ، و قوّة العبارة مع جمع التوثيقات و الإحالات في نهاية الدراسة، علاوة على ثبت قائمة المصادر و المراجع.
* الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء الباحثين ، و لا مسؤولية للمجلة في هذا الشأن.
* تقديم البحث على صيغة (word) في قرص مضغوط (C D) مع نسخة مكتوبة، على ألاّ يتجاوز عشرين (20) صفحة.
* كل مقال لا يحترم المقاييس التقنية والمنهجية والقيم العلمية لا ينشر .
* الدراسات و البحوث و المقالات التي تصل إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ترسل الأعمال إلى العنوان التالي :

عنوان المراسلة

مجلّة كلّية الآداب واللغات

جامعة بوبكر بلقايد – تلمسان

ص.ب. 124 . تلمسان . 13000

هاتف / فاكس: 45 19 38 21 (043)

FACLETTRE@MAIL.UNIV-TLEMCEN.DZ

العدد 19

محتويات العدد

الصفحات:

ـــ كلمة مدير المجلة		05
ـــ وثيقة أدبيـــــة		07
ـــ تأملات الشيخ رضوان في حاضرة تلمسان و باقة السوسان		
	أ.د. رضوان النجار	13
ـــ ألوان البيان في كتاب الخصائص لابن جنّي	أ.د. عبد الجليل مصطفاوي	48
ـــ الاتجاه الديني في الشعر المغربي القديم	د. محمد محي الدّين	60
ـــ ظاهرة التركيب و مقاصدها التبليغية في الجملة الفرنسية	د. شابحة حمرون	79
ـــ أحمد محمد بن الحاج التلمساني و كتابه الأنيس الجليس في جلو الحناديس		
عن سينية ابن باديس	أ.د. الشريف مريبعي	107
ـــ الشعر بين العربية و الانجليزية (مقارنة و ترجمة)	أ. بلعشوي سيدي محمد الحبيب	124
ـــ تعالق الجمالي و النفعي في صور و مشاهد النباتات الطبيعية		
في القرآن الكريم و في الشعر العربي	أ.طـــــول فتحي	140
ـــ بلاغة النظم القرآني عند الباقلاني	أ. محمود فتـــوح	165
ـــ القيم اللغوية في معلّقة امرئ القيس	أ. إيمان فاطمة بلقاسم	183
ـــ التواصل في أبحاث إيكو	أ. حياة لصحف	196
ـــ المستوى الثقافي و انعكاساته على التنوع اللغوي	أ. عبد الحميد بسعيد	209
ـــ من وحي العربية	الناظم خالد الجزائري	220

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة بوبكر بلقايد – تلمسان–

مجلّة كلية الآداب و اللغـــات

العدد التاسع عشر – 2012

المدير المسؤول

أ.د. عكاشـــة شايف

عميد كلية الآداب و اللغات

مديـــر التحريـــر : أ.د.محمد طـــول

المشرف العام للتحرير: أ.د.المهدي بوروبة

رئيـــس التحريـــر : أ.د.محمد مرتاض

أمين التحرير

أ.د.رضوان محمد النجـــار

هيئة التحرير

أ.د. مصطفاوي عبد الجليل

أ.د. بومدين كـــــــروم

أ.د. بومدين بن موســـات

د. أوراغـــــي أحمـــــد

د. بن يلـــــس راضية

أ. بن خنافـــــو رشيد

أ. بن سهلـــــــــة

الهيئـة العلميـــة

أ.د. الزبير دراقي– جامعة تلمسان – الجزائر

أ.د.عبد الجليل مرتاض – جامعة تلمسان

أ.د.محمد عباس – جامعة تلمسان

أ.د.بن عيسى التيجيني – جامعة تلمسان

أ.د. غيثري سيدي محمد – جامعة تلمسان

أ.د. بن موسات اسماعيل – جامعة تلمسان

أ.د. عيد العالي بشير – جامعة تلمسان

د. مرتاض سرير إلهام – جامعة تلمسان

د. بلقاسم محمد – جامعة تلمسان

الهيئة الاستشارية

أ.د. زين الدين مختاري – الملحقة الجامعية – مغنية

أ.د. رابح دوب – جامعة قسنطينة – الجزائر

أ.د. دونيس جريل (**Denis Grill**) – فرنسا

أ.د. ابن مالك رشيد –مركز البحث العلمي– الجزائر

أ.د. مختار بوعناني – جامعة وهران – الجزائر

أ.د. عبد الله بن حلي – جامعة وهران – الجزائر

أ.د.نور الدين صبار–جامعة سيدي بلعباس– الجزائر

أ.د.محمد تحريشي –جامعة بشار – الجزائر

د. فيدوح عبد القادر – جامعة البحرين

العدد 19

محتويات العدد

الصفحات:

ـــ كلمة مدير المجلة		05
ـــ وثيقة أدبيـــــة		07
ـــ تأملات الشيخ رضوان في حاضرة تلمسان و باقة السوسان	أ.د. رضوان النجار	13
ـــ ألوان البيان في كتاب الخصائص لابن جنّي	أ.د. عبد الجليل مصطفاوي	48
ـــ الاتجاه الديني في الشعر المغربي القديم	د. محمد محيي الدّين	60
ـــ ظاهرة التركيب و مقاصدها التبليغية في الجملة الفرنسية	د. شابحة حمرون	79
ـــ أحمد محمد بن الحاج التلمساني و كتابه الأنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس	أ.د. الشريف مريبعي	107
ـــ الشعر بين العربية و الانجليزية (مقارنة و ترجمة)	أ. بلعشوي سيدي محمد الحبيب	124
ـــ تعالق الجمالي و النفعي في صور و مشاهد النباتات الطبيعية في القرآن الكريم و في الشعر العربي	أ.طـــول فتحي	140
ـــ بلاغة النظم القرآني عند الباقلاني	أ. محمود فتـــوح	165
ـــ القيم اللغوية في معلّقة امرئ القيس	أ. إيمان فاطمة بلقاسم	183
ـــ التواصل في أبحاث إيكو	أ. حياة لصحف	196
ـــ المستوى الثقافي و انعكاساته على التنوع اللغوي	أ. عبد الحميد بسعيد	209
ـــ من وحي العربية	الناظم خالد الجزائري	220

كلمـــة مديـــر المجلـــة

... يتميز العددُ التاسعَ عَشَرَ ، بكونهِ شاملاً للعديدِ من الباحثينَ عَبْرَ الجامعاتِ الوطنيةِ الجزائرية.

بدءً من جامعةِ تلمسانَ (جامعة بوبكر بلقايد) و لباحثيها النصيبُ الأوفى.

إلى مركزِ الوطنِ حيثُ جامعةُ الجزائرِ العاصمة ، و ليسَ ببعيدٍ عنها جامعةُ مستغانم (جامعة عبد الحميد بن باديس) ، و نذهب جنوباً حيث جامعة ورقلة (جامعة قاصدي مرباح) و العودةُ إلى الغرب الجزائري ، حيث كانت الإنطلاقةُ، لِيَضُمَّ هذا العددُ باحثينَ من الملحقةِ الجامعيةِ بمغنيةَ.

ناهيكَ أنَّ هذا العددَ قد غطّى العديدَ من اللُّغاتِ.

انطلاقاً مِنَ اللُّغَةِ العربيَّةِ الأمّ إلى اللُّغاتِ الأجنبيةِ المتمثلة في الإسبانيـــــة و الإنجليزية و الفرنسية.

و كما تعدَّدَ الباحثونَ ، تنوعتِ المقالاتُ و البحوث باللغة العربية فَمِنَ التَّأَمُّلاَتِ و التعبيرِ عن الأحاسيسِ و المشاعرِ إلى ألوانِ البديعِ في الخصائـــص و بلاغة النظم القرآني عند الباقلاني ثم الاتجاه الديني في الشعرِ المغربي القديم إلى مجالسةِ كتاب أنيس الجليس لصاحبهِ أحمد التلمساني.

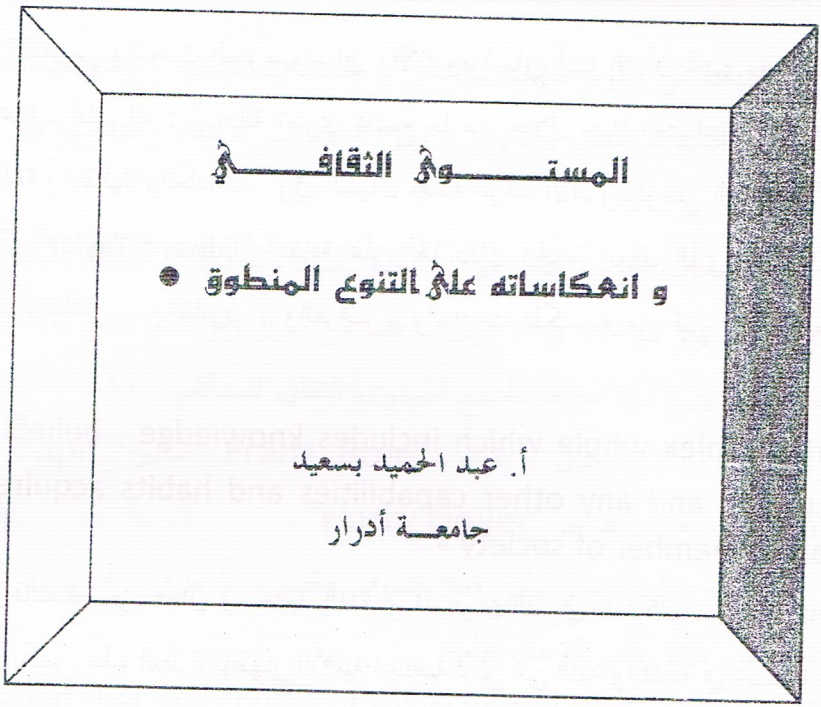

المستوى الثقافي و انعكاساته على التنوع المنطوق

أ. عبد الحميد بسعيد
جامعة أدرار

يقرر الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخادها معيارا لتصنيف البشرية الى أمم .هده العناصر هي: الجنس المشترك(أو الأصل) والدين والقوميةو اللغة والثقافة.فللغة والثقافة بوجه خاص دور بارز في هدا التصنيف والتحديد ،اد هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني في هده الأمة أو تلك وهدا المجتمع أوذاك.

يقر أهل الاختصاص أن المستوى الثقافي والمستوى اللغوي عاملان متشابكان يؤثر كل واحد في الأخر ، فكلاهما مرآة عاكسة للمستوى المكتسب ، تجدر الإشارة هنا إلى أننا سوف نعتبر الثقافة شيئا مكتسبا لا فطريا على عكس ما يظهر من خلال الدراسات المتعلقة بالثقافة والطبيعة أين يرى هذا المذهب أنها امتداد لفطرة وطبيعة الإنسان لكننا

واعتبارا للدرس والبحث السوسيولساني والانتروبولساني أبينا إلا أن نحدد مصطلح الثقافة الذي عرف على انه : " حالة تعتري مجتمع ما من خلال حياة اجتماعية مشتركة بما في ذلك اللغة والتقاليد والعادات " وفي السياق نفسه عرف الانتروبولوجي البريطاني " إدوارد تايلور[1] "Edward Taylor" الثقافة على أنها ذلك الجمع المعقد الذي يضم المعرفة ، والمعتقد ، والفن ، والقانون ، والعرف ، والعادات المكتسبة من قبل الفرد كعضو في المجتمع .

« That complex whole which includes knowledge , beliefs art , law custom and any other capabilities and habits acquired by human as member of society »

فالثقافة جزء فعال في تحديد اللغة أو المستوى اللغوي للمتكلم ، لذلك كان لزاما علينا أن نكمل هذه النظرة بإظهار الأهمية الخاصة لكل من اللغة والثقافة في مجتمعنا العربي، ذلك أن وضعيتهما ومركزهما يختلفان عن نظيريهما في المجتمعات الأوربية .

و من خلال هذه الدراسة سوف نعرض لأمر بغاية الأهمية ولا طالما كان محل دراسة و نقاش أين سنثبت وننفي في الوقت نفسه بعض الآراء التي أقامها القدامى ، فمنهم من ينفي علاقة اللغة بالثقافة ويرى أنها علاقة غير متجانسة لا بل يذهب إلى حد بعيد حتى ينعتها بأنها – أي اللغة والثقافة – بناء ينقصه التجانس والانسجام وحتى التكامل ، فبنيته هشة وفي مادته اضطراب وتنافر.

و المؤكد ان اللغة المنطوقة تتميز بتعدد اللهجات و من ثم فثقافتنا القومية لم تنجُ من هذا التباين فأصبح الخلط هو الميزة الغالبة لثقافتنا ، فتعددت الثقافات وصرنا نسمع بثقافة الخاصة ، وخاصة الخاصة وثقافة العامة وعامة العامة "[1] طبعا كله فضلا عن ثقافة المقاهي وأهل الشارع وكذا ثقافة الباعة وأصحاب الحرف والصناعات ، هذه الحقائق

تدفعنا إلى استخلاص فكرة أساسية مفادها أن التعددات الثقافية ، والتوجهات المختلفة تبعد مسارات السلوك الثقافي واللغوي ، ومن ثم يصعب الالتقاء والتناسب بين كل من الثقافة واللغة .

أما أصحاب التوجه الثاني فيرون عكس ذلك ويقرون أن الثقافة واللغة وجهتان لعملة واحدة ، تؤثر الواحدة في الأخرى لما لهما من جوار وقرابة مما يجعل اللغة فعلا مرآة عاكسة ينظر ويقيم من خلالها المجتمع المستوى الثقافي للمتكلم ، وهذا ما يقره علماء الانتروبولوجيا اللسانية أمثال : فرانز "Franz Boas" سابير "Sapir" وورف "Whorf" و " هاري هوجر "Harry Hoijer" .

فلقد أقر الأول انه لا يمكن فعلا التعرف وفهم ثقافة ما دون أن يكون لك قرب مباشرة أو على الأقل فهم لغة هذه الأمة.

"He argued that one could not really understand another culture without having a direct access to its language"[2]

أما "سابير" "Sapir" وتلميذه "وورف" "Whorf" فينعتاها بغرض "وورف" "Linguistic Relativity" ويقر بان طريقة التفكير في العالم الخارجي متأثرة باللغة التي نتكلمها والمقصود بالعالم الخارجي ، الثقافة ، الدين ، القومية ، المعتقد ....الخ . ومن ثمة يتجلى أن الإنسان تحت رحمة اللغة التي يتكلم بها :

"One of the strongest statements of the position that the way in which we think about the world is influenced by the language we use to talk about it...humans are actually at the mercy of the particular language they speak"[3]

هذا الاتجاه قد سبق أن أقره من قبل الدبلوماسي الالماني " Wilhelm Von Humboldt" حين أثبت أن كل لسان يعكس الثقافة التي ينتمي إليها .

"Each tongue draws a circle about the people to whom it belongs"[4]

أما "هوجر" "hoijer" فيمزج بين اللغة و الثقافة و يرى بأنهما متدخلان بعضا في البعض و يذهب إلى ابعد من ذلك حيث يرى انه يجب التفكير في اللغة داخل الثقافة و ليس اللغة و الثقافة .

"One should think of language in culture and not just of language and culture"[5]

أضف إلى ذلك يمكن القول أن اللغة تربط الفرد بماضيه ، حاضره ، ومستقبله على حد سواء و في هذه الحالة تمثيل دائم و ثابت للعالم ، وإذا كانت اللغة فعلا كما يقره "مالينوفسكي " "Malinowski" و الطريقة التي نتكلم بها تعكس حقيقتنا ووضعيتنا في هذا العالم كما يرى "سابير " "Sapir" وتلميذه "وورف" "Whorf " فمعنى ذلك إن التواصل اللغوي هو جزء من الحقيقة المعاشة بكل ماتحمله هذه الكلمة من دلالات ، يمثل ، يفسر ، ويدل على الثقافة التي ينتمي إليها[6] .

أما إذا كانت اللغة –كما يرى " ويتقنستاين" "wittgenstein" –"شكل من الحياة " فالميزة أن تكون لك لغة لا يعني فقط أن يكون لك أداة للتعبير عن أحداث بطرق معينة ، وإنما يعني كذلك أن تكون لك القابلية للتفاعل مع هذه الأحداث تؤثر فيها و تتأثر بها ، ولذلك بالأخص فان مسالة طبيعة اللغة و تفاعلها مع الثقافة بالنسبة للغويين الانتروبولوجيين لا يمكن فصلها من مسالة استعمال اللغة من قبل أفراد و في وقت معين ، اعتبارا أن دراسة اللغة هي دراسة تاريخية تتمركز حول وقت معين ، وهذا الأخير يعد بعدا أساسيا في الدراسات اللغوية السيكرونية الحديثة[7].

إنه من غير اللائق أن نطوي هذا التوجه الثاني المتعلق باللغة و الثقافة دون أن نتحدث ، أو نعطي على الأقل لمحة عن أراء المختصين في تعليمية اللغات وخاصة الأجنبية من حيث يرون انه من الواجب أن نتعلم اللغة وثقافتها معا ، فاللغة الانجليزية على سبيل المثال لا الحصر يجب تدريسها داخل ثقافتها فنقول Mr Smith وليس Mr Rafik أو Mr Karim كما حدث ذلك في بعض الكتب الأولى لتعليم اللغة الانجليزية ، أين يقولون Mr Dahane و إنما يجب القول The Painter.

على الرغم من التضارب و التباين بين التوجهين إلا انه لا يمكن إغفال أو إنكار تأثر و تأثير كل من اللغة و الثقافة فيما بينهما ، لكن التساؤل الذي تبادر إلى ذهن الباحث **هو كيف لنا أن نبين العلاقة بينهما** ؟ طبعا لا يمكن لنا ذلك إلا إذا قمنا بحوثا مستقلة تنصب حول دراسة البناء اللغوي للمجتمع بميزاته ، وخصائصه ، وأبعاده ، و صوره ، ومن ثمة التدقيق في النشاط الثقافي لهذا المجتمع ، و بهذا النحو يمكن لنا أن نخرج بنتائج عملية دقيقة لذلك سوف ننطلق من فكرة ننفي أولا ثم نثبت الحقيقة الإشكال اللغوية – وبدرجة اخص المنطوق – بأبعادها و تلازماتها الثقافية .

اللغة ليست فقط " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[8] كما عرفها ابن جني و إنما تتعدى في ذلك المنظور الضيق ، في حقيقة الأمر وجوهره ;هي تجسيد حي لكل معارف الإنسان وخبرته ومن ثمة هي دليل هويته الثقافية التي تكشف عن المكبوت و الواقع الحقيقي في صورة أحداث فعلية من أصوات ، و طرق النطق ، و المفردات ، والدلالات ، وما إلى ذلك من معاني ، هذا بالإضافة إلى نسج هذا الكلام حسب سياق ونمط الكلام المتعارف عليه داخل الجماعات اللغوية حتى المنهجية .

ومن هنا فإننا متفقون في انه لسان واحد ألا وهو " اللغة العربية " لكن ومع ذلك تختلف اختلافا في التحقيق المادي لهذا اللسان وهذا ما يبرز من خلال ما يجري في المجتمع العربي من تعدد في اللهجات.

وهذا الاتفاق و الافتراق في البيئة اللغوية ينطبقان بصورة أو بأخرى على الوضع الثقافي لهذه البيئة لما لهذين العاملين

من تداخل – رغم الانتقادات و محاولة الفصل بين الوجهتين – فنلاحظ اتفاق في الثوابت و اختلافا في المتغيرات، بعبارة أخرى نلتقي في الجواهر و نختلف في الأداء اللغوي و التعامل الثقافي ، " فالقيمة الثقافية المعينة قد يكون متفقا عليها في بيئة اجتماعية ما ، و لكنها تختلف فيما بين أفراد هذه البيئة في التحقيق المادي ، فالملبس مثلا ذو معنى متفق عليها هي الوقاية و الزينة و ستر العورة و لكنه يختلف هنا وهناك من حيث صورة ، وأشكاله و ألوانه ، وتقديره ، وتفصيله "[9].

لكن هذا الضرب أو النحو من التفكير في علاقة اللغة بالثقافة يؤدي بنا إلى طريق مسدود بل هو تحصيل حاصل ، فالأبوة مثلا قيمة لغوية ثقافية ، و لكن يعبر عنها و تؤدي في مجتمعنا بصور متعددة ، فهناك "دادي وبابي و بابا و يي وبا " إلى جانب الصيغتين " أبي ووالدي "[10].

فيما يجب التفكير به الآن هو إثبات تلك العلاقة القائمة بين اللغة و الثقافة لان الآراء السابقة الذكر تنصهر و تذوب أمام فكرة أن احدهم يستطيع أن يحكم على ثقافة الآخرين اعتمادا أو من محصوله اللغوي ، الذي عادة ما يعبر عليه بألفاظ أو أداء صوتي ، أو كما سوف نثبت لاحقا طريقة نطقه ، فالطريقة أو الأداء الكلامي عادة ما يستمد من

مخزون العقل و نفسية أو هوية المتكلم ، أي من محصوله المعرفي ، والثقافي ، وهذا ما هو ثابت في المجتمع الانجليزي مثلا " لسانك هو أنت " إنتاجه اللغوي و حتى المنهجي .

و على الرغم من الارتباط القائم بين كل من اللغة و الثقافة و الذي يتوقف على درجات الاختلاف اللغوي و الثقافي معا كما هو جلي في المجتمع العربي و الانجليزي ، فتعدد و اختلاف اللهجات في المجتمعات بصفة عامة و المجتمع العربي بصفة خاصة لخير دليل على تنوع ثقافتنا .

هل لهجة الفرد تتحدد بمستواه الثقافي ؟

لكن الطرح اللساني و الهدف الذي نحن بصدد البحث و الوصول إليه هو كيف أن لغة الفرد أو لهجته تتحدد بمستواه الثقافي ؟ سؤال من هذا النوع كان ولا يزال مصب اهتمام الباحثين القدامى و المحدثين على حد سواء ، و لذلك السبب يجب علينا الانطلاق من فكرة أن اللغة ليست إلا أثرا من أثار عقلية المجتمع أو إشعاع من بين الإشعاعات الثقافية الموجودة داخل المجتمع ، فهي مرآة عاكسة لثقافة مجتمع ما.

إذا كان هذا السؤال و في هذا المستوى من الطرح يحتـــــاج لأراء وجهـــــود، و أبحاث اللغويين و علماء الاجتماع اللغويين ، و الانتربولوجيين ، علماء الثقافـــــة ما، و ذلك للخروج بإجابة علمية دقيقة لهذا التساؤل.

إن الدراسات اللغوية التي أقيمت في هذا الحقل تشير إلى انه في العالم العربي يحوي خمسة مستويات رئيسية ، فهناك الفصحى الأصلية و المتمثلة في التـــــراث الفكـــــري و الحضاري و الثقافي و الأدبي ، وهناك ما يطلق عليه ، بالعربية المعاصرة و هي لغة المثقفين ورجال العلم ، وهناك لغة الإعلام — كانت منطوقة أم مكتوبة — وهناك عامية

عامة المثقفين في حياتهم اليومية ، وهناك اللسان الدارج العام و ما يتشعب عن هذا الأخير من لهجات و أشكال محلية خاصة بالمجتمع أو بالمهنة .

هذا التباين و التعدد اللغوي ينجر عنه "التلوث الثقافي" الذي أصيب به المجتمع العربي في السنوات الأخيرة من جهة أخرى ، كان له اثر واضح في التلوث اللغوي ، وهذا ما نلمسه عند أصحاب الفن من مسرحيات ، وأفلام و أغاني جاءت في مجملها بلهجة دنيئة مبنى ومعنى، و الاختلاط الثقافي الذي جاءت به الوفود أو الجاليات الأجنبية التي كان لها أن تشتغل في حقول شتى داخل المجتمع العربي وما تحمل هذه الجاليات من خلط في الأفكار و التوجهات و الرؤى .

لقد أجاب ادوارد سابير "Edward Sapir" حين سئل عن علاقة اللغة أو أي شكل لغوي بثقافة المتكلم قائلا " ربما يسلم معظمنا – فيما اعتقد– بان لغة المجتمع البريطاني و الأمريكي لا يمكن الادعاء بأنها تمثل مجتمعنا ثقافيا واحدا ثم يشير إلى العوامل الجغرافية و السياسية و الاقتصادية التي تحول دون ذلك "[11].

أما عن العلاقة القائمة بين اللغة و الثقافة العربيتين " فيرى البعض أن لهم ثقافة مشتركة شديدة الارتباط بعوامل جغرافية ، وسياسية ، واقتصادية ، وكذا تاريخ مشترك "[12] أما البعض الأخر فيرى أن العرب يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، ولكن بلهجات محلية مختلفة من قطر لأخر تعكس الثقافة المحلية القائمة في منطقة ما ، مما يفسر وجود ثقافات مختلفة تبعا لتعدد الأقطار[13] فتربية الأبناء ، أو حفل الزفاف في لبنان يختلفان كل الاختلاف عن مثلهما في مصر و الجزائر مثلا .

لكن هذا التوجه الثاني قد ووجه بكثير من الانتقادات الحادة ، ويرى أصحاب هذا التوجه أن المجتمع العربي و الأمريكي ثقافتين و لغتين مختلفتين و من ثمة يجوز لنا أن

نتمثل بالعلاقة الوثيقة بين الثقافة و اللغة ، إلا أن التباين القائم بين الثقافات داخل كل من المجتمع الانجليزي و الأمريكي و الاسترالي الذين تربطهم لغة واحدة دفع بالعديد إلى اعتبار عدم تناسق و تلازم الثقافة باللغة .

و لقد سبق ل "Sapir" "سابير" أن أوضح أن هذه المعادلة التي يرى البعض أنها غير متلازمة فقال :" إن اللغة ، والجنس ، و الثقافة ليست بالضرورة متلازمة ، غير أن هذا لا يعني أنها لا تتلازم أبدا " [14].

وهناك نقطة أخرى بغاية الأهمية تدفع الباحث في هذا الميدان للإشارة إليها ، هي أن التعبير الثقافي يستغرق وقتا محدودا حتى يتجلى و يظهر أثره ، أما التباين اللغوي فقد يستغرق حقبة زمنية كبيرة قد تصل إلى قرون ومع ذلك يصعب ملاحظة ذلك التباين ، و الغالب أن السبب هذا بالضبط هو الذي دفع بالبعض إلى اعتبار إن المجتمع الانجليزي ، والأمريكي، و الاسترالي مجتمعات مختلفة ثقافيا و لكنها موحدة لغويا، على الرغم من كل ذلك فإننا نسمع باللغة الانجليزية البريطانية، و الانجليزية الأمريكية، و الانجليزية الاسترالية، ...الخ كان عن قصد لأنها مختلفة ثقافيا من جهة ، و تعقيبا عن أولئك الذين يرون أن الانجليز و الأمريكيين أمتان مشتركتان بلغة واحدة ، من جهة أخرى .

فالنتيجة الناتجة من تباين هذه الآراء هي أن هناك ارتباطاً بصفة أو بأخرى بين اللغة و الثقافة حتى ولو لم يكن ارتباطا وثيقا وطيدا ، إلا أن الأشكال اللغوية من لهجات ورطانات ، وتنوع أو تعدد في المنطوق تتفاعل فعلا مع الثقافة و العكس كذلك .

- **مراجعة: أ.د. بن موسات بومدين**

---

[1]- نفسه ص 239

4-مدخل الى اللغة. د.محمد حسين عبد العزيز. دار الفكر العربي. 1988. ص185

المراجع باللغة الأنجليزية :

1-Alessandro Duranti.Linguistic Anthropology.
Cambridge University Press.Cambridge.1997.p52 /336/341.

2-E.Chaika.Language,the social mirror,USA.1982.p87.

3-Edward Taylor. Language, Culture and Communication. 1972. p102.

République algérienne démocratique et populaire
Ministère de l'enseignement supérieur
et de la recherche scientifique
Université Abou Bekr Belkaid Tlemcen

REVUE
Des Lettres et des Langues

Périodique, Scientifique, Indexée Réalisée par la faculté des Lettres et des Langues

Numéro dix-neuf
2012
ISSN : 1112-3494
Dépôt légal : 1590-2001

ملخص:

يهدف هذا البحث الى دراسة نمط الأشكال التعبيرية لدى منطوق النخبة المثقفة في تلمسان و ذلك من خلال دراسة الآليات الفاعلة في ذلك التنوع من ازدواج لغوي، تعدد لغوي، ثنائية لغوية، خلط لغوي، و اقتراض. هذا دون اغفال العوامل السوسيولسانية من تدرج عمري، جنس المتكلم، انتماؤه الجغرافي، و خاصة المستوى الثقافي للمتكلم.

الكلمات المفتاحية:

المثقف، المنطوق، اللهجة، ازدواج لغوي، ثنائية لغوية، خلط لغوي، تعدد لغوي ،اقتراض، مقاربة سوسيولسانية.

Résumé:

Cette recherche a pour objectif l'étude d'un modèle de types d'expressions chez le locuteur expert et cultivé à Tlemcen à partir de l'étude des mécanismes qui influencent la diversité du bilinguisme, de la diglossie, de l'alternance des langues, du plurilinguisme et de l'interférence.

Cette étude ne doit pas occulter les facteurs sociolinguistiques qui concernent l'introduction de l'âge et du sexe du locuteur, son appartenance géographique et notamment son niveau intellectuel.

Les mots clés :

L'intellectuel- le locuteur- le bilinguisme- la diglossie- l'alternance des langues- le plurilinguisme- l'interférence- l'approche sociolinguistique.

Summary :

The present paper is an attempt to examine the different speech varieties among intellectual elites in Tlemcen through scanning the mechanisms that may affect the speech variation i.e. Bilingualism, multilingualism, diglossia, code-mixing, and borrowings. Besides, we tried to take into account the sociolinguistic factors like age-grading, sex, geographical location, and mainly the educational level of the interlocutor to such a variation.

Key words:

Intellectuals- speech- dialect- bilingualism- diglossia- code-mixing- borrowings- multilingualism- borrowings- sociolinguistic approach.